الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بني الأحمر

(٦٢٩-٨٩٧هـ/١٢٣٢-١٤٩٢م)

إعداد

رفاه تقي الدين عارف الدوري

بكالوريوس تاريخ - جامعة بغداد ١٩٩٣

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في

جامعة مؤته - تخصص تاريخ

لجنة المناقشة	التوقيع	
١- الدكتور : طه الطراونه		مشرفا
٢- الاستاذ الدكتور : أبو القاسم سعدالله		عضوا
٣- الاستاذ الدكتور : أحمد عبدالله الحسّو		عضوا

تاريخ تقديم الرسالة : / / ١٩٩٩

تاريخ مناقشة الرسالة : ٨/ ٦ / ١٩٩٩

الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بني الأحمر

(٦٢٩-٨٩٧هـ/١٢٣٢-١٤٩٢م)

إعداد

رفاه تقي الدين عارف الدوري

إشراف

الدكتور : طه الطراونه

١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بني الأحمر

(٦٢٩-٨٩٧هـ/١٢٣٢-١٤٩٢م)

إعداد
رفاه تقي الدين عارف الدوري

إشراف
الدكتور : طه الطراونه

١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بني الأحمر

(٦٢٩-٨٩٧هـ/١٢٣٢-١٤٩٢م)

إعداد

رفاه تقي الدين عارف الدوري

إشراف

الدكتور : طه الطراونه

١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

شكر وتقدير

الشكر كله لله تعالى على مساعدتي في اتمام هذه الدراسة وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور طه الطراونه على توجيهاته القيمة وارشاداته السديدة التي أوصلت البحث إلى صورته النهائية.

والشكر الجزيل إلى والدي الأستاذ الدكتور تقي الدين عارف الدوري لما قدمه لي من ارشاد وتوجيه وعون في سبيل اتمام هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور رضا هادي عباس والاستاذ الدكتور أحمد عبدالله الحسو والدكتور فلاح حسن لما قدموه من مساعدة في امدادي بالمصادر والمراجع التي اغنت الرسالة.

وأتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة قسم التاريخ في جامعة مؤتة لجهودهم الطيبة.

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــــــــة

جاء اختيار موضوع الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بنـــي الأحمر (٦٢٩ -٨٩٧ هـ /١٢٣٢- ١٤٩٢م) نتيجة لعدم وجود دراسة تفصيليــة متكاملة في هذا المجال حيث أن ما تطرق إليه بعض الباحثين لا يتعـــدى بضـع صفحات ، ولأن بعض الكتب قد ركزت على الجانب السياسي في تاريخ مملكـــة غرناطة بينما تطرقت إلى الجانب الثقافي بصورة مختصـــرة. كمـا أن البعـض الآخر عالج الجانب الثقافي في تاريخ مملكة غرناطة ، ولكن من خلال شـخصية بعينها .

تكتسب الحياة العلمية والثقافية في غرناطة أهميتها مـن الـثراء العلمـي والثقافي الواضح الناتج عن جهود العديد من العلماء والأدبـاء والشـعراء الذيـن ساهموا في إغناء الحياة العلمية والثقافية بمؤلفات قيمة وغزيرة ملأت المصـادر، إلى درجة أن من يقف على هذا الكم الهائل من التراث العلمي والثقافي الغرنـاطي لا يمكن إلا أن يشعـــر بالانبهار وبإكبار تلك المجهودات القيمـة فـي نفـس الوقت. إضافة إلى أن مساهمات علماء تلك الفترة لم تقتصر على البحث والتـأليف بل شملت تدريس العلوم والآداب المختلفة في مدارس غـرناطـة ومسـاجدها ، وبذلك كان لهم أيضاً فضل كبير على مجموعة من مشاهير علماء العرب المسلمين ذوي المكانة المرموقة التي حفظها لهم التاريخ على مر العصور ، والذين تتلمـذوا على أيديهم .

وحيث أن أكثر علماء هذه الحقبة اتصفوا بالموسوعية وكان لكثـير منـهم اختصاصات شتى في آن واحد، فقد أخذت الدراسة ذلك بنظر الاعتبار، ووضعت هذه التخصصات حسب أولوياتها.

تم تقسيم الدراسة إلى سبعة فصول سبقتها مقدمة، تضمـن الفصـل الأول دراسة لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث من حيث أهميتها ومدى معـاصرة

مؤلفيها للحياة الثقافية في العصر موضوع البحث .

أما الفصل الثاني فهو عن الحياة السياسية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر ومنه تم التطرق إلى جغرافية غرناطة وتاريخها منذ فتح الأندلس، حتـــى عصر بني الأحمر وصولاً إلى تاريخ غرناطة وسلاطينها من بني الأحمر الذيـــن تعاقبوا على حكمها مع التركيز على أهم الأحداث في عصرهم .

ويبحث الفصل الثالث في التعليم والمؤسسات التعليمية ، وفيه تم البحث فـي طبيعة التعليم في أهم المؤسسات والمراكز التعليمية في غرناطة .

أما الفصل الرابع فهو عن العلوم الدينية في غرناطة ممثلة بعلوم القــرآن الكريـم التي تضم القراءات والتفسير ، إضافة إلى البحث فـــي علـوم الحديـث والفقــه والتصوف في تلك الفترة .

ويعالج الفصل الخامس العلوم اللغوية والأدب : علوم اللغة والنحو والنـــثر والشعر .

في حين عالج الفصل الســـادس بـدوره العلـوم الاجتماعيـة : التـاريخ والجغرافية .

وخصص الفصل السابع والأخير للكلام عن العلوم البحتة : الرياضيــات والفلـك والطب .

أخيراً فقد تم اختتام الدراسة بخاتمة ، وملحقيـــن : الأول خارطــة لمدينـة غرناطة، والثاني : قائمة بأسماء سلاطين دولة بني الأحمر في غرناطة .

وأتمنى من الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة ومـــن الله العــون وبــه التوفيق .

الفصل الأول

دراسة المصادر

اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر الأساسية التاريخية والجغرافية وكتب الرحلات والأدب وفيما يلي عرض لأهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة حسب سنوات الوفاة للمؤلف :

- تذكرة الحفاظ لأحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). هذا الكتاب هو تذكرة بأسماء حفاظ الحديث النبوي الشريف واجتهاداتهم في التوثيق والتصحيح ومن ضمنهم حفاظ غرناطيون وكان يعتمد على مؤلفات المؤرخين السابقين كابن الأبار (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)[١] ، وعلى مشاهداته الشخصية للوثائق المعاصرة له كقوله عند ترجمته لابن الزبير "ورأيت إجازته بالسبع لابن سهل"[٢]. وقد تم الاعتماد على كتاب الذهبي المذكور في بعض فصول هذه الدراسة وبخاصة الفصل الرابع منها.

مؤلفات ابن الخطيب :

١- الإحاطة في أخبار غرناطة لمحمد بن عبدالله بن سعيد السلماني الملقب بلسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م) ويعد هذا الكتاب بمثابة موسوعة شاملة لكل ما يخص غرناطة من النواحي التاريخية والجغرافية معاً. وأورد الكتاب تراجم واسعة عن العلماء والأكابر في غرناطة ، أوممن وفد إليها من المغرب والمشرق أو ممن نزح عنها في مختلف عصور التاريخ الأندلسي، هذا بالإضافة إلى ما أورده المؤلف من تراجم لملوك بني الأحمر في غرناطة [٣]منذ عصر مؤسسها الأول محمد بن يوسف بن الأحمر حتى عصر المؤلف. وتأتي أهمية هذا الكتاب لكون مؤلفه معاصراً لفترة هذا

---

(١) احمد بن عثمان الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤جـ ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، د.ت، جـ٤، ص١٤٣٦ وسيشار له تالياً الذهبي ، تذكرة الحفاظ .

(٢) المصدر نفسه ،جـ٤،ص ١٤٨٤.

(٣) أنظر ص٢١، ٢٦-٢٩، ٣٣-٣٥، ٦١ من هذه الرسالة .

البحث بالإضافة إلى كونه أحد أهم علماء غرناطة الذين ازدهرت على يدهم العديد من العلوم. ويعد هذا الكتاب مصدراً غنياً للبحث، لسببين رئيسيين الأول لأنه أفاد في توفير دراسة قيمة عن المؤلف، نفسه كونه أورد فيه سيرته الذاتية بخط يده[1] ، والثاني لأنه لم يكتف فقط بالنقل عن الآخرين بل اعتمد أيضاً على مقابلاته ومشاهداته الشخصية [2] وقد تم الاعتماد على هذا الكتاب بصورة واسعة في جميع فصول الدراسة ،

٢- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، وهو مختصر لتاريخ ملوك بني الأحمر في غرناطة تطرق فيها المؤلف إلى النواحي الجغرافية والتاريخية لمدينة غرناطة وترجم لملوك بني الأحمر حتى سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م حيث تطرق إلى أمور عدة عنهم منها سيرهم وأحوالهم ووزراؤهم وكتابهم والأحداث في عصرهم ونشاطات بعضهم العلمية والأدبية. وقد أفادت هذه الدراسة من هذا الكتاب بصورة خاصة في الفصل الثاني المتعلق بالحياة السياسية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر[3] هذا بالإضافة إلى الاعتماد عليه بصورة أقل في بعض الفصول ،

٣- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة. تناول المؤلف في هذا الكتاب ترجمة للعديد من علماء الأندلس والمغرب بشكل مسجع وقد قسمه إلى أربع طبقات : طبقة الخطباء والصوفية ، طبقة المقرئين والمدرسين، وطبقة القضاة ، وطبقة الكتاب والشعراء[4]. وقد ضم الكتاب

---

(١) محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني الملقب بلسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ٤م ، تحقيق محمد عبدالله عنان ،ط٢، نشر مكتبة الخانجي ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣، م٤، ص٤٣٨-٦٣٤. وسيشار له تالياً : ابن الخطيب، الاحاطة .

(٢) أنظر ص٦٩، ٧٢، ٧٨، ١٨١-١٨٢، ١٨٤، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٢٦ من هذه الرسالة .

(٣) أنظر ص١٦-١٩، ٢٢-٢٤، ٢٧، ٣٠-٣٤، ٦١ من هذه الرسالة

(٤) لسان الدين بن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة ،بيروت ، مطبعة عيتاني الجديدة، بيروت، ١٩٦٣، ص٣١،٧٠،١٠١،١٥٨. وسيشار لهُ تالياً :ابن الخطيب ، الكتيبة الكامنة .

مائة وثلاث ترجمات وكان الكتاب بمثابة دراسة للحياة الأدبية بالأندلس والمغرب في القرن الثامن الهجري. وقد أفاد الدراسة في العديد من فصولها.

٤- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب : يقع هذا الكتاب في مجلدين وهو من الكتب الهامة التي اعتمدت عليها الدراسة في معرفة الرسائل التي كتبها ابن الخطيب عن سلاطين غرناطة، كما تضمن أهم مؤلفات ابن الخطيب التي من خلالها أغنيت الدراسة في التعرف عليها ، خاصة فيما يتعلق بالكتب المفقودة التي لم تصل إلينا، لذلك اعتمدت هذه الدراسة عليه في المواضيع التي تناولت رسائل ومؤلفات ابن الخطيب(١).

٥- كتاب أعمال الأعلام الذي ألفه عقب وفاة السلطان المريني عبد العزيز وتنصيب ابنه سعيد من بعده ، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول في تاريخ المشرق ومصر والشام، والثاني في تاريخ الأندلس منذ عصر بني أمية حتى عصر بني الأحمر بغرناطة وتطرق إلى ذكر سلاطين بني الأحمر حتى عصر السلطان الغني بالله ، أما القسم الثالث فيبحث في تاريخ المغرب العربي . وكان إعتماد الدراسة على القسم الثاني من هذا الكتاب لتعلقه بشكل أساس بفترة البحث(٢) .

٦- أوصاف الناس في التواريخ والصلات أشتمل هذا الكتاب على ترجمة مائة وسبع وخمسين شخصية أندلسية ومغربية ، أكثرها ممن عاصروا فترة ابن الخطيب . فقد ترجم فيه للعالم والفقيه والقاضي والوزير والأديب والشاعر بأسلوب أدبي مسجع . ويعد هذا الكتاب من المصادر الهامة التي استندت إليها الدراسة في الكثير من فصولها.

وقد أفادت الدراسة أيضاً من مؤلفات ابن الخطيب الأخرى ويستطيع القارئ أن يجدها في قائمة المصادر.

---

(١) أنظر ص١٤١، ١٦٧-١٦٩، ١٩١، ٢١٨-٢١٩، ٢٦١ من هذه الرسالة .

(٢) أنظر ص١٩-٢٠، ٢٤-٢٦، ٢٩-٣٠، ٣٢، ٣٤، ٢١٥، ٢٢٨ من هذه الرسالة .

- تاريخ قضاة الأندلس وسماه (المؤلف) كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا لأبي الحسن ابن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي (كان حياً ٧٩٣هـ/١٣٩١م) - والمؤلف نفسه أحد الذين أدوا دوراً في النشاط العلمي والثقافي في غرناطة - وهو كتاب يبحث في تاريخ القضاء بالأندلس منذ الفتح العربي إلى القرن الثامن الهجري. فهو كتاب واسع في الفترة التى تناولها ومن ضمن ما أورده تراجم لبعض قضاة غرناطة وبراعتهم في علوم متعددة وشيوخهم ومؤلفاتهم . وكان يعتمد الرواية الشفوية وخاصة عن أساتذته [1] ومشاهداته الشخصية[2]. وأعتمد على المصنفات التي سبقته كصلة الصلة لابن الزبير (ت٧٠٨هـ /١٣٠٩م)[3] والمؤلفة في عصره كعائد الصلة المفقود لابن الخطيب (ت٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)[4]. وفائدته في البحث أنصبت بالدرجة الأولى في الفصل الرابع الخاص بالعلوم الدينية

- مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والأندلس والمغرب وهو كتاب نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان للأمير أبي الوليد أسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م) - والمؤلف من ابناء الأسرة المالكة الغرناطية - وفية أورد المؤلف ترجمة لثلاثين شخصية من الأندلس والمغرب والمشرق. ويعد هذا الكتاب من المصادر الهامة التي أعتمد عليها البحث في معظم فصوله فقد ذكر للمترجم المجالات العلمية التى برع فيها والوظائف التى تقلدها ومؤلفاته وبعضاً من كتاباته وأشعاره ، معتمداً على مشاهداته ومقابلاته الشخصية لادباء عصره فمثلاً قال في ترجمة الشريف الغرناطي أدركته

---

(١) الحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي ،تاريخ قضاة الاندلس وسماه المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠، ص١٢٧،١٤٥،١٥٩. وسيشار له تالياً : النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس .

(٢) المصدر نفسة ، ص ١٧٤-١٧٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص١٤١، ١٤٧-١٤٨.

وروايته[1] ، وفي ترجمة ابن الخطيب أدركته وخاطبته وخاطبني[2] .

مؤلفات ابن خلدون :-

- المقدمة لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) وهو كتاب واسع المعلومات في التعريف بالعلوم المختلفة [3]، وتم الاعتماد عليه من حيث التعريف ببعض العلوم وخاصة ما تمثله تلك العلوم في الأندلس كما أفاد الدراسة في فصل التعليم والمؤسسات التعليمية لأنه تطرق فيه للتعليم في الأندلس. وتأتي أهمية هذا الكتاب لكون مؤلفه ممن عاصروا الحقبة موضوع البحث بل أنه قد دخل غرناطة واتصل بسلاطينها وكبار علمائها كما كانت له بعض النشاطات العلمية والسياسية فيها.

والمقدمة المذكورة كما هو معروف مقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وهومن الكتب العامة في التاريخ ذكر فية المؤلف أهم الأحداث التاريخية في مختلف العصور ومن ضمنها أحداث الأندلس . وقد أفاد هذا المصدر الدراسة ما تطرق فيه المؤلف عن الأحداث في غرناطة في عصر بني الأحمر وما قبله. لذلك أفادت منه الدراسة بشكل خاص في فصل الحياة السياسية في مملكة غرناطة، خاصة أن المؤلف في هذا الكتاب ذكراهم الأحداث السياسية التي أدت إلى تنصيب وعزل ملوك بني الأحمر، بالإضافة الى الاعتماد عليه في بعض الفصول الأخرى وخاصة فيما يتعلق بمحنة ابن الخطيب في غرناطة ومقتله.

- التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً لابن خلدون وهو من كتب السير الذاتية . وتكمن أهمية هذا الكتاب بالنسبة للدراسة في التعرف بشكل مفصل على

---

(١) ابو الوليد اسماعيل يوسف ابن الاحمر الغرناطي ، مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والاندلس والمغرب وهو كتاب نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ،ط١، حققه وقدم له محمد رضوان الداية ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦، ص٤٥. وسيشار له تالياً : ابن الاحمر ، نثير فرائد الجمان .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٨.

(٣) أنظر، ص٩٨، ١٣٥، ١٦٣، ١٨٤، ٢٠٦ من هذه الرسالة .

أسباب دخول ابن خلدون غرناطة ونشاطه العلمي والسياسي فيها وعلاقته بسلاطينها وعلمائها وخاصة علاقته بأشهر علمائها الوزير لسان الدين بن الخطيب سيما أنه خصص جزءاً ليس بالقليل عن فضل هذا الوزير ومكانته العلمية وقد أفاد الدراسة بشكل خاص في فصلي العلوم اللغوية والأدبية والعلوم الاجتماعية .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م). وهو من كتب التراجم الهامة ترجم فيه المؤلف لأعيان القرن الثامن ومنهم الغرناطيون من ملوك وفقهاء وعلماء وكتاب وشعراء وأدباء، حيث يذكر معلومات هامة عن صاحب الترجمة كولادته ودراسته وإجازته وشيوخه ومساهمته العلمية ومصنفاته لذلك يعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة التي استندت عليها الدراسة في جميع فصولها .
- جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى لأبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي (ت ٨٥٧هـ/١٤٥٣م). يعد هذا المؤلف من أشهر علماء غرناطة الذين عاصروا الفترة الأخيرة لعصر بني الأحمر في غرناطة، التي كانت مليئة بأجواء الفتن والاضطرابات . ولعل تلك الظروف كانت من بين الحوافز التي دفعت المؤلف لتأليف هذا الكتاب في المحن والابتلاء الذي يتعرض له. وكان الكتاب مليئاً بالأحداث التاريخية التي وقعت في غرناطة في عصر بني الأحمر، لذلك اعتمدت عليه الدراسة بشكل خاص في فصل الحياة السياسية في عصر بني الأحمر خاصة وإن المصادر تنقطع عن ذكر الأحداث السياسية الغرناطية بوفاة أبي الحجاج يوسف الثاني بن محمد الخامس الغني بالله سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٢م وحتى سنة ٨٦٧هـ /١٤٦٣م. هذا بالإضافة إلى أن المؤلف من مشاهير علماء غرناطة الذين أغنوا التراث العلمي لذلك تم الأعتماد عليه في بعض الفصول الأخرى .
- برنامج المجاري لأبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي (ت ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م). وهذا الكتاب من كتب البرامج- وهي نوع من المدونات تضم شيوخ

مؤلفيها وما أخذوه عنهم من الروايات وما قرأوه عليهم من الكتب - التي تتعرض لعلماء غرناطة، لأن مؤلفها عاصر جانباً من عصر دولة بني الأحمر في غرناطة. تضمن الكتاب ترجمة للشيوخ الذين تلقي علومه عليهم ومروياته من الكتب على أيديهم ورحلاته في سبيل العلم والألتقاء بالعلماء والحصول على إجازات منهم وقد رتب فيه الشيوخ حسب بلدانهم مبتدءً بشيوخ غرناطة[1] لذلك أفادت الدراسة من هذا الكتاب في ترجمة شيوخ غرناطة خاصة وأنه كان يذكرهم بالأوصاف التي توضح مكانتهم العلمية [2] .

- ديوان عبد الكريم القيسي لعبد الكريم القيسي (كان حياً ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م). تكمن أهمية هذا الديوان لكون صاحبه من اخر شعراء الأندلس الذين أدركوا سقوط غرناطة فلم يكن المؤلف بمنعزل عن أحداث بلده ، لذلك نجد في هذا الديوان بعض القصائد التي تشير إلى ما كانت تعانيه غرناطة من أحداث وكيفية سقوط حصونها واحداً بعد أخر والعلاقات الأسبانية الغرناطية. بالإضافة إلى ما يحتويه هذا الديوان من معلومات عن شيوخه وزملائه ، الذين أصبحوا فيما بعد من علماء غرناطة . وتمت الاستفادة من هذا الديوان في فصلي العلوم اللغوية والأدبية وفصل العلوم الاجتماعية .
- رحلة القلصادي لأبي الحسن على القلصادي الأندلسي (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م). وعرض المؤلف في هذه الرحلة دوافع قيامه بالرحلة لأداء فريضة الحج وطلب العلم. ومن خلالها قدم المؤلف وصفاً للمعالم والبلدان والأحداث التي مر بها لذلك أفاد الدراسة خاصة في فصل العلوم الإجتماعية وما يتعلق بشكل خاص بالرحلات الجغرافية . ومن الأمور الهامة التى تطرق إليها هو ذكره لتراجم شيوخه في المغرب والمشرق وأخذ أجازته عنهم ومن ضمن هؤلاء كانت تراجم لشيوخ غرناطيين لذلك أفادت هذه الدراسة في ترجمة بعض شيوخ غرناطة والتعرف على مكانتهم العلمية .

---

(١) ابو عبدالله المجاري الاندلسي ، برنامج المجاري، تحقيق محمد ابو الاجفان ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،١٩٨٢،ص٨٤. وسيشار له تالياً : المجاري ،برنامج المجاري .

(٢) المصدر نفسه ، ص١١٦.

- أخبار العصر في أنقضاء دولة بني نصر لمؤلف غرناطي مجهول وهو من الكتب الهامة التى أعتمد عليها البحث. وتكمن أهميته في أن مؤلفه قد عاصر أحداث سقوط غرناطة حيث سجل في كتابه هذا ما شاهده وعايشه من أحداث مملكة غرناطة وتاريخها في عهد آخر ثلاثة سلاطين حكموا غرناطة هم أبو الحسن وابنه أبو عبد الله الصغير وأخوه أبو عبد الله الملقب بالزغل . لذلك أغنى هذا الكتاب الدراسة في الفصل المتعلق بالحياه السياسية في مملكة غرناطة.
- الذيل التام على دول الإسلام لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م). وتأتي أهمية هذا الكتاب لكونه قدم معلومات بالأحداث السياسية التي تبدأ بسنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٣م وتنتهي بسقوط غرناطة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م وهي فترة تندر المصادر التي تتناولها. وعلى الرغم من أن هذا الكتاب لم يتطرق إلى تلك الأحداث بالتفصيل إلا أن الدراسة قد أفادت منه في الفصل الخاص بالحياة السياسية في غرناطة ، حول حكم أخر ثلاثة سلاطين في غرناطة .

مؤلفات المقري :-

١- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١ هـ/ ١٦٣١ م). يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر في التاريخ الأندلسي ، فقد ضم الكتاب ذخيرة مهمة من المعلومات التاريخية والجغرافية والأدبية. كما ترجم فيه لمجموعة هائلة من العلماء في غرناطة سواء أكانوا غرناطيين أم من الوافدين عليها أم النازحين عنها. وقد قسم المقري كتابه هذا إلى قسمين : قسم خاص بالأندلس وتاريخها عامة، وقسم خاص بالتعريف بابن الخطيب. واعتمدت هذه الدراسة على كتاب نفح الطيب في جميع فصولها بالأضافة إلى الأهمية الكبيرة التي أفادت الدراسة في التعريف بالتفصيل عن حياة ابن الخطيب الشخصية والعلمية وكانت الترجمة لشيوخه خلال هذا الكتاب ذات دور مهم في التعرف على أكابر الشيوخ

وعلماء غرناطة وبالرغم أن المؤلف لم يكن معاصراً لفترة الدراسة الإ أن كتابه من المصادر المهمة لاعتماده على مصادر معاصرة لفترة البحث ولكنها لم تصلنا. وكان مصدراً أساسيا في مختلف فصول البحث .

٢- وللمقري كتاب آخر بعنوان أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض. ورغم أن العنوان يشير الى أنه ترجمة للقاضي عياض الا أن مؤلفه تطرق إلى أخبار ونصوص تاريخية وحضارية واسعة عن الأندلس والمغرب ، بالإضافة إلى ترجمته لمجموعة كبيرة من علماء غرناطة والكتاب شبيه في منهجه بكتاب نفح الطيب الذي أنشيء في ترجمة لسان الدين بن الخطيب وكما جاء عند الكلام عن نفح الطيب فإن المقري سلك نفس المسلك في اعتماده على مصادر كانت متوفرة في زمنه ولم تصلنا الآن وقد اعتمدت عليه الدراسة في مختلف فصولها .

٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤م). وهو من كتب التراجم التي تناولت أكابر العلماء من أهل القرن التاسع الذين استمرت حياتهم حتى القرن العاشرالهجري. ومن ضمن هؤلاء العلماء كانت ترجمات لأكابر علماء غرناطة لذلك استفادت منه الدراسة في بعض التراجم خلال الفصول .

كما أن الدراسة لم تستغن عن بعض الدراسات الحديثة حول موضوع البحث ويأتي في مقدمتها كتابا محمد عبدالله عنان نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ولسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه، وكتاب عبدالرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، وكتاب عبدالحميد هرامة، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري، الظواهر، القضايا والابنية، ودراسة محمد عبدالحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس من القرن الخامس إلى سقوط الأندلس، وكتاب خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية .

الفصل الثاني

الحياة السياسية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر

الفصل الثاني

الحياة السياسية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر

تمهيد:-

غَرْناطة أو إغْرَناطة وكلتاهما غير عربي أسم عاصمة كورة إلبيرة، وبينها وبين إلبيرة فرسخان وثلثا فرسخ* . وإلبيرة أعظم كور الأندلس. وكانت تسمى قديماً بقَسطيلِّية ، وسماها الروم سنام الأندلس(١). وكانت في عهد الروم، عاصمة الولاية، ولما فتح العرب المسلمون الأندلس كانت البيرة مدينة كبيرة عامرة وإلى جانبها مملكة غرناطة الصغيرة، ثم بمرور الزمن اضمحلت إلبيرة وخربت ونمت غرناطة وأصبحت منذ القرن الخامس الهجري قاعدة الولاية ثم أصبحت عاصمة لمملكة غرناطة(٢).

اشتهرت إلبيرة بعمارتها وبالحركة العلمية التي نمت فيها وكان بها مسجد يؤمه الكثير وكان مكتوباً على محرابه حتى زمن ابن الخطيب، بناه عام ٢٥٠هـ الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) على تأسيس المسجد القديم الذي بناه حنش بن عبد الله الصنعاني . ولكن الخراب دب بها وأنتقل أهلها منها أيام الفتنة البربرية سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م ولجأوا إلى غرناطة فصارت ((حاضرة الصقع، وأم المصر ، وبيضة ذلك الحق ، لحصانة وضعها ، وطيب هوائها ، ودرور مائها))(٣).

---

* الفرسخ مسافة تقدر بثلاثة أميال لذا فأن ما بين مدينة غرناطة ومدينة إلبيرة ثمانية أميال. فالتر هنتس ،المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة عن الألمانية كامل العسلي ،ط٢، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩٢، ص٩٤-٩٥. وسيشار له تالياً: هنتس ، المكاييل .

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م١،ص٩١.

(٢) المصدر نفسه ، م١، ص٩١ ، تعليقات المحقق ، حاشية (٢).

(٣) ابن الخطيب ، الإحاطة،م١،ص٩١-٩٣؛ محمد بن عبدالمنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢، نشر مكتبة لبنان ، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٩. وسيشار له تالياً : الحميري ، الروض المعطار .

وذكر ياقوت الحموي معنى غرناطة فقال ((ومعنى غرناطة رمانة بلسان غجم الأندلس سمى البلد لحسنة)) [١]أما محمد عبد الله عنان فيرى أن الباحثين قد اختلفوا في أصل تسمية غرناطة فبعضهم يرى أن أسم غرناطة يعود إلى عصر الرومان وأنة مشتق من الكلمة اللاتينية Granata ومعناها الرمانة وأنها سميت كذلك لجمالها وكثرة حدائق الرمان التي تحيط بها[٢]. وهناك رأي ثان يرى أن الاسم يعود إلى عهد القوط وأن كلمة غرناطة تتألف من مقطعين : ((ناطة)) وهو أسم قرية قديمة كانت تقع على مقربة من البيرة و((غار)) وهو المقطع الذي اضافه إليها المسلمون فصارت غرناطة . وهناك رأى ثالث يقول بأنها اسم لإحدى قبائل البربر سموها هكذا عند استيطانهم فيها . وهذان الرأيان الأخيران نقلهما محمد عبدالله عنان عن المستشرق الأسباني (Simonet)[٣] . ومن الصعوبة بمكان على الباحث الخروج براي نهائي أو ترجيح رأي على آخر .

ونقع غرناطة على خط عرض (١٧ ٣٧°) سبع وثلاثون درجة وسبع عشرة دقيقة شمالاً وعلى خط طول (٣٧ ٣°) غرباً[٤]. علماً أن ابن الخطيب ذكر أنها تقع على خط عرض (١٠ ٣٧°) سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق شمالاً – وهو مقارب للحقيقة - وذكر طولها (٣٠ ٢٧°) وينبغي الأخذ بنظر الاعتبار أن ابن الخطيب قد اتخذ بالتأكيد خط طول الصفر خطاً آخر هو غير غرنتش*. وغرناطة كثيرة المحاصيل الزراعية وخاصة الفواكه والحنطة وفي إقليمها معادن

---

(١) ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ،٥م ، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٩ ، م٤ ، ص١٩٥. وسيشار له تالياً : ياقوت ، معجم البلدان .

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة ،م ١ ، ص٩١-٩٣ ، حاشية (١) .

(٣) المصدر نفسه ، م١،ص ٩١، حاشية (١) .

(٤) Fullard , Harold, Philips New School Atlas , london , 1983, P. 9.

* ويبدو ان ابن الخطيب أتخذ بداية حدود برقة وهي بداية المغرب خط طول الصفر وهذا يتناسب مع التقسيم الى مشرق ومغرب ، فبرقة تقع الان على خط طول ٩٣ ٢٣° شرق غرنتش وعند جمع ٩٣ ٢٣° شرق غرنتش مع ٣٧ ٣° غرب غرنتش يكون ٣٠ ٢٧° غرباً وهو خط الطول الذي ذكره ابن الخطيب .

الذهب والفضة والحديد واللازورد[١].

اختلف المؤرخون في خبر فتح مدينة غرناطة فابن القوطية* يذكر أن طارق بن زياد عندما انتصر على جيش القوط وقتل الملك لذريق (Rodrigo) اقترح عليه يوليان (Julian) أن يقوم بتوزيع جيشه من أجل فتح بقية المدن الأندلسية وأن يتوجه طارق إلى طليطلة عاصمة الدولة القوطية. فبعث طارق جيشاً بقيادة مغيث الرومي إلى قرطبة وآخر إلى مالقة وأرسل جيشاً ثالثاً إلى غرناطة مدينة إلبيرة ولكن لم يذكر اسم قائده . وبعد أن تمكن الجيش المتوجه إلى مالقة من فتحها التحق بالجيش المرسل إلى غرناطة فحاصر الجيشان المدينة ثم فتحاها عنوة ، ووجدا بها طائفة من اليهود وأسكنوهم في قصبتها، وقد أصبحت هذه عادة متبعة لدى المسلمين متى وجدوا بمدينة يهوداً يجمعونهم في قصبتها ويضعون عليها جماعة من المسلمين لحراستها . ويرى آخرون أن فتح مدينة غرناطة تأخر إلى حين عبور موسى بن نصير إلى الأندلس في سنة ٩٣هـ/٧١٣م، إذ وجه ابنه عبد الأعلى بجيش إلى جهة تدمير فأفتتحها ثم مضى إلى إلبيرة فأفتتحها ثم توجه إلى مالقة[٢].وكانت غرناطة وقت افتتحها مدينة صغيرة من أعمال مدينة إلبيرة ، وتقع على مقربة منها من ناحية الجنوب[٣]. ولما استقر العرب الفاتحون فيها ، دخلها بعد ذلك العرب الشاميون مع الأمير بلج بن بشر القشيري سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م بعشرة آلاف فارس من أهل الشام يسمون

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ط٣، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٢١-٢٣ . وسيشار له تالياً ابن الخطيب ، اللمحة البدرية .

* أن ما ذكره ابن الخطيب لايوجد في كتاب افتتاح الاندلس المطبوع لابن القوطية ويبدو أن ابن الخطيب قد نقل عن نسخة اخرى كاملة من كتاب ابن القوطية ، لمقارنة ذلك انظر في ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق عبدالله انيس الطباع ،دار النشر للجامعيين، د.م، د.ت، ص٢٨ -٣٤ . وسيشار له تالياً : ابن القوطية ، تاريخ .

(٢) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٢٥-٢٦ .

(٣) محمد بن عبدالله عنان ، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، وهو العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام في الاندلس، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ١٩٦٦، ص٢١ . وسيشار له تالياً : عنان ، نهاية الأندلس .

البلجية أو "الشاميون" أما الداخلون مع موسى بن نصير وطارق بن زياد فيسمون بالبلديين . وسميت كورة إلبيرة أيضاً باسم دمشق لأنهم أسكنوا فيها جند دمشق واستقرت فيها القبائل العربية الشهيرة والتي استمر وجودها إلى عهد ابن الخطيب حسب قوله[1] وازداد عدد سكان غرناطة بسبب استيلاء الأسبان على معظم بلاد الأندلس وأصبحت غرناطة ملجأ لأهل تلك البلاد ومعقلاً لتجمع العساكر فيها[2].

ولم تمدنا المصادر المتوفرة عن أحداث أخرى في غرناطة طيلة عصر الولاة في الأندلس (٩٥-١٣٨هـ /٧١٤-٧٥٥م) ولكنها استمرت كإحدى مدن ولاية الأندلس شأنها شأن بقية المدن الأندلسية .

وتعود غرناطة إلى الأحداث يوم دخول عبد الرحمن الداخل الأندلس فبعد انتصاره على يوسف بن عبدالرحمن الفهري، ودخوله قصر قرطبة ، ترك الفهري قرطبة متوجهاً إلى غرناطة واستولى عليها ، إلا أن عبدالرحمن الداخل خرج من قرطبة إلى غرناطة فحاصره فيها واضطره إلى الاستسلام بعد إعطائه الأمان ، لكن ابن الفهري الذي كان بمدينة ماردة في الشمال حيث بلغته أخبار ما حدث لأبيه تقدم نحو قرطبة ودخلها واحتل قصرها. فلما علم عبدالرحمن بهذا الخبر ترك غرناطة متوجهاً نحو قرطبة ، فلما سمع ابن الفهري ، بخبر قدومه ترك غرناطة هارباً إلى طليطلة . وبعدها عاد عبد الرحمن مرة أخرى إلى غرناطة[3]. واستمرت غرناطة كإحدى المدن الأندلسية تحت ظل الدولة الأموية في الأندلس . وبرزت غرناطة كدويلة مستقلة في زمن الفتنة البربرية إذ استقل حاكمها زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي فيها عن الخلافة الأموية في قرطبة التي كانت تمر في عصر الفتنة البربرية وذلك بعد أن دخل سليمان بن الحكم (المستعين) على رأس جيش بربري إلى قرطبة وسيطر عليها واستولى على بقية المدن الأندلسية عام

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٢٦-٢٧.

(٢) احمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ٨م، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ،بيروت ، ١٩٦٨ ،م١ ، ص١٤٨.وسيشار له تالياً : المقري ، نفح الطيب .

(٣) ابن القوطية ، تاريخ ، ص٥٣-٥٥.

٤٠٣هـ /١٠١٣ م. أما زاوي بن زيري الصنهاجي فإنه بعد أن حكم غرناطة سبع سنين عبر إلى قومه البربر في المغرب العربي بعد أن استخلف ابن أخيه حبوس ماكسن فحكم غرناطة حتى وفاته سنة ٤٢٩هـ /١٠٣٨م . وبعد ذلك تولى السلطة فيها ابنه باديس حتى وفاته سنة ٤٦٥هـ /١٠٧٣م فتولى الأمر حفيده عبد الله بن بلقين بن باديس إلى أن خلع من قبل أمير المرابطين يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٣م(١).

واستمرت غرناطة تحت ظل المرابطين فتولى إمارتها أبو الحسن بن الحاج ومجوز وأخوه موسى وأبو يحيى بن بكر بن إبراهيم وأبو الطاهر تميم وأبو محمد بن مزدلي وأبو بكر بن أبي محمد وأبو طلحة الزبير بن عمر وعثمان بن بدو وعلى بن غانية إلى أن سقطت دولة المرابطين سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م(٢). وقد كان ابن غانية يقول للمرابطين عندما حانت وفاته مبيناً أهمية موقع غرناطة العسكري في الأندلس ((الأندلس درقة ، وغرناطة قبضتها ، فإذا جثمتم يا معشر المرابطين القبضة ، لم تخرج الدرقة من أيدكم)) (٣).

وعندما سقطت دولة المرابطين وقامت دولة الموحدين في المغرب على يد المهدي بن تومرت، ثم ضمت الأندلس إلى المغرب على يد خليفته الأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي سنة (٥٥٥هـ/١٠٦١م) عين ابناءه وأقر باءة على مدينة غرناطة كالسيد أبي سعيد عثمان بن الخليفة والسيد أبي إسحاق بن الخليفة والسيد أبي إبراهيم والسيد أبي عبد الله(٤).

ولما سقطت دولة الموحدين تولى أمر الأندلس الأمير المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م(٥) وكان أول ظهوره

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٣١، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسيني المعروف بالشريف الادريسي ، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،٢م،ط١،عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩، م٢، ص٥٦٩.

(٢) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٣٢.

(٣) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م١، ص٩٧.

(٤) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٣٢.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

بالصخيرات من عمل مرسية[1]. ثم أصبحت غرناطة تحت سـيطرته[2] وسـمى بأمير المسلمين ، ومن المدن الأندلسية الأخرى التى أصبحت تحت سيطرته إضافة إلى غرناطة مرسية وقرطبة وأشبيلية ومالقة والمرية[3]. ودعا للعباسـيين إذ ورده التقليد والخلعة من الخليفة العباسي المستنصر بالله ببغداد[4]. وهو من أعقاب بنـي هود ملوك الطوائف[5]. ثم يأتي دور بني نصر وانتزاعهم غرناطة منه [6].

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والـبربر ومـن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ٨حـ ، تحقيق خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكـار ، ط٢، بيروت ، ١٩٨٨ ،حـ٤، ص٢١٥. وسيشار له تالياً : ابن خلدون ، العبر .

(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة ،م١،ص١٤١-١٤٢.

(٣) ابن الخطيب ،أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، المسمى تـاريخ أسبانيا الإسلامية ، ٣ق ، تحقيـق إ . ليفـي بروفنسـال ، دار المكشـوف ، د.ت ، ق٢، ص٢٧٧-٢٧٩. وسيشار له تالياً : ابن الخطيب، أعمال الأعلام .

(٤) ابـن الخطيـب ، أعمـال الإعـلام ، ق٢، ص٢٧٩-٢٨٠؛ ابـن خلـدون ، العـبر ،جـ٤،ص٢١٦؛ احمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ١٥جـ ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين ،ط١،دار الكتـب العلميـة ، بيروت، لبنان، ١٩٨٧،جـ٥، ص٢٥١وسيشار له تالياً : القلقشندي ، صبح الأعشي .

(٥) ابن خلدون ،العبر ،جـ٤،ص٢١٦.

(٦)ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٣٢.

قيام دولة بنى الأحمر :-

قامت دولة بنى نصر* ، وهي التي تسمى كذلك بدولة بني الأحمر** سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م على يد محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر[١] وكانت مبايعته في بلدة أرجونه أحد حصون قرطبة ثم ضم إليه كلاً من قرطبة وقرمونة وأشبيلية[٢]، بعد أن أنتزعها من محمد بن يوسف بن هود. ودعا ابن نصر للأمير الحفصي أبي زكريا يحيى صاحب أفريقيا. وانضمت إلى طاعته المدن الأندلسية جيان وشريش في السنة الثانية من مبايعته أي سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م. ثم بايع لابن هود سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م عند وصول خبر تقليد الخليفة العباسي المستنصر بالله من بغداد لابن هود . ثم تمكن من ضم أشبيلة سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م لكن ابن هود أسترجعها منه بعد شهر[٣].

تمكن ابن نصر من التغلب على غرناطة في عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م، وبايعه أهلها وهو بمدينة جيان ، فقدم إليها ونزلها وبنى بها حصن الحمراء واتخذه منزلاً له ، وهو المعبر عنه بالقصبة الحمراء وهي القلعة . ثم استطاع أن يضم إلى مملكته الفتية كلاً من مالقة والمرية ولورقة [٤]. وهذه الرواية لا تختلف كثيراً عن رواية ثانية مشابهة لها إلا أنها تضيف أنه كان في بادئ الأمر راعياً تعرف على عصابة من قطاع الطرق ، وأنضم إليهم ، وأظهر جزأة فائقة ،

---

* سميت بذلك نسبة إلى جد الأسرة وهو نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري. ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٣-٤٢.

** لم تشر المصادر صراحة إلى سبب تسمية مؤسس الدولة بابن الأحمر، وربما تكون هذه التسمية قد جاءت بسبب قيامه ببناء حصن الحمراء عند دخوله غرناطة واعتلائه الحكم. المصدر نفسه، ص٤٣.

(١) ابن خلدون ، العبر ،جـ٤، ص٢١٧-٢١٨؛ القلقشندي ، صبح الأعشي ،جـ٥، ص٢٥١.

(٢) ابن خلدون ، العبر ،جـ٤،ص٢١٧؛ تقي الدين احمد بن علي المقريزي ، النقود الإسلاميه المسمي بشذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق وإضافات محمد السيد علي بحر العلوم ، ط٥، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٧، ص٢٧٨.

(٣) ابن خلدون ، العبر ، جـ٤، ص٢١٧-٢١٨؛ القلقشندي ، صبح الأعشي، جـ٥، ص٢٥١، ينظر نص كتاب الخلافة المستنصر العباسي الذي أرسله إلى ابن هود وكذلك الكتاب الآخر الصادر عن الديوان العزيز في الدولة العباسية في ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٨٠-٢٨٦.

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشي، جـ٥،ص٢٥١-٢٥٢.

طائفة من المريدين والأنصار ، ثم ذهب لأرجونة فاجتمع أهلها على طاعته وبايعوه[1] ولقب ابن نصر بالغالب بالله أمير المسلمين الخزرجي الأنصاري الذي ينتسب إلى أمير الأنصار سعد بن عبادة سيد الخزرج[2]. وهناك رواية أخرى عن أصله تقول أنه أخو يحيى بن محمد الناصر من آل عبد المؤمن الموحدي الكومي[3]، ويبدو أن الرواية التي ترجع أصله إلى سعد بن عباده هي الأكثر صحة لان أكثر المؤرخين القدامى والمحدثين يقولون بها [4].

وبناء على ما تقدم فأن دولة بني الأحمر قامت سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م ، إلا أن غرناطة ضمت إليها سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م .

ويعلل ابن خلدون قيام دولة بني الأحمر بما يتفق مع نظريته في قيام الدولة على العصبية. فيقول أن ارتفاع شأن ابن الأحمر ومقارعته ابن هود ثم تمكنه من تأسيس الدولة بالاعتماد على عصابة قليلة من قرابته كانوا يسمونها الرؤساء ولم يحتج لأكثر منها لقلة العصائب بالأندلس . ويستمر ابن خلدون في قوله : ((فلا تظن إنه بغير عصابة فليس كذلك ، وقد كان مبدأه بعصابة إلا أنها قليلة وعلى قدر الحاجة فإن وطن الأندلس لقلة العصائب والقبائل فيه يستغني عن كثرة في التغلب عليهم))[5].

قامت مملكة غرناطة في ظروف عصيبة ، فالممالك الأسبانية وخاصة مملكة اراغون وقشتالة أخذت تستولي على القواعد الأندلسية المشهورة ، وبخاصة

---

(١) ضيا باشا ، الأندلس الذاهبة ، ٣جـ، تعريب عبدالرحمن ارشيدات ، مراجعة وتحقيق صلاح ارشيدات ، طـ١، نشر وزراة الثقافة ، مطابع الدستور التجارية ، عمان ، ١٩٨٩، جـ٣، ص٧٦. وسيشار له تالياً : ضيا باشا ، الاندلس الذاهبة .

(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٢، ص٩٢؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٥، ص٢٥١؛ ابن خلدون ، العبر ،جـ٤، ص١٨.

(٣) ضيا باشا ، الأندلس الذاهبة ، ص٧٦.

(٤) ابن الخطيب ، الإحاطة ،م٢، ص٩٢؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٥، ص٢٥١؛ ابن خلدون ، العبر ، جـ٤، ص٢١٨؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص ٣٨؛ ضيا باشا، الأندلس الذاهبة ، جـ٣، ص٧٦ .

(٥) ابن خلدون المقدمة ، ٤م ، لبنان ،١٩٩٢،م١،ص٢٩٨-٢٩٩. وسيشار له تالياً :ابن خلدون، المقدمة .

بعد مقتل الأمير ابن هود غيلة من قبل وزيره ، فبادر خايمي الأول (Jaimc I) ملك اراغون بالاستيلاء على بلنسية سنة ٦٣٦هـ /١٢٣٩م وكان قبل ذلك قد استولى على جزائر الأندلس الشرقية (جزائر البليار) خلال الأعوام ٦٢٧-٦٣٢هـ/١٢٣٠- ١٢٣٥م . وأتبع استيلاءه على بلنسيه بالاستيلاء على شاطبة ودانية ولقنت واوريولة وقرطاجنة في الأعوام ٦٤١- ٦٤٤هـ/ ١٢٤٤- ١٢٤٦م وسقطت مدينة مرسيه بيد فرناندو (Fernando) ملك قشتالة صلحاً عام ٦٤٠هـ ١٢٤٣م [١].

وكانت قرطبة قد سقطت بيد ملك قشتالة المذكور عام ٦٣٣هـ /١٢٣٦م وكذلك اشبيلية عام ٦٤٦هـ/١٢٤٩م[٢]. وهكذا على حد قول ابن خلدون كان ((العدو أثناء ذلك يلقم بلاد المسلمين وحصونهم من لدن عام عشرين أو قبله)) [٣].

وقد وصف السلطان المؤسس محمد الأول الغالب بالله بأنه كان متواضعاً بسيطاً نشأ في أرجونة في بيت فلاحي ، جندياً مرابطاً حازماً جدياً يشترك في المعارك بنفسه ويلبس خشن الثياب . وفي هذا يقول عنه ابن الخطيب ((كان هذا السلطان آيه من آيات الله في السذاجة والسلامة والجهورية ، جندياً ثغرياً شهماً أيّدا عظيم التجلد رافضاً للدعة والراحة ... جافي السلاح شديد الحزم موهوب الإقدام ... مباشراً للحرب بنفسه ، تتعالى الحكاة في موقع سلاحه وزنة دبّوزه. يخصف النعل ويلبس الخشن ويؤثر التبدى ويستشعر الجدَّ في أموره))[٤].

واحتوت مملكة غرناطة عند قيامها على رقعة جغرافية تشمل الطرف الجنوبي من جزيرة الأندلس جنوب نهر الوادي الكبير حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق . أي يحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة

---

(١) عنان ، نهاية الاندلس ، ص٣٤-٣٦.

(٢) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية، ص٤٧؛ عبدالرحمن علي الحجي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، ط١، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، الكويت/الرياض ، ١٩٧٦، ص٥١٧-٥١٨. وسيشار له تالياً : الحجي ، التاريخ الاندلسي.

(٣) ابن خلدون ، العبر ، جـ٤، ص٢١٩.

(٤) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٤٢-٤٣.

واشبيلية . ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر المتوسط . ومن الغرب ولاية قادس(١).

أما من الناحية الإدارية فكانت مملكة غرناطة تشمل ثلاث ولايات كبيرة هي : ولاية غرناطة وولاية المرية ،وولاية مالقة ويلحق بها منطقة جبل طارق والجزيرة الخضراء وطريف(٢).

سياسة مملكة غرناطة الداخلية :

أضطر سلطان غرناطة الأول محمد الغالب بالله ابن الأحمر بعد تملكه غرناطة لجمع المال بسبب احتياجات الدولة الفتية إلى بناء الخصون وتكوين الجيش وتوفير السلاح والعتاد ، وأتخذ كافة الاستعدادات في هذا الشأن. وبنى حصن الحمراء ، وجلب له الماء وسكنه . كما تولى الحسابات بنفسه وضغط على عماله من أجل توفير الأموال ، حتى غصت خزائنه بالذهب والفضة ووصفت أيامه بأنها أيام هناء ورفاه. وأحتاط للغذاء، فملأ بطن الجبل المتصل بحصنه حبوباً مختلفة(٣).

كما شرع ابن الأحمر في بناء قصر الحمراء البديع في منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بعد عودته من حصار أشبيلية . وكان يشرف على أعمال البناء ويوجه الصناع بنفسه ويختلط بالعمال والفنانين ويتناقش معهم في التفاصيل(٤). وأنتهج السلطان المؤسس ابن الأحمر سياسة داخلية إصلاحية فكان يعقد مجلساً عاماً للناس يومين في كل أسبوع ترفع إليه فيهما الشكاوي، ويتكلم معه شفاهاً طالبو الحاجات . وسمح للشعراء بدخول مجالسه

---

(١) عنان ، نهاية الاندلس ، ص٥٥.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٤٣.

(٤) وشنطون ايرفينج ، قصر الحمراء في الأدب والتاريخ ، ط١، نقله الى العربية وعلق حواشيه وقدم له أسماعيل العربي ،دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٤، ص٩٥. وسيشار له تالياً : ايرفينج ، قصر الحمراء .

ينشدونه الشعر وللوفود أن تدخل إليه. وكان يعقد مجلساً استشاريا يحضره أصحاب النصائح من أعيان غرناطة وقضاة الجماعة وأولو الرتب النبيهة في الخدمة . وكان عادة يفتتح هذا المجلس بقراءة أحاديث من الصحيحين ويختم بأعشار من القرآن الكريم. ثم ينتقل إلى مجلس خاص ينظر فيه في أمور ما يرفع إلى السلطان من عرائض الرعية . ورسائل أرباب المصالح ، ويحيلها إلى المختصين للنظر فيها . ويخصص أوقات العشاء للاجتماع بقرابته والأكل معهم ومن يأتي بعدهم في المرتبة من كبار القواد[1] ويؤثر عنه أنه أول من شرع الصدقة الجارية على ضعفاء أهل غرناطة التي استمرت إلى أيام ابن الخطيب[2].

ولى السلطان الأول ابن الأحمر أولاد بنتيه من بنى أشقيلولة كلاً من مدينة وادي آش ومالقة ، وأستمروا في طاعتهم للسلطان إلى أن تولى ابنه محمد بن محمد الملقب بالفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٣-١٣٠٢م) ولاية العهد ، فحدث امتعاض ومنافسة بين بنى أشقيلولة وولي العهد أدى إلى قيامهم بحركة تمرد في عهد جدهم السلطان ، ولكنهم لم يقطعوا المستحقات المالية عنه ولم يسكوا عملة مستقلة ولم يعينوا قاضياً مستقلاً إلى أن توفي السلطان الجد. فلما تولى السلطان الفقيه الأمر، أعلنوا استقلالهم عنه ، فتفاقمت الفتنة واشتدت المحنة ، ووصلت إلى حد قتالهم، فاستعانوا بالأسبان ضده وأعلنوا العداء له وشجع ذلك الآخرين على القيام بحركات تمرد بمدن أخرى ألا أن السلطان الفقيه تمكن من أعادة الأمور إلى نصابها بعد جهد جهيد، ونظراً لما تمتع به من دهاء وكثرة مال وكرم[3].

ولما عبر إلى الأندلس السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق مجاهداً ومناصراً السلطان ابن الأحمر المعروف بالفقيه ، طلب بنو أشقيلولة من السلطان المريني الحماية ووضعوا أنفسهم ومن معهم من فرسان ورجال في خدمته. وتمكن السلطان المريني من جمعهم في مجلسه بالجزيرة الخضراء مع السلطان ابن الأحمر من أجل الوصول إلى حل للمشكلة ، لكن الاجتماع هذا لم يؤد إلى نتائج

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٤٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٣.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ق٢، ص٢٨٧-٢٨٨.

ترضى الجانبين المتنازعين بل أدت إلى خلق وحشة بين السلطانين ومن أجل الدفاع عن غرناطة والجهاد ضد الأسبان قدم السلطان ابن الأحمر بعض التنازلات للسلطان المريني ، وتكررت مشاركتهم في حرب الأسبان ، ألا أن ابن الاحمر طلب من بنى أشقيلولة إعادة مالقة إلى مملكته والانضواء تحت لوائه وكانت قد حدثت عدة معارك بين بنى أشقيلولة وخالهم السلطان ابن الأحمر أسفرت عن قتل فرج أحد الأخوة الأربعة ، فأصرت والدة القتيل أخت السلطان بسبب مقتل ابنها ونكاية بأخيها السلطان أن يخرج بنو أشقيلولة عن مالقه إلى حصن قرطبة ، ويتنازلوا عن مالقة ليس إلى السلطان ابن الأحمر أنما للسلطان المريني يعقوب سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٧م. وفعلاً أصبحت تحت سيطرة السلطان المريني المذكور الذي دخلها في شوال من هذه السنة وتركها بعد أن عين والياً عليها من قبله هو عمر بن محلي[١].

ولكن السلطان ابن الأحمر تمكن من إعادة مالقة إلى حظيرة مملكة غرناطة بعد إقناع والي المرينيين عمر بن محلي بتركها لابن الأحمر مقابل تعويضه بمدينة المنكب وحصن شلو بانية. وكان ذلك بوساطة طلحه أخي عمر أحد رجال ابن الأحمر في غر ناطة الذي استطاع أن يقنع أخاه بذلك . وفعلاً قام عمر بالقبض على رجال وخدام السلطان المريني ومنهم أحد بنى أشقيلولة، وأعلن تبعية مالقة للسلطان ابن الأحمر . وأنتقل عمر إلى المنكب لكن السلطان ابن الأحمر لم بتركة يهنأ بها فحاول استردادها بطرق سلمية وحربية. وحاصر ابن الأحمر حصن شلوبا نية ورماه بالمنجنيق فأضطر عمر إلى قبول موضوع النيابة أي أن يرسل ابن الأحمر أحد ابناء عمه نائباً إلى الحصن المذكور ، فلما أرسل ابن الأحمر ابن العم قبض عليه عمر وأقسم إذا قام السلطان برمي حجر من مناجيقه فإنه سيرمي بابن العم من أعلى سور الحصن . ولكن ابن الأحمر تمكن من تدبير مكيدة لعمر وتظاهر بملاطفته واستدعاه إلى غر ناطة فلما قرب منها ، أوعز إلى من يقوم بقتله فقتلوه وتخلص منه[٢].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها، ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص٢٢٠-٢٢١ .

(٢) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ق٢، ص٢٨٧-٢٨٨ .

ويعود الفضل للسلطان ابن الأحمر الملقب بالفقيه في اجتثاث بقية المتمردين من بني أشقيلولة من كافة المدن والحصون الأندلسية والتي كان آخرها إجلاؤهم عن مدينة وادي آش إلى قصر كتامة بالمغرب سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م بموجب الاتفاق بين السلطانين الغرناطي والمريني[١].

ومن المشكلات التي واجهت السلطان محمد الفقيه امتلاك بني الحكيم مدينة رندة وتمسكهم بها، وذلك من قبل السلطان المريني يوسف، عند عودته من الأندلس إلى المغرب بعد فشل عملية استرجاع طريف عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م. إذ عين الوزيرين الأخوين أبا زكريا وأبا إسحاق ابني أبي القاسم ابن الحكيم حاكمين على رندة، ولما طالب السلطان ابن الأحمر بضمها إلى مملكته تمسك بنو الحكيم بها، وتفاقمت الفتنة حتى أوائل عام ٦٩٥هـ/١٢٩٦م وانتهت بتخلي بني الحكيم عنها للسلطان ابن الأحمر بعد شروط عامة اشترطوها على ابن الأحمر من أجل مصلحة القطر الأندلسي وأهله منها أن لا يلي بلدهم أحد من قرابة السلطان ، وأن لا ينزل غازٍ من المغاربة بدار من دور المدينة . وأن يسقط التبعات المالية عن الأهالي[٢].

وتولى مملكة غرناطة السلطان الثالث محمد بن محمد المعروف بالمخلوع بعد وفاة أبيه عام ٧٠١هـ /١٣٠١م الذي خبر السياسة في حياة أبيه فأصبح مليئاً بالتجربة والحنكة وجنى ثمار جده وأبيه وسار على نهجهما فكانت أيام حكمه أيام رخاء واستقرار[٣]. وكان صارماً تغلب علية الفظاظة والقسوة[٤]. وذكرت له بعض المواقف التي تدل على تلك القسوة وسفك الدماء[٥].

ومن ابرز مظاهر عهده صرفه تدبير أمور المملكة إلى وزيره أبي عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي الذي ما لبث أن أستبد عليه وتغلب على أمره

---

(١) المصدر نفسه، ق٢، ص٢٩٠-٢٩١.

(٢) المصدر نفسه ، ق٢، ص٢٩١-٢٩٢.

(٣) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٦٠-٦١، الاحاطة ، م١،ص٥٤٤-٥٤٥.

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م١، ص٥٤٤-٥٤٧، اللمحة البدرية ، ص٦١.

(٥) ابن الخطيب، الاحاطة، م١، ص٥٤٧-٥٤٨.

واستولى على كافة شؤون مملكته[1]. وقد تولى الكتابة للسلطان المذكور صفوة من الأدباء الكتاب والشعراء الذين تتباهى بهم بلاطات الملوك[2] ومن أعظم أعماله العمرانية بناؤه المسجد الأعظم بالحمراء في غرناطة[3]. ومن أحداث عصره تمرد قريبه أبو الحجاج بن نصر بمدينة وادي آش فتمكن السلطان من الانتصار عليه وأمر بقتله صبراً[4].

وكانت نهاية السلطان محمد الملقب بالمخلوع سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م على يد أخيه أبي الجيوش نصر الذي خلعه وأجبره على التنازل وتوقيع وثيقة خلعه. ثم قتل هو ووزيره ابن الحكيم ونهبت دوره[5].

لكن السلطان الرابع نصر الذي خلع أخاه لم يحسن قيادة البلاد ، فنقم الناس علية لسوء سيرته وسيرة وزيره ابن الحاج ولإثارته حقد مشيخة الغزاة . وتفرق شمل المسلمين في مملكة غرناطة بسبب الفتن والأزمات، إضافة إلى تكالب الأسبان في هذه الفترة الذي زاد الطين بله وزاد سخط الناس عليه. وقد وصف ابن الخطيب سوء عهده فقال : ((وكانت أيامه كما شاء الله أيام نحس مستمر شملت المسلمين فيها الأزمة ، وأحاط بهم الذعر وكلب العدو)) [6]. وقال ابن خلدون : ((فلما تملك أبو الجيوش غرناطة واستولى على سلطانهم بها ساءت سيرته وسيرة وزيره ابن الحاج ، وأحقد الأعياص من بني مرين واستظهر الرعية بالقهر والعسف)) [7]. وانطلقت حركة التمرد من مدينة مالقة ضده بقيادة حاكم ولاية مالقة أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف وأبيه أبي الوليد إسماعيل ابن

---

(١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٦٣؛ الإحاطة، م١، ص٥٤٩؛ ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص٢٢١.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٦٤؛ الإحاطة، م١، ص٥٤٩.

(٣) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٦٢-٦٣؛ الإحاطة ، م١، ص٥٤٦-٥٤٧.

(٤) ابن الخطيب ، اللمحة البدريه ، ص٦٦؛ الإحاطة ، م١،ص٥٥١-٥٥٢.

(٥) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٦٧؛ الإحاطة ،م١، ص٣٨٤،٥٥٢-٥٥٣.

(٦) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٧٠.

(٧) ابن خلدون ، العبر ، جـ٤،ص٢٢٢.

أخت السلطان نصر، وبتحريض ومساعده شيخ الغزاة عثمان . وكـــانت نتيجتـــها مبايعة أبي الوليد سلطاناً في مالقة أولاً ثم زحف، إلى غرناطة ، وأكــره الســلطان نصر على التنازل عن الملك، وصالحه على ترك غرناطة والأقامة فـي وادي آش حتى وفاته سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م(١).

وهكذا انتقلت سلطنة بني الأحمر إلى فرع ثان هو فـــرع إســماعيل ابــن يوسف أخي محمد بن يوسف مؤسس الدولة . أي أنه لم يتقلد السلطنة مـــن فـــرع محمد بن يوسف. سوى أربعة سلاطين فقط . واستمر الحكم في الفرع الإسماعيلي حتى سقوط المملكة .

امتدحت سيرة السلطان أبي الوليد إسماعيل بن فرج فقال عنه ابن الخطيب بأنه ((بذل العدل في رعيته ... واجتهد في مدافعة عدو الله وعدوه ، وسد ثلــم ثغره ، وكان غرة في قومه ، ودرة في بيته ، وحسنه مـــن حســـنات دهـــره))(٢). ووصفه ابن حجر بأنه ((سلطان مهيب شجاع حازم ناهض بأعباء الملـــك عديـــم النظير عديم السطوة)) (٣)، وكان شديداً على أهل البدع. ودعا إلى الاقتصار فـــي الخوض بالمسائل التي تحتاج إليها الملة الإسلامية . وفي مناقشة جرت في مجلسه حول أصول الدين قال : ((أصول الدين عندي (قل هو الله أحد) (السورة)، وهذا وأشار إلى سيفه)) (٤). ويبدو في قوله هذا تأثره بالموحدين قبله.وبذل أموالاً كثـيرة في فداء الأسرى(٥).

وكان متشددا في إقامة الحدود وإراقة المسكرات وحظـــر تـــبرج الفتيـــات

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدريـــة ، ص٧٥-٧٦،٨٢-٨٤؛ الإحاطـــة ،م١، ص٣٨٤-٣٨٧؛ ابن خلدون ، العبر ، جـــ٤، ص٢٢١-٢٢٢.

(٢) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٧٨.

(٣) احمد بن محمد بن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المائـــة الثامنـــة ، ٤جـــ، ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت ، لبنـــان ، ١٩٩٧، جـ١، ص٢١٩. وسيشار له تالياً: ابن حجر ، الدرر

(٤) ابن الخطيب ،اللمحة البدرية ، ص٨٤.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

للرجال في الولائم ، وقصر طربهن على جنسهن من الناس(١).

وقتل السلطان أبو الوليد إسماعيل غيلة بباب قصره ، من قبل أحد أقربائه سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م(٢) وقد رثاه الكثيرون(٣).

وتولى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل مملكة غرناطة يوم وفاة أبيه وهو صبي صغير عمره حوالي تسع سنوات وهو أول من بويع من البيت النصري بهذا السن وكان سبباً لتأليف ابن الخطيب كتابه أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الأحتلام من ملوك الإسلام* (٤).

وقد وصف السلطان السادس محمد ابن الأحمر هذا بأنه كان شجاعاً إلى حد التهور وكان فارساً خيالاً ماهراً في ركب الجياد(٥).

ومن المشكلات التي حدثت في عهده أن نشأ خلاف بين وزيره ابن المحروق وبين شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان ابن أبي العلاء أدى إلى التحاق شيخ الغزاة بساحل المرية واستدعاء شيخ الغزاة هذا لهم السلطان محمد بن فرج من تلمسان ومبايعته بالملك سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م فأغتنم ملك قشتالة الفونش الحادي عشر (Alfonso XI) هذا الخلاف وقام بعدة هجمات على أطراف مملكة غرناطة مما أضطر السلطان إلى مهادنة شيخ الغزاة عثمان ، وعاد منافس السلطان محمد

---

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ،م١، ص٣٨٧-٣٨٨؛ اللمحة البدرية ، ص٨٤.

(٢) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ،ص٨٧، الإحاطة ، م١،ص٣٩٢-٣٩٤؛ ابن خلدون ، العبر، جـ٤،ص٢٢٢.

(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٨٩؛ الإحاطة، م١، ص٣٩٥؛ اعمال الاعلام، ق٢، ص٣٩٥؛ ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص٢٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٥٢.

* ويقصد بذلك انه الف كتابه ليجمع فيه ملوك المسلمين الذين بويعوا قبل سن الاحتلام ، ومنهم هذا السلطان . أي أن هنالك سوابق لاعتلاء الأطفال العروش ، قبل تقلد السلطان المريني الطفل أبي زيان عرش الدولة المرنية والذي ألف الكتاب من أجله ، ينظر ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق٢، ص ز، ح. مقدمة المحقق .

(٤) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق٢، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٥) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٩٠-٩٢؛ الإحاطة ، م١، ص٥٣٢-٥٣٤.

بن فرج إلى مكانه في تلمسان[1]. كما أعيد أبو سعيد إلى مشيخة الغـــزاة، ونـــال الحظوة نفسها عند السلطان ابن الأحمر حتى وفاته سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م[2].

اغتيل السلطان شاباً لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره بعـــد اســـتخلاصه جبل طارق من يد الأسبان أثناء عودته مع جيشه إلى عاصمته غرناطـــة ، علـــى أيدي جماعة من المتآمرين عليه بتحريض من رؤساء جنده المغاربة ، بني العـــلاء سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م[3].

وتولى السلطان أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بعد اغتيال أخيـــه السلطان محمد[4]. وقد وصف بأنه من جلة الملوك عقلاً[5]. ومهابـــة مـــائلاً إلـــى الهدنة[6].

ويبدو أن مملكة غرناطة قد مرت بأزمة مالية جعلت أبا الحجاج يتبع سياسة جديدة بتعين وزراء له من الأغنياء في سبيل تسديد عوز الدولة من الأموال. فعين لوزارته في بداية عهده التاجر وصاحب العقارات الثمينة إبراهيم بن عبـــد الـــبر طمعاً بما في يده من أموال وتسديداً لحالة النقص في أموال الدولة، ولكن السـلطان عزله عن الوزارة بناءً على طلب كبار رجال حاشيته وتولى الوزارة الحاجب أبـــو النعيم أملاً في مقدرته على تسديد النقص الحاصل في أموال الدولة. وأعطيت لـــه صلاحيات واسعة واستبد في تنفيذ الأمـــور وتعييـــن الـــولاة والعمـــال وجـــواب المخاطبات إلى الملوك وتدبير شؤون رعايا الدولة وقيادة الجيوش .إلا أن السلطان قبض عليه وعزله عن الوزارة سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م[7].

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٩٤؛ الإحاطة ، م١، ص٥٣٧.

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق٢، ص٢٩٦-٢٩٧؛ اللمحـــة البدريـــة ، ص٩٣-٩٤؛ الإحاطة ، م١، ص٣٥-٣٦.

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق٢، ص٢٩٧-٢٩٨؛ اللمحـــة البدريـــة ، ص٩٦-٩٧؛ الإحاطة، م١، ص٥٤٠-٥٤١.

(٤) ابن الخطيب ، الإحاطة ،م١، ص٥٤١.

(٥) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق٢،ص٣٠٥.

(٦) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١٠٢.

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٠٣.

وقام السلطان أبو الحجاج بإلقاء القبض على شيخ الغزاة أبي ثابت عامر بن عثمان عندما قبض عليه وعلى أخوته أخذاً بثأر أخيه السلطان محمد وتعيين شيخ آخر للغزاة من ابناء عمومتهم هو يحي بن عمر بن رحو(١).

وعلى الرغم من أن أبا الحجاج كان يتمتع بحظ وافر من الشجاعة فقد كان الغالب على أيامه الهدنة والسلم مع الأسبان، ومع ذلك فقد اضطرته الظروف أكثر من مرة إلى حمل السلاح ضدهم (٢).

ومن أبرز أعمال أبي الحجاج العمرانية بناؤه المدرسة العجيبة في غرناطة وفي ذلك يقول ابن الخطيب : "وفي أيامه بنيت المدرسة العجيبة بكر المدارس في حضرته ، فتمت وكملت أوقافه"(٣). وقد أزيل بناؤها الأصلي في القرن الثامن عشر، ولم يبق من مبناها القديم سوى الجزء الذي يضم المحراب الذي أعيد ترميمه(٤). وقد أنشأ مدارس في الكثير من القرى داخل مملكته ، وفرض على كل قرية يزيد عدد منازلها عن أثنى عشر منزلاً أن تبني مسجداً(٥).

وأتم أعمال تشييد قصر الحمراء الذي بدأه السلطان الأول محمد بن يوسف بن الأحمر ، فقام بتشييد قاعة القضاء التي يشكل بابها المدخل الرئيس لقصر الحمراء ، وتمت هذه الأعمال في الباب سنة ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م وقد قام بزخرفة عدد من قاعات القصر وبهوه ، كما يشاهد ذلك في النقوش الكتابية على جدران القصر ، تلك النقوش التي يرد فيها اسمه كثيراً (٦).

وبنى أيضاً الحصن العظيم المشهور في مالقة فقد أشاد ابن الخطيب بمناعة

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١٠٥؛ ابن خلدون ، العبر ،جـ٤، ص٢٢٣.

(٢) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١٠٩؛ ايرفينج ، قصر الحمراء ، ص٩٨.

(٣) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١٠٩.

(٤) عبد الحكيم ذنون ، افاق غرناطة ، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ، ط١، دار المعرفة، مطبعة الصباح ، دمشق ، ١٩٨٨، ص١١. وسيشار له تاليا : ذنون ، افاق غرناطة
" Gharnata " EI2 ,Vol, II, leiden ,1983 p.1015. ,

(٥) ايرفينج ، قصر الحمراء ، ص٩٩.

(٦) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

هذا الحصن الذي يعد مفخرة من مفاخر هذا السلطان[١].

وكانت نهايته أن طعن في الركعة الأخيرة من صلاة يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م[٢].

بعد اغتيال السلطان يوسف أقيم ابنه محمد بن يوسف الغني بالله مكانه في ضحوة عيد الفطر من عام ٧٥٥هـ /١٣٥٤م ، ثم خلع لمدة ثلاث سنوات ٧٦٠-٧٦٣هـ/١٣٥٩-١٣٦٢ م من قبل أخيه إسماعيل الثاني ،وعاد إلى العرش مرة ثانية سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م إلى وفاته سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م وفي هذا يقول ابن الخطيب (إذ هو ذو دولتين) [٣].

وامتدح ابن الخطيب سلطانه الغني بالله في كتابيه اللمحة البدرية والإحاطة في أخبار غرناطة ولكنه لم يفعل ذلك في كتابه أعمال الأعلام الذي ألفه أثناء خلافه معه وهو هارب منه في المغرب فقال عنه : " أمير المسلمين لهذا العهد بالأندلس ، صدر الصدور ، وعلم الأعلام ، وخليفة الله ، وعماد الإسلام، وقدوة هذا البيت الأصيل .... الذي، لا تبلغ الأوصاف مداه، ولا توفي العبارة حقه"[٤]. وأنه يتصف بالخلق الرفيع والوقار والسكينة كريماً مائلاً إلى الخير[٥].

كانت أيامه الأولى هادئة وقليلة المشاكل ، ساد الأمن فيها[٦]. ونال رضى الرعية والخاصة ، وعلت في عهده منزلة الأكفاء وأصحاب العلم وكان متواضعاً يتودد إلى الرعية بسيره في شوارع غرناطة دون تصنع ولا تكبر[٧].

وكان شيخ الغزاة ورئيس الجند الغربي في أول عهده يحي بن عمر بن

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١٠٩.

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق٢، ص٣٠٦؛ اللمحة البدرية ، ص١١٠ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٥، ص٢٥٣؛ المقري ، نفح الطيب ،م٥، ص٨١.

(٣) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٢، ص١٥.

(٤) المصدر نفسه ، م٢، ص١٣.

(٥) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١١٣.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

رحو الذي اتخذه أيضاً مستشاراً له وقد أثنى ابن الخطيب على شيخ الغزاة هذا ثناءً كبيراً[١].

ولم يعكر أيامه الهادئة إلا عصيان عيسى بن أبي منديل العسكري بجبل طارق سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م إلا أن أنصاره خذلوه فقبضوا عليه وعلى ولده وأرسلوهما إلى سبتة حيث قتلا هناك بإيعاز من السلطان الغرناطي الغني بالله ، فتخلص منه[٢].

الا ان الحادثة الكبيرة التي جرت على السلطان محمد الغني بالله هي مسألة خلعه وتعيين أخيه إسماعيل الثاني الذي كان معتقلاً في أحد قصور غرناطة وقد آزر السلطان الجديد إسماعيل صهره الرئيس أبا سعيد محمد السادس في الوصول إلى العرش وخلع الغني بالله. ففر الغني بالله إلى وادي أش ثم إلى المغرب فاستقبله السلطان المريني أبو سالم احسن استقبال واحتفل بقدومه وبوزيره ابن الخطيب في يوم مشهود ، وألقى ابن الخطيب في هذا الحفل قصيدة رائعة يدعو فيها السلطان أبا سالم لنصرة سلطانه الغني بالله المخلوع وكان لهذه القصيدة وقع في نفوس الناس وتأثر بها السلطان أبو سالم كل التأثر[٣].

وخلال الفترة القصيرة التي لم تتجاوز ثلاثة سنوات ٧٦٠-٧٦٣هـ/ ١٣٥٩-١٣٦٢م مرت مملكة غرناطة بفترة مضطربة عانت فيها ثلاث انقلابات سياسية متتابعة ذهب ضحيتها عدد من السلاطين والقادة والأمراء ، فقد سبقت الإشارة إلى الانقلاب الأول الذي انتهي بخلع سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله ونفيه إلى المغرب وتوليه أخيه إسماعيل الثاني .

أما الانقلاب الثاني فقد حدث في ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م وانتهى بقتل السلطان إسماعيل الثاني واعتلاء قاتله عرش غرناطة . والقاتل أحد ابناء عمومته وزوج شقيقته والذي آزر إسماعيل الثاني للوصول للعرش ، ويدعى الرئيس أبو عبد الله

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١١٦-١١٧؛ الاحاطة ، م٢، ص١٦-١٧.
(٢) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١٢٠؛ الاحاطة ، م٢، ص٢٣.
(٣) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١٢٠-١٢٥؛ الاحاطة ، م٢،ص٢٦-٢٩.

محمد السادس الغالب بالله ابن إسماعيل* وتسميه المصادر الأسبانية المعاصرة بأبي سعيد البرميخو**.

أما الانقلاب الثالث فقد حدث في سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م وانتهى بعودة السلطان المخلوع محمد الخامس الغني بالله إلى عرشه(١) بعد قتل السلطان البرميخو المغتصب من قبل ملك قشتالة بعد التجائه إليه(٢). وعندما عاد إلى عرشه أهمل منصب الوزارة وتولى الأمور بنفسه(٣).

أما ما يتعلق بمشيخة الغزاة في عهده الثاني فإنه أعاد شيخ الغزاة في دولته الأولى يحي بن عمر بن رحو واعتمد أيضاً على ابنه عثمان بن يحي، ولكنه نكبه ونكب ابنه وأودعهما السجن بعد سنة من توليه العرش أي في سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م(٤) ثم نفاهما وقلد مشيخة الغزاة شخصاً آخر من أقربائهما هو علي بن بدر الدين بن رحو وحتى وفاته سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٨م(٥) الذي كان صادقاً في موالاته للسلطان ووفائه له(٦). ثم قلد السلطان الغرناطي رئاسة مشيخة

---

* واسماعيل والد محمد السادس اسماعيل آخر غير السلطان السابق اسماعيل الثاني أي هناك تشابه في الأسماء وأن السلطان اسماعيل الثاني لم يكن والد السلطان محمد السادس.

** البرميخو تعني باللغة الاسبانية اللون الغالب للحمره وذلك نسبة الى لون لحيته وشعره، لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق احمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الاهواني، دار الشؤون العامة (أفاق عربية)، بغداد، دار النشر المغربية ،طبع بمطابع دار الشؤون العامة، د. ت، ص١٣. وسيشار له تالياً: ابن الخطيب، نفاضة الجراب.

(١) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص١٢-١٣، ١٥، ١٠٣، ١٨٣، ٢٩٩؛ أعمال الإعلام، ق٢، ص٣٠٦-٣١٠؛ اللمحة البدرية، ص١١٣-١١٤، ١٢٠-١٢٢، ١٢٨-١٢٩، الإحاطة، م٢، ص٢٦-٣١.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١،ص٥٣١؛ إعمال الأعلام،ق٢،ص٣٠٩.

(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١٣٠؛ الإحاطة، م٢،ص٣١.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١٣٠؛الإحاطة، م٢، ص٣٨؛ ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص٢٢٤.

(٥) ابن الخطيب، الاحاطة، م٢، ص٣٨؛ ابن خلدون؛ العبر، جـ٤،ص٢٢٤.

(٦) المقري، نفح الطيب، م١، ص٤٥٣-٤٥٤.

الغزاة لعبد الرحمن بن علي بن عمر[١]. ويقول ابن الخطيب فأحسن بعمله هذا الاختيار، وأعز الخطة، وهو القائم عليها لهذا العهد[٢] ومن الجدير بالذكر أن مشيخة الغزاة هذه ألغاها السلطان محمد الخامس في ولايته الثانية وتولى هو بنفسه قيادة الجنود المغاربة واستمرت هذه الحالة إلى أيام تأليف ابن خلدون لكتابه العبر أي إلى سنة ٧٨٣هـ/١٢٨١م[٣]. ويبدو أن المنصب قد أعيد مرة ثانية، فهناك إشارة إلى قيادة شيخ الغزاة يحي بن عمر بن عثمان معركة ضد الأسبان في مملكة قشتالة عام ٨٣٤ هـ /١٤٣١م[٤].

توفي السلطان محمد الخامس الغني بالله عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م وخلفه على عرش غرناطة ابنه أبو الحجاج يوسف الثاني[٥].وقد اعتبر البعض أن مملكة غرناطة قد خرجت من عصر القوة ودخلت عصر الانحلال السياسي والضعف[٦] وقام بأمر دولة أبي الحجاج يوسف الثاني مولى أبيه خالد واستبد بالأمور وقتل أخوة السلطان الثلاثة سعداً ومحمداً ونصراً في سجنهم. لكن السلطان سخط على خالد وقتله بعد أن وصله خبر بأنه يحاول اغتياله بالسم بالتآمر مع طبيبه الخاص

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١،ص٣٩؛ ابن خلدون، العبر، جـ٤،ص٢٢٤.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٣٩.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٥٠٢.

(٤) شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بابناء العمر في التاريخ، ٩جـ، مراقبةعبد الوهاب البخاري، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، جـ٨،ص٢٣١. وسيشار له تالياً : ابن حجر، انباء الغمر، محمد بن احمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٣جـ، حققها وكتب المقدمة والفهارس محمد مصطفى، ط١، دار احياء الكتب العربية، ١٩٧٢، جـ٢، ص١٣٨. وسيشار له تالياً : ابن اياس بدائع الزهور.

(٥) ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص٢٢٨.

(٦) ابو يحي محمد بن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٣جـ، تحقيق صلاح جرار، دار البشير، عمان، ١٩٨٩، جـ١، ص١١، مقدمة المحقق. وسيشار له تالياً : ابن عاصم، جنة الرضا.

يحي بن الصائغ اليهودي الذي قتل هو الآخر[١]. وتوفي السلطان أبو الحجاج يوسف الثاني سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م وتولى بعده ابنه محمد السابع المستعين[٢] .

ومن أول الأعمال التي قام بها هو القبض على أخيه يوسف منافسه على العرش وشدد في الحجر عليه . وقد وصف السلطان محمد السابع بأنه وافر العنف والجرأة بعيد عن الأطماع ، لكنه في الوقت نفسه كان أميراً موهوباً رفيع الخلال فياض العزم والشجاعة [٣].

وأعاد السلطان محمد السابع ابن زمرك إلى الوزارة وهو الذي نكبه جده السلطان الغني بالله ونفاه من غرناطة ، ولكن لم يلبث ابن زمرك هذه المرة سوى أشهر قلائل أساء فيها السيرة ، فداهمه جماعة بمنزله فقتلوه وأهله سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م [٤].

توفي السلطان محمد السابع سنة ٨١٠هـ/١٤٠٨ م وتولى بعده أخوه أبو الحجاج يوسف الثالث بن يوسف الثاني[٥].الذي كان سجيناً طوال حكم أخيه السلطان محمد السابع بقلعة شلوبانية فدخل غرناطة في حفل ضخم واستقبله سكانها بحماسة وكانت الرعية تعلق عليه آمالاً كبيرة وكان يتمتع بصفات حسنة . إذ كان راجح العقل بارع السياسة عظيم الفروسية والنجدة محباً لرعيته ، وقد عد البعض حكمه صفحة زاهية في تاريخ مملكة غرناطة [٦].

وتوفي يوسف الثالث سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م وخلف على عرش غرناطة ابنه

---

(١) ابن خلدون ، العبر ،جـ٤،ص٢٢٨

(٢) ابن خلدون ، العبر ،جـ٤،ص٢٢٨؛ زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة زكي محمد حسن وحسن احمد محمود ، دار الرائد العربي ، مطبعة جواد للطباعة والتصوير ، بيروت ، ١٩٨٠، ص٩٤.

(٣) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٠.

(٤) المقري ، نفح الطيب ، جـ٧، ص١٦٩–١٧٠.

(٥) J.D Latham , "Naṣrids, EI^2.Vol ,VII ,Leiden , 1983.p.1020.

وسيشار له تالياً :– latham, "Naṣrids.

(٦) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٣–١٥٤.

أبو عبد الله محمد الثامن المتمسك الصغير [١] . ولكن محمد الثامن بن يوسف هـذا تم خلعه سنة ٨٢٢ هـ/١٤١٩م من قبل أبي عبد الله محمد التاسع الغالب بالله بـن نصر بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسـف الملقـب بالأيسر بمساعدة بني السراج [٢]. ويمكن اعتبار هذا التاريخ بداية عصر انحـلال مملكة غرناطة واضمحلالها فقد بدأ الخلاف بين ابناء البيت النصري وتصـارعوا على العرش، وكثرت فيه الفتن الداخلية والحروب الخارجية . وعـرف بسلسـلة طويلة من المؤامرات والاغتيالات والخيانات ، ومرت بمسلمي غرناطة ضـروب من المحن وألوان من الخذلان ومع ذلك عرف هذا العصر أيضـاً أمثلـة مـن البطولة والبسالة والصمود [٣] .

وقد حكم الغالب بالله محمد التاسع بن نصر الأيسر مملكة غرناطة أربـع مرات في السنوات ٨٣٠هـ/١٤٢٧م، ٨٣٤هـ/١٤٣١م،٨٤٩هـ/١٤٤٥م، ٨٥٧هـ/١٤٥٣م) وفي كل مرة كانت تقوم عليه ثورة يخلع على أثرها ثم يعـود إلى عرشه[٤]. وكان خلعه الأول عام ٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م بعد فشله في تجديد الهدنة مع مملكة قشتالة[٥]. وقد وصف السلطان الغالب بالله محمد التاسع الأيسر بأنه أمير صارم سيئ الصفات ، متعال على أهل دولته بعيداً عن الاتصال بشعبه لا يظـهر في أي مناسبة . وكان وزيره يوسف ابن السراج هو واسطته الوحيدة للاتصـال بالشعب وكبار رجال الدولة وهذا الوزير ينتمي إلى أسرة بني سراج الذين يقـترن اسمهم بحوادث مملكة غرناطة الذين غدت سيرتهم فيما بعد مورداً خصباً للقصص

---

(١) ابن عاصم، جنة الرضا، جـ١،ص١٢، مقدمة المحقق ، Latham , Nasrids, P.1020.

(٢) شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الضـوء اللامـع لاهـل القـرن التاسـع ، ١٢جـ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، جـ١٠،ص٦٨. وسيشار له تالياً السخاوي ، الضوء اللامع، ابن عاصم، جنة الرضا، ص١٣، مقدمـة المحقـق، Latham, "Nasrids, P.1025.

(٣) محمد بنشريفه ، البسطي، أخر شعراء الأندلس ،ط١، دار الغرب الإسـلامي ، بـيروت ، ١٩٨٥،ص٤٦. وسيشار له تالياً : بنشريفة ، البسطي ، Latham, "Nasrids , p.1025.

(٤) Latham, "Nasrids, p.1020.

(٥) Ibid , P.1025.

الخارقة. وقد كان حكم السلطان الأيسر بداية سلسلة الاضطرابات والقلاقل المتعاقبة وفي عهده ساءت الأحوال ، واشتد سخط الشعب عليه . ولم تجد محاولات الوزير ابن السراج نفعاً في تهدئة الأمور ففقد الأيسر عرشه أكثر من مرة وعاد إليه (١).

ومن الحوادث الداخلية التي وقعت في عهد الغالب بالله محمد التاسع الأيسر أن قامت حركة يوسف المدجن الذي دعى الناس إلى مبايعته ،وهو صوفي له أتباع كثيرون وصفوا بالغوغاء والأوباش ، فتمكنوا من عمل سفن وآلات حربية هاجموا فيها أرباض غرناطة هاتفين بخلع السلطان ، فتصدى له جيش السلطان فهرب ليلاً وتمكن خدام السلطان من قتله (٢).

وتولى يوسف الرابع بن المول عرش غرناطة عام ٨٣٤هـ/١٤٣١م بمساعدة ملك قشتالة خوان الثاني (Juan II) بعد أن تعهد ابن المول أن يحكم باسمه وتحت طاعته ، وعقد معه وثيقة بالخضوع قرر فيها أنه من أتباع ملك قشتالة وخدامه(٣). إلا أن يوسف الرابع هذا لم يحكم سوى ستة أشهر إذ تمكن محمد التاسع الأيسر من استرداد عرشه معتمداً على السلطان الحفصي أبي فارس والفونسو الخامس (Alfonso V) ، ملك أرغون المعادي لملك قشتالة . وتمكن محمد الأيسر من استرداد عرشه بعد أن ألحق هزيمة بالقشتاليين . ويظهر ميل ابن عاصم صاحب كتاب جنة الرضا إلى جانب محمد الأيسر عند وصفه كيفية دخول محمد الأيسر غرناطة وتفتيشه عن يوسف الرابع الذي وجد في خزانة بعرض الحائط مسدلاً عليها حصر بها يوهم أن ليس هناك شيئ الا لمن يعرفه سابقاً ويستمر في قوله "فقضى الله نحبه، وفرج الأزمة، وتدارك الامة وشفى من الغصة"(٤).

---

(١) عنان، نهاية الأندلس ، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) ابن عاصم ، جنة الرضا ، جـ١، ص١٦، ١٨٦-١٨٨.

(٣) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٨-١٦٠، توجد صورة معاهدة التحالف والخضوع التي جدد عقدها بين يوسف الرابع ابن المول وخوان الثاني ملك قشتالة باللغة العربية وفوقه بضعة أسطر من النص القشتالي من المعاهدة ، وقد عقدت هذه المعاهدة عام ٨٣٥هـ/١٤٣٢م ومحفوظه بدار المحفوظات العامة في سيمانكس برقم Pr-11-124 نقلاً عن عنان، المرجع نفسه، ص١٥٩.

(٤) ابن عاصم، جنة الرضا، جـ١، ص٣٠٣.

وبهذا عاد محمد التاسع في عام ٨٣٥هـ /١٤٣٢م إلى العرش وأمضى أطول فترات حكمه التي قطعت بفترة حكم محمد العاشر في (٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، ٨٥١/٨٥٠ هـ/١٤٤٦- ١٤٤٧م وفترة حكم يوسف الخامس ٨٤٩-٨٥٠هـ/١٤٤٥-١٤٤٦م)(١).

ومن الجدير بالذكر أن محمد الثامن المتمسك الصغير قتل عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م. أما الغالب بالله محمد التاسع الأيسر فحاول في فترة حكمه الرابعة والأخيرة إنهاء النزاع الداخلي ، والمشاركة بالحكم مع محمد الحادي عشر (٨٥٥-٨٥٧هـ/١٤٥١ -١٤٥٣ م) ابن محمد الثامن (٢) .

وعند وفاة محمد التاسع ٨٥٧هـ/١٤٥٣م كانت قشتالة تعاني من أزمات داخلية حول مسألة وراثة العرش الغرناطي لأنها تريد أن يصل مرشحها إلى حكم غرناطة ، حيث كان هنري (أنريق) الرابع (Enrique IV) ٨٥٨-٨٧٩ هـ/١٤٥٤-١٤٧٤م وبنو سراج يساندون حفيد يوسف الثالث ، سعد المستعين بالله (مولاي سعد) بن علي بن يوسف الثالث الذي حكم في الفترة ٨٥٨-٨٦٧هـ/١٤٥٤-١٤٦٤م حيث حكم سعد في مدينة أرشدونا أواسط ٨٥٨هـ/١٤٥٤م ونافسه محمد الحادي عشر الأصغر الذي كان يحكم غرناطة والذي فقد عرشه سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٥م(٣) .واستمر سعد سلطاناً لمملكة غرناطة ، حتى عام ٨٦٧هـ/١٤٦٤م ما عدا سنة واحدة تتخللها حتى سنة ٨٦٦-٨٦٧هـ/١٤٦٣- ١٤٦٤م التي كانت بالمنافسة مع يوسف الخامس (٤) ، إذ أعيد السلطان يوسف الخامس ابن إسماعيل في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م وحكم حتى أواخر سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٣م ، حينما وقع انقلاب جديد في مؤسسة العرش الغرناطي ذلك أن السلطان المستعين بالله سعد عاد فهاجم الحمراء مع أنصاره وانتزع العرش لنفسه

---

(١) Latham, "Nasrids, p.1025.

(٢) Ibid ,p.1025.

(٣) Ibid , p.1026.

(٤) Ibid, P. 1020.

وفر ابن إسماعيل وخصوم السلطان الجديد(١).

وهكذا فقد تناوب سبعة سلاطين ولأربع عشرة مرة حكم مملكة غرناطة في مدة سبع وأربعين سنة المضطربة (٨٢٠-٨٦٧هـ/١٤١٧-١٤٦٤م) هم : أبو عبد الله محمد الثامن المتمسك الصغير ، وأبو عبد الله محمد التاسع الغالب بالله الأيسر، وأبو الحجاج يوسف بن المول ، ومحمد العاشر الأصغر ، وسعد المستعين بالله (مولاي سعد) بن محمد الثامن، تولى فيها محمد الثامن المتمسك الصغير مرتين ومحمد التاسع الغالب بالله الأيسر أربع مرات ويوسف الرابع بن المول مرة واحدة ، ومحمد العاشر الأحنف مرتين ، ويوسف الخامس بن احمد مرتين ، ومحمد الحادي عشر الأصغر مرة واحدة ، منقسمة إلى فترتين واحدة بالاشتراك مع محمد التاسع والثانية بالتنافس مع سعد المستعين بالله ، وسعد المستعين بالله مرة واحدة تتخللها سنتان بالتنافس مع يوسف الخامس (٢).

أما سياسة مملكة غرناطة مع المغرب ، فقد كانت بنو مرين العمق المساند لها وكان تعاونهم ومشاركتهم الغرناطيين القتال ضد الأسبان وبصورة خاصة ضد مملكة قشتالة وإرسالهم قوة عسكرية مرتبة مقيمة بصورة دائمة في غرناطة مهمتها الجهاد والتي تبلورت وأصبحت خطة عسكرية في غرناطة ، وهذه الخطة هي خطة مشيخة الغزاة يتولاها رئيس يسمى شيخ الغزاة واقتصرت رئاسة المشيخة على ابناء أعمام السلاطين المرينيين وقد أدت مشيخة الغزاة دوراً جهادياً مجيداً حقق انتصارات رائعة على القشتاليين . نظراً لما تمتع به هؤلاء المقاتلون من شجاعة وجلد وتقشف وتحمل شدائد المعارك . وقد بدأت علاقات التعاون بين دولة بني الأحمر منذ عهد السلطان الأول محمد بن يوسف وبين الدولة المرينية عند ما عبر المرينيون واشتركوا مع ابن الأحمر في قتال الأسبان واستمرت سياسة استصراخ بني الأحمر سلاطين بني زيان وطلب النجدة منهم في العهود

---

(١) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٧-١٦٨.

(٢) Latham , "Nasrids ,p.1020.

اللاحقة [1].

أما سياسة مملكة غرناطة مع الممالك الأسبانية مملكة قشتالة وأرغون، فقد اقتصر الصراع العسكري بين مملكة غرناطة والأسبان بالدرجة الأولى مع مملكة قشتالة أما العلاقات مع مملكة ارغون فكانت في الغالب تتسم بالاتفاق وعقد المعاهدات والرسائل المتبادلة بين الطرفين كما تشير وثائق المعاهدات والرسائل بين الجانبين. والسبب الذي أدى إلى علاقات التفاهم هذه هو بعد مملكة ارغون عن مملكة غرناطة أولاً وثانياً الصراع والتنافس في أغلب الأوقات بين مملكتي ارغون وقشتالة إلى أن تغير موقف ارغون بعد اندماجها مع مملكة قشتالة في عهد الملكين فرناندو (Fernando) وايزابيلا (Isabel) اللذين أنهيا الحكم العربي الإسلامي في الأندلس باستيلائهما على غرناطة [2].

---

(١) ابن الخطيب، الاحاطة، م١، ص٥٦٣؛ اللمحة البدرية ، ص٥٥؛ كناسة الدكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري ، تحقيق محمد كمال شبانة، مراجعة حسن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص١٣،٣٦. وسيشار له تالياً : ابن الخطيب ، كناسة الدكان ؛ ابن خلدون ، العبر ، جـ٤، ص٢١٩،٢٢١؛ عبدالوهاب بنمنصور، اخر وثيقة إسلامية أندلسية، التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الهلال العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٣، ص١٦٨،١٧٢، عبدالعزيز الاهواني، سفارة سياسية من غرناطة الى القاهرة في القرن التاسع الهجري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة،١٩٥٤ ،م١٦،جـ١،ص١٠٣؛ شاكر مصطفى ، الأندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ص١٤٩.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٥٦١-٥٦٢؛ اللمحة البدرية، ص٤٧-٤٨،٩٢؛ ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر، طبع بمطابع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٧٣، ص٢٣، مقدمة المحقق. وسيشار له تالياً : ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٤٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٥٤؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص١٥٨-١٦٠؛ محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والادارية في الأندلس وشمال افريقيا، دراسة ونصوص، نشر مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٠، ص٤٦٨-٤٨٨.

أواخر عصر مملكة بني الأحمر في غرناطة (٨٦٧-٨٩٧ هـ)

إلى جانب المصادر الأجنبية تعود المصادر العربية – التي توقفت عن ذكر الحوادث الغرناطية – متضمنة الرواية العربية التي تلقي الضوء على الحوادث في غرناطة التي تبدأ سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٣م . ومع أن هذه المصادر اقتصرت على نبذ قليلة إلا أنها لا تخلو من فائدة حول حكم السلاطين الثلاثة الذين تناوبوا حكم مملكة غرناطة وهم أبو الحسن علي بن سعد وأخوه محمد المعروف بالزغل وأبو عبد الله محمد الصغير وهو ابن أبي الحسن علي المذكور . ويأتي في مقدمة هذه المصادر مصدر عربي ذو أهمية كبيرة يحمل عنوان ((نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر)) لمؤلف غرناطي مجهول عاصر أحداث سقوط غرناطة ، سجل فيه ما عاينه وعايشه من أحداث مملكة غرناطة وتاريخها في عهد آخر السلاطين الثلاثة المذكورين ، وكذلك المقري في كتابيه نفح الطيب وأزهار الرياض وخاصة فيما يتعلق بتاريخ غرناطة قبيل سقوطها ، وكتاب الذيل التام على دول الإسلام للسخاوي، والروض الباسم في حوادث العمر والتراجم للمؤرخ والرحالة المصري عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي الذي نشره دي لافيدا في العدد الأول من مجلة الأندلس عام ١٩٣٣ .

فقد تمكن أبو الحسن علي من عزل أبيه سعد المستعين بالله بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر وسجنه بقلعة المثلين، ثم نقله إلى مالقة حيث مات هناك[١]. ويزيد عبد الباسط أن سعداً لما ثار عليه ولده أبو الحسن كان بتحريض من بني سراج وأخرجه من غرناطة وامتلكها، فسار سعد إلى مالقة، وفي عام ٨٦٨هـ/١٤٦٤م عندما اشتد ضغط الأسبان على الأندلس عاد أبو الحسن فعقد صلحاً مع أبيه وأطلق سراحه ولكن سعد اختار الإقامة في المرية فلم يعترض ولده أبو الحسن، ولم يلبث أن توفي في أواخر هذا العام وعندئذ

---

(١) شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الذيل التام على دول الاسلام، تحقيق احمد عبدالله الحسو، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٨، ص٤٦٩. وسيشار له تالياً : السخاوي ، الذيل التام .

خلص العرش لأبي الحسن (١).

ثم حدثت بعد ذلك منازعات حول العرش بين أبي الحسن وأخيه أبي الحجاج يوسف. ويذكر عبد الباسط نفسه أنه قابل أبا الحسن في شهر جمادى الأولى من عام ٨٧٠هـ/كانون الأول ١٤٦٦م بخصنه دار الإمارة الذي يسمى حمراء غرناطة وأكرمه وأنس به(٢).

ويبدو أن التأهب العسكري والاستعداد لمقاومة الأسبان في غرناطة كان في هذا الوقت قد بلغ مستوى عالياً ، إضافة إلى الشجاعة التي اتصف بها أهلها فعبد الباسط يصف غرناطة في هذه السنة أي سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٦م بأنها (محشوة خشواً وأهلها من خيار أهل البلاد وأشجع الناس يقال أن بها ثمانين ألف رام بقوس الجوخ)(٣) وهذا يدل على أن بدايات حكم سلطان غرناطة أبو الحسن كانت قوية وأنه كان يمتلك جيشاً قوياً يستطيع به رد العدوان القشتالي على العاصمة غرناطة.

ويشير عبد الباسط أيضاً إلى دور العامة من أهل غرناطة في تنصيب سلاطينها فمن رضوا عنه أبقوه في السلطنة ومن لم يرضوا عنه خلعوه (٤).

وأشار الرحالة عبد الباسط الملطي أيضاً إلى حالة الصلح القائمة بين مملكة غرناطة ومملكة قشتالة وأن تجار المسلمين وتجار قشتالة كان بإمكانهم التردد الى بلدان المملكة الأخرى، إذ كان في نيته التوجه إلى قرطبة التي كانت ضمن مملكة قشتالة آنئذ ، لكن المرض منعه من ذلك ، حيث يقول : وكنت قد قررت التوجه لرؤية قرطبة لقربها من غرناطة لاسيما أن الصلح بين المسلمين والأسبان كان لا يزال باق وأن تجار الجانبين كانوا يترددون إلى بلاد الآخرين ، فحصل لي عائق

---

(١)عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم نشره دي لاڤيدافي مجلة الأندلس ضمن بحث بعنوان G.Levi della vida, Il regno di Granata nel 1465-66 nel ricordi di un viaggiatore Egiziano, Andalus, Madrid-Granada, 1933, Vol.I, p.313-314. وسيشار له تاليا: الملطي، الروض الباسم؛ ينظر أيضا عنان، نهاية الأندلس، ص ١٦٧.

(٢)الملطي، الروض الباسم في Al- Andalus, Vol. I, p. 313-314.

(٣)المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤)المصدر نفسه، p. 314

منعني من السفر[1].

ويؤيد المؤرخ المجهول صاحب كتاب ((نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر)) – وهو المصدر الرئيسي لتاريخ أواخر بني الاحمر في غرناطة – إلى أن بداية عهد السلطان أبي الحسن (٨٦٧-٨٨٣هـ/١٤٦٣-١٤٧٨م) اتسمت بـالقوة . فقد دانت له مملكة غرناطة بعد مشكلات كانت بدايتها مع أبيه المخلوع ثـم مـع قواده بعد موت أبيه الذين أحدثوا فتنة بمبايعته أخيه محمد بن سعد ، لكن ابا الحسن تمكن من نيل تأييد الناس بعد أن وعدهم بالإصلاح وتفضيل مصلحة الوطن وإقامة الشريعة وأنضم أخوه محمد إليه أيضا ، فتمكن من إخماد نار الفتنة وقتل معارضيه من القواد [2]. ولم يبق له معارض فاهتم بتنمية الجيش وتقوية الحصون . وغـزا الأسبان غزوات كثيرة الواحدة بعد الأخرى ، فهابوه وصالحوه وتوقفت المعـارك بين الجانبين في البر والبحر وقد جنت غرناطة ثمار هذا الصلح فكثرت الخـيرات وانبسطت الأرزاق وانخفضت الأسعار وانتشر الأمن في جميع مملكـة غرناطـة وبسبب هذا الانتعاش الاقتصادي ضربت الدولة سكة جديدة قوية[3] .

وكان كثيراً ما يقوم باستعراض جيشه أمامه وأمام الناس ليظهر قوته من ناحية وليفرض الضرائب عليهم من اجل تقوية هذا الجيش من ناحيـة أخـرى[4].

ولكن في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م نجد أن السلطان ابا الحسن علي ينقلب فـي

---

(١) المنلطي، الروض الباسم، في Al-Andalus, Vol, I. p.315 ويبـدو ان تجـارة الحريـر الطبيعي كانت رائجة وان حرير غرناطة الطبيعي كان مطلوبـاً لـدى المـدن الاسـبانية الاخرى عبر العصور أي قبل وبعد سقوط غرناطة وان تجار غرناطة كانوا يتاجرون بـه ويبعثوه الى بقية انحاء اسبانيا عبر مدينـة إلبـيرة . ينظـر Abed Al-Hussein, Falah, Hassan, las ferias del medina campo y el comercio de la lana 1514-1573 valladolid, , 1987, p.45.

(٢) مجهول، نبذة العصر في اخبار ملوك نصر، ملحق كتاب اخر بين سراج، فخلاصـة مـن تاريخ الاندلس الى سقوط غرناطة لدوشاتوبريان ، ترجمة شكيب ارسلان ، مطبعة المنار ، القاهره، ١٩٩٤، ص ٣٧١. وسيشار له تالياً : مجهول، نبذة العصر.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٧١-٣٧٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٧٢.

سياسته هذه رأساً على عقب بسبب التناحر بين زوجتيه وابنائهما وبسبب الظروف الخارجية على ما سيأتي ذكره بعد قليل. فأنغمس بملذاته واهمل الجيش وأثقل المغارم والمكوس على الناس ونهب الأموال الى اخر ذلك من اعمال تنذر بانهيار الدول ، فدب الفساد في كل نواحي الحياة ، فضعف الجيش ونقص عدده[1].

فقد أصبحت الظروف الخارجية والداخلية في غير صالح السلطان ابي الحسن ، فمن الناحية الداخلية كان الصراع والتناحر بين ابناء السلطان ابي الحسن من زوجتيه ، فقد كان قد تزوج بابنة عمه الأميرة عائشة الحرة ابنة عمه السلطان محمد الأيسر التي أنجبت له ولدين هما : أبو عبد الله محمد الصغير ويوسف . ثم تزوج بجارية أسيرة أسبانية هي إيزابيل دي سوليس التي أصبحت تسمى ثريا أنجبت له سعداً ونصرا. فكانت الغيرة بين الزوجتين العربية والأسبانية ثم الانقسام والتنافس بين الأولاد مما أدى إلى إضعاف الدولة وعجل بانحلالها وسقوطها[2].

ومن الناحية الخارجية فقد اعتقد السلطان أبو الحسن أن القشتاليين لا يغزون بلاده بسبب الانقسامات والاختلاف بين أمرائهم، ولكن الملك القشتالي هنري (انريق) الرابع (Enrique IV) الملقب بالعاجز (٨٥٨-٨٧٩هـ/١٤٥٤-١٤٧٤م)، تمكن من التغلب على الفتن في بلاده وأصبح هدفه الاستيلاء على غرناطة[3].

وشكل زواج ايزابيلا (Isabel) أخت ملك قشتالة، هنري الرابع من فرناندو (Fernando) ابن خوان الثاني ملك أرغون سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م خطورة على مستقبل غرناطة وقد بينت الأحداث التالية خطورة هذا الزواج على ذلك المستقبل. ولما توفي هنري الرابع (Enrique IV) سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م ورثت أخته عرش قشتالة وبعد عشر سنوات، من زواجهما تولى فرناندو

(١) المصدر نفسه ، ص٣٧٤.

(٢) مجهول، نبذة العصر، ص٣٧٤؛ المقري، نفح الطيب، م٤، ص٥١٢؛ محمد عبده حتاملة، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، ط١، مطابع دار الشعب، عمان، الأردن،١٩٧٧، ص٩-١٤. وسيشار له تالياً :- حتامله، محنة مسلمي الأندلس .

(٣) المقري ، نفح الطيب ، م٤، ص٥١٢.

(Fernando) عرش أرغون سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م بعد وفاة أبيه فوحد الملكان الكاثوليكيان مملكتي قشتالة وأرغون في مملكة واحدة واستعدا لمحاربة المسلمين وهكذا فقدت غرناطة عنصر المناورة الذي كانت تلجأ إليه بالتحالف مع طرف من الأسبانيين عندما كان يهددها الطرف الآخر [١].

ويبدو أن العلاقات بين الجانبين الغرناطي والقشتالي كانت تسير نحو التفاهم والسلم وأن هنالك صلحاً ثابتاً بينهما بدليل وصول وثيقة اتفاق عقد بين السلطان أبي الحسن وبين ايزابيلا (Isabel) ملكة قشتالة حول إجراء التحكيم فيما وقع من أعمال العدوان المتبادلة بين غرناطة وقشتالة . ووثيقة الاتفاق هذه تحتوي النصين العربي والقشتالي ومؤرخة في شوال ٨٨٢هـ/كانون الثاني ١٤٧٨م . وبناءً على هذا فقد أرسل سلطان غرناطة أبو الحسن في أوائل سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م إلى ملكة قشتالة يطلب تجديد الهدنة القائمة بينهما فوافقت الملكة ايزابيلا (Isabel) وزوجها فرناندو (Fernando) ولي عهد أرغون (إذ لم يكن بعد قد تبوأ عرش ارغون، إذ تولاه سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م). على ما طلبه سلطان غرناطة أبو الحسن بشرط أن تعترف مملكة غرناطة بطاعتها وأن تؤدي إلى قشتالة الجزية نفسها التي كان يؤديها سلاطين غرناطة السابقون[٢].

فقد جاء في حوليات فتح (سقوط) غرناطة المأخوذة من مخطوطة الأب أنتو نيو أكيبادا (Antonie Agapida) أنه وصل سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، أحد الفرسان المتغطرسين الأقوياء سفيراً من ملوك الأسبان الكاثوليك، يطلب المتأخر من الجزية التي يدفعها سلاطين غرناطة إليهم، واسمه الدون إخوان دي فيرا (Don Juan de vera) واستقبله السلطان أبو الحسن في قاعة السفراء. وعندما سلم دي فيرا رسالته إلى السلطان، علت على شفة الأمير ضحكة قاسية وقال ((قل لسيدك أن ملوك غرناطة الذين اعتادوا دفع الجزية إلى العرش الأسباني (القشتالي) قد

---

(١) الحجي، التاريخ الاندلسي ، ص٥٢٧-٥٢٩؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٨٠-١٨٥؛ فارس بوز، تاريخ العرب في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة ، منشورات جامعة دمشق ، ١٤١٦هـ، ص٢٥٠.

(٢) عنان، نهاية الاندلس ، ص١٩٤-١٩٥، ينتظر نص وثيقة التحكيم بين غرناطة وقشتاله في عنان ، المرجع نفسه ، ص١٩٣.

ماتوا ، وأن دار السك لا تسك شيئاً إلا حافات السيوف ورؤوس الرماح))[1].
ومن الغرابة بمكان أن قال هذا القول، وهو في حالة ضعف سياسي.

ونتيجة لأحوال مملكة غرناطة الداخلية السيئة المتمثلة بالخلاف في بيت بني الأحمر ولتأزم العلاقات بين قشتالة وغرناطة كما سبقت الإشارة ، بدأ العد التنازلي لسقوط غرناطة وكانت بدايته سقوط مدينة الحمة الواقعة جنوب غربي غرناطة في ١٥ محرم ٨٨٧هـ/ أول آذار ١٤٨٢م في يد الأسبان ولم تجد نفعاً محاولات السلطان أبي الحسن في استردادها [2].

وزادت أطماع الملكين الكاثوليكيين فرناندو (Fernando) وايزبيلا (Isabel) وهاجم جيشهما مدينة لوشة وتمكنت قوات المسلمين من صدهم وذلك في عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م ولكن بسبب سقوط مدينة الحمه –وهي مفتاح غرناطة – نقمت العامة على أبي الحسن ومالوا إلى ابنه أبي عبد الله محمد الصغير[3]، وقد وصلت في نفس اليوم الذي تحقق فيه الانتصار في لوشه أخبار هرب ابني الأمير أبي عبد الله الصغير ويوسف من غرناطة إلى وادي آش بتدبير من أمهما عائشة الحرة خوفاً عليهما من أن يقوم والدهما بقتلهما بإشارة من ضرتها الجارية الأسبانية ثريا حيث أعلن أبو عبد الله نفسه ملكاً هناك بدل أبيه ثم بايعه كثير من مدن مملكة غرناطة مثل المرية وبسطة وغرناطة الحاضرة نفسها . أما الأب أبو الحسن فقد هرب إلى أخيه أبي عبد الله الزغل في مالقة وهكذا خلا الجو لأبي عبد الله

---

(١) Irving washington , chronicle of the conquest of Granada. From the Mss . of roy Antonie Agapida , darf publishers Limited , London , 1986, vol. I, p. 9-10.

(٢) حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٢-٢٣؛ أسعد حومد ، محنة العرب في الأندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص١٢٨-١٢٩ .

(٣) شكيب ارسلان، خلاصة تاريخ الاندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣، ص١٩٣؛ محمد عبدالحميد عيسى ، الملكة ايزابيل الكاثوليكه ودورها في اسقاط دولة الاسلام بالاندلس، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكيه والتوثيق والمعلومات ورابطة الجامعات الاسلامية ، المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الاندلسية بمناسبة الذكرى الخمسمائه لسقوط غرناطة (١٤٩٢-١٩٩٢) ، مكتبة المهاجرين، أبها، ص١٥-١٦. وسيشار له تالياً : عيسى ، الملكة ايزابيل .

الصغير فاعتلى عرش غرناطة مكان أبيه في أواخر سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م بينما بقيت مالقة وغربي الأندلس على طاعة أبي الحسن[١] ، وتمكن السلطان أبو الحسن وأخوه الزغل من تحقيق انتصار باهر قرب مالقة على القشتاليين في صفر عام ٨٨٨هـ/آذار ١٤٨٣م.

لم تؤد الفتن وانقسام البيت النصري إلى انقسام مملكة غرناطة إلى مملكتين احداهما بيد السلطان الأب في مالقة والأخرى بيد السلطان الابن أبي عبد الله الصغير في غرناطة فقط ، بل بلغت حد المجابهة العسكرية فقد التقى جيشا الأب والابن في معركة كان النصر فيها للأب على الابن[٢] .

وأراد أبو عبد الله الصغير أن يحرز مثل انتصار أبيه وعمه فاغتنم فرصة اندحار الأسبان فخرج على رأس جيش غرناطي في شهر ربيع الأول ٨٨٨هـ/نيسان ١٤٨٣م متجهاً صوب قرطبة ودارت معركة بين الطرفين انتصر فيها المسلمون في البداية ، ولكن الآية انعكست فلحقت هزيمة شنيعة بأبي عبد الله الصغير قتل وأسر فيها الكثير ووقع السلطان أبو عبد الله الصغير نفسه في الأسر[٣].

واجتمع كبار غرناطة وأعيان الأندلس وقرروا استدعاء السلطان أبي الحسن المخلوع ليتولى عرش غرناطة مكان ولده الأسير ولكن مدة حكمه لم تطل ، فقد تعذر عليه القيام بمهام الدولة بسبب المرض وفقدان البصر فتنازل لأخيه أبي عبد الله الزغل وأصبح هذا الأخير هو السلطان الوحيد لمملكة غرناطة[٤].

أطلق القشتاليون سراح السلطان أبو عبد الله الصغير من أسره ليس حباً به أو بمملكة غرناطة وذلك لشق وحدة المسلمين وتشجيع الحروب الأهلية بين أفراد

---

(١) مجهول ، نبذه العصر ، ص٣٧٧-٣٧٨؛ المقري ، نفح الطيب ، م٤، ص٥١٤؛ حتاملـه ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٣-٢٤؛ عيسى ، الملكة ايزابيل ، ص١٧.

(٢) المقري ، نفح الطيب ، م٤ ، ص٥١٥.

(٣) مجهول ، نبذه العصر ، ص٣٧٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، م٤، ص ٥١٥؛ حتاملـه ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٧.

(٤) مجهول ، نبذة العصر ، ص٣٧٩؛ المقري ، نفح الطيب ، م٤، ص٥١٥.

أسرة بني الأحمر وخاصة بين أبي عبد الله الصغير من جهة وبين أبيه وعمه الزغل من جهة أخرى وهو ما أشار إليه الناصري بقوله : أن العدو الأسباني قام بإغطاء وعود وآمال كاذبة وخداعه إلى أسيره أبي عبد الله الصغير، وبعثه لأحداث الشغب على عمه من أجل تفريق وحدة كلمة المسلمين(١). وقد اختلفت الروايات في تاريخ إطلاق سراحه فبعض الروايات تقول أنه لم يمكث في الأسر الا بضعة أشهر. إذ تم إطلاق سراحه في أوائل شعبان ٨٨٨هـ/ أوائل أيلول١٤٨٣م بينما تقول روايات أخرى أن إطلاق سراحه كان أواخر ٨٩٠هـ/أواخر١٤٨٥م أو أوائل ٨٩١هـ/ أوائل ١٤٨٦م(٢). وكان الإفراج عنه بعد أن أخذ عليه ملكا قشتالة سائر العهود والمواثيق التي تكفل تحقيق سياستهما في القضاء على مملكة غرناطة وهي الاعتراف بطاعة الملكين الكاثوليكيين ، ودفع جزية، والإفراج عن ٤٠٠ أسير مسيحي ، وأن يقدم أبو عبد الله الصغير ولده الأكبر وعدداً من ابناء الأمراء رهائن عند القشتاليين(٣).

وفي الوقت الذي ازداد فيه مؤيدو أبي عبد الله الزغل ، بدأت الثقة بأبي عبد الله الصغير تتناقص بسبب الإشاعات التي كانت تشاع حول عدم إخلاصه لمملكة غرناطة ولتعامله مع قشتالة . ومع هذا فإن سكان ربض البيازين في غرناطة كانوا ينتظرون قدوم أبي عبد الله الصغير من الأسر . ووقعت الحرب الأهلية بين العم الزغل يؤيده سكان غرناطة وبين سكان ربض البيازين . وأخيراً تم الصلح بين العم وابن أخيه وأشار بعض الباحثين إلى اختلاف آراء المؤرخين ، فقد ذكر بعضهم أن أبا عبد الله الصغير سلم لعمه الزغل عرش المملكة على أن يكون هو من تحت يديه ، بينما ذكر البعض الآخر بأن المملكة قد قسمت بين الأميرين إلى

---

(١) ابو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، ٩جـ ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٥، جـ٤، ص١٠٢. وسيشار له تالياً : الناصري ، الاستقصا .

(٢) عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٥ ؛ حتامله ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٠-٣١ .

(٣) عنان ، نهاية الأندلس ، ص٢٠٥؛ حتامله ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٨-٣٠؛ عيسى ، الملكة ايزابيل، ص١٧-١٨ .

قسمين : فكان للزغل غرناطة ومالقة والمرية والمنكب والبشرات، ولأبي عبد الله الصغير ربض البيازين وما تبقى من المملكة إلى إقليم مرسية الذي كان ملاصقاً لحدود الولايات المسيحية . واستقر الزغل في قصر الحمراء، واستمر نفوذ أبي عبد الله الصغير سارياً على أهل البيازين[1].

وعندما هاجم ملك قشتالة مدينة لوشة . وكانت من حصة أبي عبد الله الصغير دافع عنها أبو عبد الله الصغير ومن معه من أهل ربض البيازين الذين جاءوا نجدة لها ، ولكن القشتاليين تمكنوا من دخولها ووقع السلطان أبو عبد الله الصغير مرة أخرى في الأسر في ٢٦جمادى الأول عام ٨٩١هـ/٢٩آذار ١٤٨٦م[2]. ويقول المقري ((فصرح عند ذلك أهل غرناطة بأنه ما جاء للوشه إلا ليدخل إليها العدو الكافر ويجعلها فداء له))[3]. وهدف ملك قشتالة من أسرة للسلطان ليستأصل به بقية الأندلس[4] .

وقد أورد أحد الباحثين أن أبا عبد الله الصغير أمضى اتفاقية مع فرناندو وملك قشتالة عرفت باسم معاهدة لوشة ، تعهد فيها أبو عبد الله – بمقابل إطلاق سراحه – بشروط أهمها محاربة عمه أبي عبد الله الزغل ، وأن يتخلى عن تسميته بملك غرناطة ، وأن يحمل بدلاً من ذلك لقب دوق أو ماركيز وادي آش [5].

واستأنف فرناندو (Fernando) ملك قشتالة وأرغون نشاطه العسكري ضد مملكة غرناطة لاحتلال المدن والحصون الغرناطية الواحدة بعد الأخرى ، فكان أول الحصون الذي استطاع إسقاطه هو حصن إلبيرة في النصف الأول من جمادى الآخرة ٨٩١هـ/١٨ حزيران ١٤٨٦م ، ثم حصن مكاين وحصون قلنبيرة[6].

---

(١) عنان ، نهاية الأندلس ، ص٢٠٨ –٢٠٩؛ حتاملة ، محنة مسلمي الأندلس ، ص٣٣-٣٤ .

(٢) مجهول ، نبذه العصر ، ص٣٨٣؛ المقري ، نفح الطيب ، م٤، ص٥١٧.

(٣) المقري ، نفح الطيب ، م٤، ص٥١٧.

(٤) مجهول ، نبذه العصر ، ص٣٨٣.

(٥) حتاملة ، محنة مسلمي الأندلس ، ص٣٦.

(٦) مجهول ، نبذه العصر ، ص٣٨٣-٣٨٤؛ المقري ، نفح الطيب ، م٤،ص٥١٨.

ثم تتجدد الفتنة والحرب الأهلية في مملكة غرناطة ، وتعود المملكة إلى انقسامها بعد إطلاق ملك قشتالة سراح أبي عبد الله الصغير ، وكان توجه أبي عبد الله الصغير إلى حصن بلش من الحصون الشرقية لمالقة وبدأ يراسل من هذا المكان أنصاره ويدعوهم إلى الصلح مع قشتالة إن أطاعوه فلم يقبل منه أحد ذلك ولم يبايعه أحد في البداية ، ولكن أنصاره وجدوا طائفة من العابثين في ربض البيازين فاستجابوا لطلبهم بأن يقوموا بتأييد أبي عبد الله الصغير إذا عقد صلحاً مع النصارى وأخفوا تلك الاتصالات ولم يعلنوها ثم أن أهل الحصون الشرقية لبوا دعوة أبي عبد الله الصغير طمعاً في الصلح مع قشتالة. ولما لم يستجب بعضهم إليه قرر التوجه إلى ربض البيازين من غرناطة فدخله على حين غفلة وكان عمه الزغل في حمراء غرناطة التي استمرت تؤيده رغم أن أهلها لم يقبلوا الانضواء تحت سلطة أبي عبد الله الصغير فاشتدت الحرب الأهلية بين أنصار الفريقين وكثر القتل والنهب وهكذا يكون قد حقق الأسبان ما كان يصبون إليه . وقد أمد فرناندو(Fernando) ملك قشتالة السلطان أبي عبد الله الصغير بالرجال والنفط والبارود والقمح والعلف والحيوانات والفضة وغير ذلك ليزيد من نار الفتنة ويقويها واستمرت المجازر الدموية منذ دخول أبي عبد الله الصغير ربض البيازين في ١٦شوال ٨٩١هـ-٢٧ محرم سنة ٨٩٢هـ وفي هذا اليوم الأخير قرر سلطان غرناطة الزغل وأهل غرناطة دخول حي البيازين، وفعلاً اقتحم الزغل حي البيازين بقواته وتمكن من فتح الكثير من أبوابه وكادت الهزيمة تحل بأبي عبدالله الصغير لولا استنجاده بحليفه ملك قشتالة الذي بادر إلى إرسال قوات قشتالة مساعدة لأبي عبد الله الصغير فاحتلت هذه القوات بلش (شرق مالقة) ثم شنت هجوماً على مالقة، فخرج السلطان الزغل من غرناطة لنجدة مالقة عام ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م لكنه وجد القشتاليون قد احتلوها ، ولما أراد الزغل العودة إلى غرناطة بلغته أنباء استيلاء قوات ابن أخيه أبي عبد الله الصغير على غرناطة ومبايعة أهل غرناطة له عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م وعاد الزغل إلى البشرات(١).

(١) مجهول، نبذة العصر، ص٣٨٥-٣٨٧؛ السخاوي، الذيل التام، ص٤٧١؛ المقري، نفح الطيب، م٤، ص٥١٨-٥١٩؛ ازهار الرياض، جـ١، ص٦٦.

أما مصير الزغل فقد اتفق مع فرنـــاندو (Fernando) وأزابيـــلا (Isabel) ملكي قشتالة والأرغون على الانضمام تحت لوائها لكن الزغل باع كل الأراضـــي التي تحت سيطرته لملك قشتالة لقاء مبلغ ضخم من المال وعبر إلى وهران فـــي المغرب[١].

واستمر سقوط المدن والحصون الغرناطية في يد الإسبان فقـــد سـقطت بسطة في ١٠ محرم عام ٨٩٥ هـ / أوائل كـانون أول ١٤٨٩ م[٢]. ووادي آش في أوائل صفر سنة ٨٩٥ هـ / ٣٠ كانون أول ١٤٨٩ م[٣] وبعد تسليم وادي آش للملك القشتالي أصبحت مملكة غرناطة كلها في يده باستثناء غرناطة وقراها[٤].

سقوط غرناطة ونهاية مملكتها :-

لما تسلم الملكان الكاثوليكيان فرنـــاند و (Frenando) وايزابيـــلا (Isabel) الاراضي التي كانت تحت سيطرة السلطان الزغل من غير قتال بموجب الاتفـــاق الذي بينهما وبين الزغل وهي مدينة وادي أش والمرية وبسطة والمنكب في صفـر عام ٨٩٥هـ / كانون الثاني ١٤٩٠ م[٥] أراد استثمار التأييد والمســاعدة اللذيـــن قدماها لأبي عبد الله الصغير في استرداده عرش غرناطة فطالباه بتســليم مدينـــة غرناطة تطبيقاً لمعاهدة الصلح التي عقدت بين الملكين الكاثوليكين وبينـــه عندمـــا وقع ابوعبدالله الصغير في اسر القشتاليين للمرة الثانية التي جددت سنة ٨٩٥هـ /

---

(١) مجهول، نبذة العصر، ص٣٩١؛ المقري ، نفح الطيـــب ،م٤، ص٥٢٤؛ عنـــان، نهايـــة الاندلس، ص٢٢٧، Latham ,"Nasrids , p.1207.

(٢) مجهول، نبذة العصر، ص٣٩٠؛ المقري ، نفح الطيب ، م٤، ص٥٢٢.

(٣) مجهول، نبذة العصر، ص٣٩٠؛ السخاوي ، الذيل التام ، ص٤٧١؛ المقري ، نفح الطيب، م ٤، ص٥٢٢.

(٤) أحمد توفيق محمد محاسنة ، الحياة السياسية في دولة بني الاحمـــر ، رســالة ماجســتير، الجامعه الأردنية ، ١٩٩٧، ص٢١٠.

(٥) مجهول ، نبذة العصر ، ص٣٩٠-٣٩١.

١٤٨٩م ولم تصلنا نصوص هذا التجديد الاخير، إنما وصلتنا وثيقة صادرة عن أبي عبد الله الصغير نفسه في محرم ٨٩٥هـ/ كانون الأول ١٤٨٩م وهي عبارة عن خطاب مرسل من السلطان أبى عبد الله إلى قادة وأشياخ بلدة أجيجر يدعوهم فيه إلى طاعته والدخول في هذا الصلح السعيد المعقود لمدة عامين(١).

ونلاحظ أن نصوص تجيد معاهدة الصلح لم تصلنا لا كوثيقة ولا كخبر في المصادر العربية ، ولكن وصلت منه نسخة قشتالية بصورة وثيقة تملأ عشر صفحات كبيرة، مذيلة بموافقة أبي عبد الله الصغير باللغة العربية ممهورة بتوقيعه وخاتمه* فقد تعهد محمد ابن عبد الله الصغير بان يسلم مدينة غرناطة للملكين الكاثوليكيين متى تم تسليم بسطة والمرية ووادي آش(٢). وان الملكين الكاثوليكيين ارسلا في أوائل صفر ٨٩٥هـ/ أوائل سنة ١٤٩٠م سفارة على يد فارسين كاثوليكيين يخاطباه في موضوع تسليم غرناطة ولكن المصادر العربية تذكر ان ملك قشتالة لم يطلب تسليم مدينة غرناطة نفسها انما طالب بتسليم مدينة الحمراء أو قصور الحمراء فقط مقر السلطان ، ويبقى ابوعبدالله في غرناطة تحت طاعته وبهذا يقول صاحب نبذة العصر : ((......وفي سنة خمس وتسعين وثمانمائة بعث ملك النصارى إلى صاحب غرناطة محمد بن علي يسأله أن يعطيه مدينة الحمراء من غرناطة ويترك للأمير محمد المذكور سائر البلد والدخول في ذمته كما دخل فيها سائر الأ ندلس))(٣) ويقول المقري : بأنه بعث في سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م رسلاً لصاحب غرناطة أن يمكنه من الحمراء كما مكنه عمّه من القلاع والحصون، ويكون ذلك تحت وايالته ، ويعطيه مالاً كثيراً على ذلك ، وأي بلاد شاء من الأندلس يكون فيها تحت حكمه(٤).

ويبدو أن معاهدة الصلح لم تتضمن شرط تسليم غرناطة وخروج أبي

---

(١) عنان، نهاية الاندلس ، ص٢٣٠، تنظر صورة الخطاب المرسل من السلطان ابي عبدالله الى قائد وأشياخ بلدة أجيجر عن النسخة الأصلية المحفوظة ببلدية غرناطة في عنان ، المرجع نفسه ، ص٢٣٣.

* هذه الوثيقة محفوظة في دار المحفوظات العامة في سيمانقا الواقعة قرب مدينة بلد الوليد برقم p, r, 11-3 ، تنظر صورة لذيل المعاهدة النهائية في عنان، نهاية الأندلس، ص٢٧٩؛ حتامله، محنة مسلمي الأندلس، ص٨.

(٢) عنان، نهاية الاندلس ، ص٢٣٠ .

(٣) مجهول ، نبذة العصر ، ص٣٩٢ .

(٤) المقري ، نفح الطيب ، م٤،ص٥٢٢.

عبدالله الصغير منها نهائياً بناءً على قول المقري السابق الذكر من ان صاحب قشتاله طلب من صاحب غرناطة تسليمه الحمراء والبقاء تحت طاعته على غرار ما حدث مع عمه الزغل ، ((وأن عمه (الزغل) أفسد عليه الصلح . الذي كان بينه وبين صاحب قشتاله بدخوله تحت حكمه))(١) ويؤكد عدم وجود الشرط هذا ما قاله المجتمعون في غرناطة للنظر في أمر التسليم أم رفضه والجهاد ((فاتفق الرأي على الجهاد والوفاء بما عقده من صلح))(٢).

عندها عقد أبوعبد الله الصغير مجلساً ضم الأغيان والكبراء والأجناد والفقهاء والخاصة والعامة للنظر في طلب تسليم غرناطة للملك القشتالي فقرر المجتمعون انه لم يكن أمامهم ألا قراران أما تسليم غرناطة والدخول تحت طاعته او القتال ، فاتفقوا على الرأي الثاني وهو الجهاد والقتال(٣). وحول هذا يقول صاحب نبذة العصر ((واستشارهم (أبو عبد الله الصغير)) في ذلك فأجمعوا على قتالة ومدافعته عنهم بما أمكنهم حتى يفتح الله عليهم أو يهلكوا عن آخرهم ، وتعاهدوا مع أميرهم ان يكونوا يداً واحدة على قتال عدوهم))(٤).

وبعد أن استقر رأي الغرناطيين على الدفاع عن مدينتهم وافتدائها بالنفس والنفيس والى اخر رمق اتجه الملكان الكاثوليكيان فردناندو وازابيلا نحو مدينة غرناطة بجيوش جرارة وجرت معارك كثيرة في أكثر من مكان بين الجانبين يطول ذكرها(٥).

لجأ الملكان الكاثوليكان فردناندو وأيزابيلا الى وسيلة جديدة من وسائل الحصار وهي بناء مدينة مسورة على بعد اثنتي عشر كيلو متر من غرناطة والإقامة فيها لتشديد الخناق على غرناطة وهي مدينة شنتفي ، بناها في أيام قلائل وعلى عجل ، واستخدما في بنائها مواد البناء التي أخذاها من القرى التي

---

(١) المصدر نفسه ، م٤، ص٥٢٣.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) مجهول ، نبذة العصر ، ص٣٩٢.

(٥) مجهول ، نبذة العصر ، ص٣٩٢-٣٩٩؛ المقري ، نفح الطيب ، م٤، ص٥٢٢-٥٢٤.

هدماها[1].

كان لإنشاء مدينة شنتفي والإقامة فيها واتباع سياسة حرب الاستنزاف التي شنها الملكان الكاثوليكيان ضد غرناطة أثر في زعزعة الروح المعنوية في المعسكر الإسلامي أدت إلى سقوط غرناطة. ولم يزل القتال متصلاً بين الجانبين كل يوم لمدة سبعة أشهر ، واشتد الحصار على المسلمين وانقطع عنهم الجلب وقل الطعام واشتد الغلاء خاصة بعد أن دخل فصل الشتاء وازداد البرد ونزل الثلج واستولى الأسبان على أكثر المناطق خارج غرناطة ومنعوا المسلمين من الحرث والزراعة، فضاق الحال وظهر الاختلال وعظم الخطب وذلك في أول عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م ثم أشتد الأمر في شهر صفر من السنة المذكورة فقل الطعام وأدرك الجوع كثيراً من الناس حتى الموسرين منهم ، وتفاقم الامر ،فأجتمع أعيان الخاصة والعامة والفقهاء والأمراء ومن بقى من الفرسان ومن له كلمة وذهبوا إلى أميرهم أبي عبد الله الصغير وأبلغوه ما هم فيه من شدة وقلة الطعام وانعدام المدد بينما العدو يأتيه المدد من بلاده[2]. فعقد الأمير مجلساً للنظر في الأمر حضره العامة والخاصة وقرر المجتمعون بالموافقة على مفاوضة العدو من اجل التسليم . وأشيع بين الناس أن سلطان غرناطة أبا عبد الله الصغير ووزيره وقواده قد اتفقوا سراً مع الملكين الاسبانيين على التسليم، إلا أنهم خافوا من غضب أهالي غرناطة عند أعلان ذلك، فوجدوا أن عقد هذا الاجتماع استدراج للعامة لقبول هذا الأمر فكاتبوا الملكين الكاثوليكين بالتسليم وفق شروط ، فوافق الملكان على ذلك[3]. وجرت مفاوضات بين الجانبين أسفرت عن وضع معاهدة للتسليم وقعت في محرم من عام٨٩٧هـ/ تشرين الثاني ١٤٩١م تضمنت ٦٧ شرطاً* ذكر قسماً منها

---

(١) مجهول، نبذة العصر، ص٣٩٨-٣٩٩؛ المقري، نفح الطيب، م٤، ص٥٢٤.

(٢) مجهول، نبذة العصر، ص٤٠٠-٤٠١.

(٣) مجهول ، نبذة العصر ، ص٤٠١؛ المقري ، نفح الطيب ، م٤، ص٥٢٥.

* انظر نصوص معاهدة التسليم في محمد عبده حتاملة، التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين، ط١، عمان، ١٩٨٠، ص١٩-٥٥. وسيشار له تالياً : حتاملة، التنصير القسري.

صاحب نبذة العصر والمقري وصاحب الاستقصا[1].

وجرت مراسم التسليم ودخول الملكيـــن الكـــاثوليكيين فـــي ٢ ربيـــع الأول ٨٩٧هـ/٢ كانون الأول ١٤٩٢م قصر الحمراء وأخذوا حوالي خمســـمائة مـــن أعيان غرناطة رهائن[2]. وهكذا تم تسليم غرناطة صلحاً[3].

أما السلطان المخلوع أبو عبد الله الصغير فقد غادر غرناطة في اليوم نفسه الذي احتلها فيه فردناندو وايزابيلا وحمل مع حاشيته أمتعتهم وأموالهم إلى حصـــن أندرش في منطقه البشرات جنوبي جبل شلير . وفي السنة التالية أمـــره الماكـــان الكاثوليكيأن بالعبور إلى المغرب فرحل ومعه كثير من المسلمين واستقر في فـــاس حتى وفاته ٩٤٠هـ/١٥٣٣م[4].

ولم يلتزم الملكان الكاثوليكيان بالشروط التـــي تضمنتـــها المعـــاهدة تجـــاه المسلمين فأخذا ينقضانها فصلاً فصلاً إلى أن نقضاها جميعاً[5] أي أنهما نقضا كل سطر من سطور المعاهدة وغدر الأسبان ونقضوا عـــهدهم[6]. وفرضـــوا علـــى المسلمين أحد أمرين : إما التنصير القسري والتخلي عن دينهم وهم القسم الأعظم أو التهجير القسري ومغادرة البلاد فهاجر قسم كثير مـــن المسـامين الأندلســـيين

---

(١) مجهول، نبذة العصر، ص٤٠١-٤٠٢؛ المقـــري، نفـــح الطيـــب، م٤، ص٥٢٥-٥٢٦؛ الناصري، الاستقصا، جـ٤، ص١٠٤-١٠٥؛ ذكر عبدالله عنان أن شروط المعاهدة كـــان عددها ٥٦ شرط، نهاية الأندلس، ص٢٤٤.

(٢) مجهول، نبذة العصـــر، ص٤٠٢؛ المقـــري، نفـــح الطيـــب، م٤، ص٥٢٥؛ النـــاصري، الاستقصا، جـ٤، ص١٠٤.

(٣) السخاوي، الذيل التام، ص٤٧١.

(٤) مجهول، نبذة العصر ، ص٤٠٣-٤٠٤؛ المقري ، نفح الطيب، م٤، ص٥٢٩؛ الناصري ، الاستقصا ، جـ٤، ص١٠٥.

(٥) مجهول، نبذة العصر، ص٤٠٤.

(٦) جوزيف ماك كيب، مدنية المسلمين في اسبانيا، ترجمة محمد تقي الدين الـــهلالي، مكتبـــة المعارف، الرباط، ١٩٨٥، ص١٠٧. وسيشار له تالياً : ماك كيب، مدنية المسلمين.

تاركين وراءهم كل ما يملكونه إلى المغرب[1].

ثم جاءت محاكم التفتيش فحرم على من بقى من المسلمين في الأندلس كل شيء من أمور دينهم ونهبت مئات من بيوت المسلمين وطردوا من البلاد التي مدنوها وعمروها[2].

---

(١) خالد محمد علي الحاج، الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد، ٢جـ، تحقيق ومراجعة عبدالله ابراهيم الانصاري، مطبوعات إدارة احياء التراث، قطر، ١٩٨٣، جـ٢، ص٣٠٣؛ ماك كيب، مدنية المسلمين، ص١٠٧؛ حتاملة، التنصير القسري، ص٩؛ عبد الواحد ذنون طه، دراسات أندلسية، ط١، منشورات مكتبة بسام، الموصل، ١٩٨٦، ص١٩٧؛ عدنان فائق عنبتاوي، حكايتنا في الأندلس، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩، ص١١٨.

(٢) ماك كيب ، مدنية المسلمين، ص١٠٧؛ حتاملة ، التنصير القسري ، ص٧٣.

تصدعت الحياة الفكرية في الأندلس قبل قيام مملكة غرناطة نظرا لسقوط الغديد من القواعد الأندلسية، واشتعال الفتن الداخلية، وهجرة الكثير من العلماء. ولكنها استطاعت أن تسترجع زخمها مرة أخرى بعد قيام مملكة غرناطة(١).

تأثرت الثقافة الأندلسية بسبب حركة الاسترداد المسيحية التي دفعت إلى الهجرة ، وخاصة إلى مدينة غرناطة. كما أن هجرة العلماء من المدن الأندلسية إلى المغرب والمشرق أدت إلى نتاج ثقافي في المهجر. والشيء نفسه ينطبق على من هاجر إلى غرناطة في ظل بني الأحمر(٢). وكان لسقوط المدن الأندلسية الكبرى ، قرطبة وبلنسة واشبيلية ومرسية، وهجرة كثير من علمائها إلى غرناطة أثره الكبير في ارتفاع المستوى الثقافي لهذه المملكة إلى درجة تعيد إلى الأذهان الفترة التي كانت عليها مدينة قرطبة في عهد الحكم المستنصر باللـه (٣٥٠هـ/٩٦١م-٣٦٦هـ /٩٧٦م)(٣).

فعندما بدأت الأندلس حياتها الجديدة تحت ظل مملكة غرناطة الفتية ، أخذت الحركة الفكرية في الاستقرار، وشهدت جوا من الهدوء والطمأنينة(٤). فسعت مملكة غرناطة إلى ترميم حضارة الأندلس ودفعها نحو الأمام حتى غدت خلال

---

(١) محمد وليد سرميني ، خصائص الشعر الاندلسي في عصر غرناطة ، رسالة ماجستير ، جامعة حلب ، ١٩٨٦،ص١٨ . وسيشار له تاليا :سرميني ، خصائص الشعر الاندلسي .

(٢) Viguera Molins M. J, La cultura Nazari y SuS registros historicos ,biobibliograficos y geograficos , Estudios Nazaries ,ed, concepcion castillo, Granada,1997,p.171.
viguere Molins ,la caltura Nazari . وسيشار له تاليا

(٣) محمد عبدالحميد عيسى ، تاريخ التعليم في الاندلس من القرن الخامس الى سقوط الاندلس، التربية العربية الاسلامية والمؤسسات، ٤جـ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ، مؤسسة آل البيت، عمان ،١٩٨٩، جـ٢ ، ص٤٧٥. وسيشار له تاليا : عيسى ،تاريخ التعليم في الاندلس .

(٤) عنان ، نهاية الأندلس ،ص٤٦٠؛ جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ،١٩٦٦، ص٥٨ .وسيشار له تاليا : الركابي ، في الأدب الأندلسي .

مدة تزيد عن قرنين ، مستودع الحضارة الأندلسية[1]. فبقي مستوى الثقافة رفيعا في غرناطة حتى قبيل سقوطها بفترة قصيرة[2].

وإذ أصاب الحركة الفكرية تصدع في القرن السابع الهجري ، وسارت نحو الانهيار والضياع في القرن التاسع، فان القرن الثامن يبقى الوجه المشرق للعصر ، فخلال هذا القرن غدت مملكة غرناطة اعظم مركز للدراسات الإسلامية في الأندلس ، فالفكر فيها متوهج يموج بعبقريات نادرة لعلها كانت خلاصة الثروة الفكرية في الأندلس طوال قرون[3].

وترك تشجيع سلاطين بني نصر للعلم والعلماء أثرا واضحا في نهضة الحركة الفكرية في مملكة غرناطة ، إذ كانوا حماة للفكر والآداب والعلوم حتى أن بعضهم يعد من جملة الأدباء والعلماء ، وبلغت دولة غرناطة شأنا كبيرا في عهدهم[4]. ونقل المقري قول ابن عاصم في دولة غرناطة :" فتقت اللهى باللهى ، وأحلت من مراقي العز فوق السها ، وامكنت الأيدي من الذخائر والاعلاق ، وطوقت المنن كالقلائد في الأعناق ؛ وقلدت الرياسة والأقلام أقلام ؛ وثنت الوزارة والأعلام أعلام، فبهرت أنواع المحاسن ، وود معين البلاغة غير مطروق ولا الآسن ، وبرعت التواليف ، في الفنون المتعددة ، واشتهرت التصانيف "[5].

---

(١) الركابي، في الادب الاندلسي ، ص٥٨ ؛ سرميني، خصائص الشعر الاندلسي ،ص١٨؛ احمد سليم الحمصي، ابن زمرك الغرناطي (٧٣٣-٧٩٦هـ/١٣٣٣-١٣٩٣م) سيرته وادبه ،ط١ ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار الايمان، طرابلس، لبنان ،١٩٨٥، ص٥٣. وسيشار له تاليا : الحمصي ، ابن زمرك الغرناطي .

(٢) سرميني، خصائص الشعر الاندلسي، ص١٨.

(٣) عصام قصبجي ،لسان الدين بن الخطيب حياته وفكره وشعره، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٢، ص٨. وسيشار له تاليا : قصبجي، لسان الدين الخطيب؛ سرميني، خصائص الشعر الاندلسي ،ص١٨.

(٤) عنان، نهاية الاندلس، ص٤٦٠؛ الحمصي، ابن زمرك الغرناطي، ص٥٣.

(٥) شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني، ازهار الرياض في اخبار عياض، ٥جـ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي، ط٢، الرباط ،١٩٧٨، جـ١، ص٥٧. وسيشار له تاليا : المقري، أزهار الرياض .

فقد عرف عن السلطان المؤسس لمملكة غرناطة الغالب بالله محمد الأول رعايته للعلم والأدب حيث كان يعقد مجالس يستقبل فيها الشعراء وينشدون فيها قصائدهم[١] .

وأربى السلطان الثاني أبو عبد الله محمد الفقيه على سنن والده بتكريم العلماء والأدباء[٢]. كما قام السلطان الفقيه باستدعاء العلامة أبي بكر الرقوطي من مرسية للإقامة في غرناطة وكان الرقوطي يدرس الطلاب في مدرسة مرسية على مختلف أديانهم، المسلمين والنصارى واليهود. فلما استدعاه السلطان الفقيه إلى غرناطة نال لديه حظوة وتقديرا كبيرين، فأسكنه بيتا جميلا تطوقه حديقة واسعة، في أجمل مكان من غرناطة وكان يركب الى باب السلطان معززاً مكرماً في بزة أنيقة[٣].

وعرف عن السلطان محمد الثالث بأنه " كان يقرض الشعر ، ويصغي إليه، ويثيب عليه ، فيجيز الشعراء .... ويعرف مقادير العلماء "[٤].

وواصل ملوك غرناطة عنايتهم بالعلم والتعليم واحتل يوسف الأول وابنه محمد الخامس مكانة بارزة في هذا المجال حيث اجريا الجرايات على العلماء والمعلمين. وأوليا إليهم أعمالا يتقاضون منها معاشات ، لكي يقوموا في الوقت نفسه بالتدريس وتعليم الناس[٥].

وفيما يخص المؤسسات التعليمية نجد المسجد يأتي في مقدمة هذه المؤسسات أهمية ، فهو عند المسلمين يؤدي رسالة كبيرة لأنه بالإضافة إلى كونه

---

(١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية ، ص٤٤؛ عنان، نهاية الاندلس، ص٤٦٠ .

(٢) ابن الخطيب، الاحاطة ، م١، ص٥٥٧؛ اللمحة البدرية، ص٥٠.

(٣) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م٣، ص٦٧-٦٨؛ خوليان ريبيرا ، التربية الاسلامية في الاندلس اصولها المشرقية وتاثيراتها الغربية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي، نشر دار المعارف، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، د.ت ، ص٢٦. وسيشار له تاليا : ريبيرا، التربية الاسلامية في الاندلس .

(٤) ابن الخطيب، الاحاطة ، م١، ص٥٤٥.

(٥) عيسى، تاريخ التعليم في الاندلس ، ص٤٧٥.

دار عبادة للصلاة والذكر والاعتكاف ، فهو أيضا دار علم .

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلم أصحابه في مكة في المنازل، وخصت دار الأرقم بن أبي الأرقم بتجمعهم، ولم يكن المسجد الحرام يؤدي رسالته التعليمية في بداية البعثة النبوية، فلما انتقل الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وبنى مسجده الشريف بها اصبح مقرا لتعليم القرآن الكريم، وكان أصحابه يتحلقون ليسمعوا حديثه.

وسرى التعليم في المسجد في جو يشعر المعلم والمتعلم والسامع بأنه في بيت من بيوت الله فيكونون اقرب إلى التجرد والإخلاص والنية الحسنة[1].

ومن ذلك ندرك أن المساجد اتخذت معاهد للعلم فقد ضمنت للامة الإسلامية الأكفاء من العلماء من ناحية ، والحرية لأهل العلم من ناحية أخرى[2].

في الأندلس كان أول مسجد قد تم بناؤه هو مسجد الرايات الذي أسسه موسى بن نصير في الجزيرة الخضراء[3]. وعندما اطل القرن الخامس الهجري على بلاد الأندلس ، كان انتشار المساجد في الأندلس انتشارا كبيرا. ولم تخل قرية أو مدينة أما المساجد التي شارك في بنائها الحكام والعلماء والفقهاء والتجار والعامة باعتباره عملا من أعمال البر والتقرب من الله[4].

وقام سلاطين بني الأحمر في مملكة غرناطة بدورهم أيضا في بناء

---

(١) عبدالله احمد قادري الاهدل، دور المسجد في التربية ، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة ، ١٩٩١، ص٧٣-٧٨؛ احمد خليفة الحمادي ، المسجد ودوره في الاسلام، ط١، المطبعة المتحدة، عجمان، ١٩٩٣، ص٢٩، ٤٨-٥٠ .

(٢) حسين مؤنس، المساجد ، عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ١٩٨١، ص٣٧ . وسيشار له تاليا : مؤنس ، المساجد .

(٣) سعد اسماعيل علي، معاهد التربية الاسلامية ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٨٦، ص٢١٢ . وسيشار له تاليا : علي، معاهد التربية .

(٤) عيسى، تاريخ التعليم في الاندلس، ص٤٨٧؛ علي ، معاهد التربية، ص٢١٣.

المساجد حيث كانت هذه المساجد بالإضافة إلى وظيفتها الدينية مراكز للتعليم[1]. ويبدو أن هنالك مسجدين جامعين في غرناطة الأول في قصبة غرناطة والثاني في قلعة الحمراء.

فالمسجد الجامع في الحمراء يسمى أيضا بالمسجد الأعظم وهو الذي بناه السلطان محمد الثالث في الحمراء ويعتبر من اعظم مناقبه لما فيه من فخامة وتنجيد وترقيش وجعل بازائه حماما وأوقفه عليه[2]. وقد اصبح هذا المسجد مركزا علميا مهما في غرناطة إلى جانب المسجد الجامع بمدينة غرناطة[3].

ومن مساجد غرناطة أيضاً جامع باب الفخارين ومسجد ابن عذرة[4].

أما مساجد غرناطة الأخرى فقد أشارت الوثائق العربية الغرناطية من القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي إلى اعداد كبيرة منها [5]. ويفترض أن جميعها أو بعضها كانت تؤدي وظيفة تعليمية. ومن هذه المساجد، المسجد العتيق، ومسجد زاهر، ومسجد لكش، وجامع الجوف، ومسجد ششون، ومسجد التائبين ومسجد الجوزة، ومسجد ابي العاص ومسجد ابن سحنون ومسجد القصر الذي يعتقد انه نفسه جامع القلعة بالحمراء ومسجد السلطان أيضا[6].

---

(١) عيسى، تاريخ التعليم في الاندلس، ص٤٨٨، Viguera Molins, La Cultura Nazari, P. 171.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٦٢-٦٣.

(٣) عيسى، تاريخ التعليم في الاندلس، ص٤٨٨.

(٤) ابن الخطيب، الاحاطة، م٣، ص٦٨-٦٩؛ ابو العباس سيدي احمد التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج بهامش كتاب الديباج المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٣٠٠. وسيشار له تاليا: التنبكتي، نيل الابتهاج.

(٥) تم تحقيق هذه الوثائق من قبل لوثينيا وعربها حسين مؤنس ونشرت من قبل معهد الدراسات الاسلامية في مدريد سنة ١٩٦١م. انظر هند ابو الشعر، مملكة غرناطة، دراسة اجتماعية واقتصادية، مجلة راية مؤتة، تصدر عن جامعة مؤتة، المجلد الاول، العدد الاول، ايار، ١٩٩٢، ص٣٨.

(٦) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

والمؤسسة التعليمية الأخرى ذات الأهمية في تطور الحركة الثقافية في مملكة غرناطة هي المدرسة وهي مكان لتدريس عدد معين من الطلاب على أيدي مدرسين متخصصين وكانت هيئة المدارس في الجملة لا تختلف عن هيئة المساجد(١).

كان ظهور المدارس متأخرا في الأندلس ويعزو أحد الباحثين ذلك إلى أسباب عديدة منها الاستكثار العام من المساجد فهو أحد الأسباب التي أخرت ظهور المدرسة في الأندلس ، بعد فترة تبلغ حوالي قرنين أو اكثر من ظهورها في المشرق. هذا بالإضافة إلى أن الدولة لم تتدخل في توجيه التعليم في الأندلس حيث تركته حرا خاضعا لمبادرات فردية. ومن الأسباب الأخرى عدم تخصيص احباس خاصة لطلبة العلم فكانت معظم الاحباس توقف للمساجد ودور المرضى وغيرها من المنشآت(٢).

وقد تأثرت المدرسة الأندلسية والمغربية أيضا بالمدرسة الإسلامية المشرقية من خلال الرحلات التي قام بها الأندلسيون والمغاربة للمشرق واطلاعهم على مدارسه(٣).

ويبدو أن هنالك تأثيرا أسبانيا في التربية الإسلامية في غرناطة وخاصة في إنشاء المدارس . إذ أن السلطان محمد الفقيه استدعى إلى غرناطة العلامة أبا بكر الرقوطي الذي كان يتولى رئاسة مدرسة مرسية والتدريس فيها والتي كانت تحت حكم مملكة قشتالة ، والتي أنشأها ملك قشتالة الفونسو العاشر (AL-fonso x) فاستجاب العلامة الرقوطي ، بعد إلحاح سلطان غرناطة ، وجاء إليها، وتخلى عن خدمة الفونسو العاشر ليتولى تدريس المسلمين من أبناء دينه في غرناطة وهكذا تكون مدرسة غرناطة هذه المتأثرة بمدرسة

---

(١) علي، معاهد التربية ، ص٣٠٤.

(٢) احسان عباس ، التعليم في الاندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الحضارة الاسلامية بحوث ودراسات، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ، الشركة المتحدة للطباعة، ١٩٨٦، جـ١، ص٥٦.

(٣) ريبيرا، التربية الاسلامية في الاندلس ، ص٢٦ .

مرسية القشتالية أول مدرسة تنشأ في ظل مملكة بني الأحمر في غرناطة[١].

ويبدو أن مدرسة غرناطة هذه قد أنشئت واقتصرت على دروس العلامة ابي بكر الرقوطي وأنها بقيت ما عاش الاستاذ فيها وانتهت وأغلقت بوفاته سنة ٧٤٤هـ /١٣٤٤م. وهي الحالة الوحيدة لمدراس من هذا النوع التي تدرس فيها علوم الإغريق كالفلسفة عند مسلمي الأندلس. وقد جاءت هذه المدرسة تقليدا واضحا للمدرسة المسيحية في مرسية التي كانت تحت سيطرة قشتالة، وأنشئت من اجل شخص واحد، لتدريس الفلسفة، ولم يكن المجتمع الإسلامي ينظر إليها بعين الرضا أبدا. وبإغلاقها انتهى تدخل الدولة المباشر في شؤون التعليم[٢].

أما المدرسة التي بناها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول عام (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) على يد حاجبه رضوان النصري[٣]. فقد عدها البعض المركز الثقافي الرئيسي الأكثر أهمية في الغرب الإسلامي وليس في غرناطة فقط[٤]. وأوقف عليها الحاجب رضوان النصري وبأمر من السلطان أبو الحجاج يوسف الأول الأوقاف الجليلة حتى أصبحت من أفخم المدارس[٥]. وعرفت المدرسة النصرية بغرناطة بالمدرسة اليوسفية نسبة إلى مؤسسها يوسف الأول كما عرفت كذلك بالمدرسة العلمية أو النصرية وقد اهتمت هذه المدرسة بتدريس العديد من العلوم بعد ما كانت مقتصرة على الاهتمام بالعلوم الدينية واللسانية. وتعلم فيها

---

(١) ابن الخطيب، الاحاطة ، م٣ ، ص٦٧-٦٨؛ ريبيرا، التربية الاسلامية في الاندلس، ص٢٤-٢٦؛ انخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي ، ط١ ، نقله عن الاسبانية حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،١٩٥٥،ص٤٥٧ . وسيشار له تاليا : بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي .

(٢) ريبيرا ، التربية الاسلامية في الاندلس ، ص٢٦.

(٣) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م١ ، ص٥٠٦-٥٠٩.

(٤) عيسى ، تاريخ التعليم في الاندلس ، ص٤٩١،

Ladero Quesada , M.A. Granada Historia De un pais Islamico : (1232-1571),3ed, edicion Medrid ,1989 ,p.119.

Ladero Quesada ,Granada.: وسيشار له تاليا

(٥) ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص١٥٦؛ الاحاطة ، م١، ص٥٠٩ .

العديد من مختلف مناطق الدولة النصرية[1]. ووجدت على باب المدرسة أبيات شعر لأبي الحسن علي بن الجياب المتوفى في غرناطة عام (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) جاء فيها :-

يا طالب العلم هذا بابه فتحا فادخل تشاهد سناه لاح شمس الضحى
واشكر مجيدك من حل ومرتحل إذ قرب الله من مرماك ما نزحا
وشرفت حضرة الإسلام مدرسة بها سبيل الهدى والعلم قد وضحا
أعمال يوسف مولانا ونيته قد طرزت صحفا ميزانها رجحا [2]

ومن اشهر أساتذة غرناطة الذين درسوا في هذه المدرسة فرج بن لب التغلبي (ت٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م) المعاصر لابن الخطيب الذي كان مدرسا في المسجد الأعظم بغرناطة ، ثم انتقل للتدريس بالمدرسة النصرية سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م فنال شهرة واسعة فيها[3]. ومنهم كذلك أبو زكريا يحيى بن هذيل التجيبي (ت٧٥٣هـ/١٣٥٥م) الذي تولى الإقراء بالمدرسة النصرية للعديد من العلوم كالأصول والفرائض والطب[4]. وساهم محمد بن علي الخولاني المعروف بابن الفخار المتوفى في غرناطة عام (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) في نشاط التدريس في غرناطة فوصفه ابن الخطيب بأنه كان عاكفا على العلم ملازما للتدريس بالمدرسة النصرية بغرناطة وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة[5].

ولم يكن التدريس في المدرسة النصرية مقتصرا على علماء غرناطة، انما كان لعلماء المغرب دور في التدريس فيها، ومنهم العالم ابن مرزوق المعروف بالخطيب، الذي تمكن من الهرب من تلمسان بعد وقوع أحداث أدت إلى حبسه،

---

(١) يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الاحمر دراسة حضارية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢، ص١٥٩ . وسيشار له تاليا : فرحات، غرناطة .

(٢) المقري، نفح الطيب، جـ٥ ، ص٤٥٧.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، م٤، ص٢٥٣.

(٤) المصدر نفسه، م٤، ص٣٩٠.

(٥) المصدر نفسه، م٣، ص٣٥-٣٧.

فعبر مضيق جبل طارق ونال ترحابا من السلطان الغرناطي أبو الحجاج يوسف الأول، فقربه وقلده خطبة جامع الحمراء بغرناطة. وقام أيضا بالتدريس في مدرسة السلطان المذكور. واستمر على ذلك إلى حين خروجه من غرناطة، عندما استدعاه السلطان المريني أبو عنان سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م. وقد درس الحديث النبوي والقراءات والتفسير وأصول الفقه[1].

ومن ذلك يتضح لنا أن نخبة من علماء ذلك العصر وأدبائه تعاقبوا على التدريس في المدرسة النصرية .

ومن الجدير بالذكر أن المتصوف محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالعمم قد بنى في غرناطة في هذه الفترة مدرسة تقع غربي المسجد الأعظم الذي كان يتولى الخطابة فيه[2].

ومن المراكز ذات النشاط التعليمي المنشآت الصوفية كالزوايا والربط، والتي تزايد عدد نزلائها من الفقهاء والكتاب. أما الزوايا، ومفردها زاوية فتعني في الأصل ركن البناء وكانت تطلق في البداية على صومعة الراهب المسيحي. ثم أطلقت على المسجد الصغير، وعلى المصلى، ثم تطورت وأصبحت مراكز للحياة الدينية والصوفية حيث أصبحت مدارس دينية ، كما كانت إلى حد ما دور ضيافة مجانية يقصدها الوافدون. ولا نجد زوايا في الأندلس قبل عهد أسرة بني الأحمر في غرناطة[3] .

فقد بنيت زاوية في حي اخشارش بغرناطة في عهد لسان الدين بن الخطيب[4] وكان شيخ هذه الزاوية العلامة الصوفي أبو عبدالله محمد بن سعد المعروف بابن بقي (ت٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) . وقد تتلمذ على يد ابن بقي في هذه

---

(١) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٦٧-٢٦٩.

(٢) ابن الخطيب، الاحاطة، م٣،ص١٩١.

(٣) ليفي بروفنسال،"الزاوية "، دائرة المعارف الاسلامية، اعداد وتحرير ابراهيم زكي خورشيد، احمد الشنتاوي، عبدالحميد يونس، دار الشعب، القاهرة، د.ت ، م١٠ ،ص٣٣١-٣٣٣.

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م٣ ،ص٤٠ .

الزاوية بعض العلماء منهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله القيسي المنتوري (ت٨٣٤هـ/ ١٤٣١م) حيث درس عليه بعض متون الفقه مثل : رسالة ابن ابي زيد، وتلقين القاضي عبد الوهاب، ووثائق ابن فتوح، كما روى عنه بعض كتب الحديث مثل :الموطأ، وعمدة الأحكام، وبعض كتب التصوف مثل: أدب الصحبة للسلمي، والحقائق والرقائق، والتي يرويها ابن بقي عن مؤلفها المقري[١]. وربما كانت هناك زوايا أخرى في غرناطة ولكن المصادر لا تسعفنا في ذلك .

أما الربط ومفردها رباط ويعني الإقامة بالثغر المعرض للعدو للذود عنه[٢]. والمرابطة ملازمة ثغر العدو واصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا. والرباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو[٣]، والرباط زاوية إسلامية محصنة وعند الصوفية تعني المكان الذي ينقطع فيه المرء لعبادة الله[٤].

ثم تطورت الربط ولم تصبح متعلقة فقط بمفهوم الجهاد بل أصبحت مجمعا للزهاد والمتوصفة والمنقطعين لعبادة الله . ولتوفير الكتب ووجود العلماء فيها أصبحت هذه الربط أماكن لقراءة الكتب وسماعها[٥].

وفي غرناطة بنى رباط في عهد لسان الدين بن الخطيب كان من ابرز

---

(١) محمد بنشريفة، من اعلام اواسط العصر الغرناطي المنتوري، في وقائع الندوة الثانية الاسبانية المغربية للعلوم التاريخية "علم التاريخ والمجتمع في غرناطة ٦-١٠ تشرين الثاني ١٩٨٩، مدريد، ١٩٩٢ ، ص١٨ ،
Actas Del II ,cologuio Hispano-Mavvgui De cieacias Historicas "Historia ,cienciay socieded Granade 6-10 Noviembre 1989. وسيشار له تاليا : بنشريفة، المنتوري،

(٢) مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ٤جـ، دار الجيل، د.ت، جـ٢، ص٣٧٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب المحيط ، اعداد وتصنيف يوسف خياط، تقديم عبدالله العلايلي ، بيروت ، لبنان ، م١، مادة "ربط " ، ص١١٠٨ . وسيشار له تاليا: ابن منظور ، لسان العرب.

(٤) مارسيه ،"الرباط " ، دائرة المعارف الاسلامية ، م١٠ ، ص١٩-٣٢.

(٥) علي ، معاهد التربية ، ص٦٠٠-٦٠٣،٦٠١.

شيوخه العالم ابن بقي السابق الذكر حيث قال ابن الخطيب عنه بأنه " قام بالرباط الذي بنيناه بالحضرة قياما أرضى الوارد، وأعذب الموارد "(١).

ويبدو أن الحركة الصوفية قد أصابها الضعف والخمول في غرناطة قبل ظهور ابي عبدالله محمد المحروق (ت٧٠١هـ/١٣٠٢م)، الذي جدد رسوم التصوف، وكان له باع طويل في نشاط الحركة الصوفية، حيث بنى رباطا في ضواحي غرناطة واصبح شيخ هذا الرباط(٢). وقد خدم محمد بن علي الجذامي الغرناطي المعروف بالغزال الشيخ المحروق سابق الذكر وجال معه البلاد وخلفه في رباطه المذكور بضواحي غرناطة وتولى مشيخة الصوفية مكانه حتى وفاته سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م (٣).

وقد أنجبت عائلة المحروق اكثر من صوفي، فهذا أحد أحفاد الشيخ محمد بن عبدالله المحروق الذي يدعى علي بن احمد المعروف بابن المحروق بتولى مهمة شيخ الفقراء السفارة في الرباط المنسوب إلى جده ويتكلم عن نشأته الصوفية وكيف لبس الخرقة من يد الشيخ عمر الهاشمي القرشي سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م ولم يكتف بتلمذته على صوفية الأندلس بل رحل إلى المغرب والمشرق واتصل برجال التصوف فيها . وقد ألف كتابا في التصوف جمع فيه اوارده الصادرة منه شعرا ونثرا . وقد آلى على نفسه أن يجعله خاليا من كلام غيره باستثناء مقطوعة واحدة لبعض المتصوفة لأنها غاية في الجودة ولانقة في الاحتفال وسمى هذا الكتاب بـ"نكت الناجي وإشارات الراجي" وله كذلك قصائد وازجال نظمها على البديهة والارتجال اشهرها قصيدة سر الفقير(٤).

وللمكتبات دور مهم في نشر الثقافة الإسلامية آنذاك وفي غرناطة نجد أن

---

(١) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة ، ص٩٤-٩٥.

(٢) احمد بن محمد بن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، ٥جـ ، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة ، د.ت، جـ٤ ،ص٣١٤. وسيشار له تاليا : ابن حجر، الدرر .

(٣) المصدر نفسه، جـ٤، ص٢١٩.

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م٤، ص٢٠١-٢٠٤.

مع ازدياد حركة الاسترداد المسيحية هاجر الساسة والعلماء من المدن التي استولى عليها الاسبان الى المدن الإسلامية، فصارت غرناطة هي الملاذ الوحيد، والملجأ القريب، للعديد من العلماء وظلت محتفظة بهذه الهوية لزمن طويل ، لذلك كانت المكتبات في غرناطة اكثر عددا مما هو موجود في أي مدينة أخرى، ففيها التقى ما كان أصيلا من عمل أهلها، مع ما وفد إليها مع القادمين من المهاجرين(١) . ولم تمدنا المصادر عن نشاطات تدريسية أو ما شابهها كانت تجري في تلك المكتبات .

ويبدو أن المدرسة النصرية التي أنشئت في عهد السلطان ابي الحجاج يوسف الأول كانت تضم مكتبة مهمة ، وان المدرسين كانوا يحتفظون بكتبهم فيها(٢). فقد ورد في كتاب الشاطبي " الإفادات والإنشاءات " :" كنت سائرا مع بعض الأصحاب ، إذ لقينا شيخنا الاستاذ المشاور أبا سعيد بن لب ، أكرمه الله ، بقرب المدرسة فسرنا معه إلى بابها ، ثم أردنا الانصراف فدعانا إلى الدخول معه إلى المدرسة وقال : أردت أن أطلعكم على بعض مستنداتي في الفتوى" (٣). ويبدو أن هناك العديد من نسخ الكتب كانت وقفا خاصا لمكتبة المدرسة النصرية ، فقد جاء في ازهار الرياض ان هناك نسخة من كتاب الاحاطة في تاريخ غرناطة لابن الخطيب رائعة الجمال ، فائقة الكمال ، محبسه على المدرسة اليوسفية من الحضرة العلية كتبت بخط قاضي الجماعة ابي يحيى بن عاصم(٤).

وكان هنالك مكتبة خاصة لسلاطين غرناطة في الحمراء فهناك عدة

---

(١) زيبيرا، التربية الاسلامية في الاندلس ، ص٢٣٦.

(٢) عبدالحميد عبدالله هرامة، القصيدة الاندلسية خلال القرن الثامن الهجري الظواهر ، القضايا، والابنية ، ٢جـ، كلية الدعوة الاسلامية، ليبيا، ١٩٩٦، ط١، جـ١، ص٢٣. وسيشار له تاليا : هرامة، القصيدة الاندلسية .

(٣) أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي الاندلسي ، الافادات والانشادات ، دراسة وتحقيق محمد ابو الاجفان، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨، ص١٥٢. وسيشار له تاليا : الشاطبي ، الافادات والانشادات .

(٤) المقري، ازهار الرياض ، جـ١، ص٥٥.

اشارات توضح تقلد علماء غرناطة امر تلك الخزانة الملكية ومنهم العالم محمد بن احمد بن شقرال المعروف بالطرسوني (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م) حيث عرف عنه تقلد خزانة الكتب السلطانية بالحمراء مدة[١].

وعرف عن علماء غرناطة اهتمامهم بانشاء مكتبات خاصة بهم حيث ضمت مكتباتهم كما هائلا من الكتب الهامة. فالعالم احمد بن ابراهيم الثقفي الغرناطي المعروف بابن الزبير (ت٧٠٨هـ/١٣٠٩م) ضمت مكتبته ذخائر كتبه وفوائد تقييده عن شيوخه[٢] اما العلامة ابو قاسم احمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ/١٣٤١م) فكان "جماعة للكتب ملوكي الخزانة حسن المجلس "[٣].

كما اهتم علماء غرناطة باستنساخ العديد من الكتب بخط ايديهم فكان لهذا دور في حفظ الكثير من الكتب والاستفادة منها. فقد وصف المقرئ محمد بن سعيد الطراز (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م) بانه كان كاتبا نبيلا كتب بخطه الكثير من الكتب، وترك امهات حديثية قام الناس باعتمادها بعده. واهتم في اخر عمره باصلاح حال كتاب "مشارق الانوار " للقاضي عياض الذي جعله الطراز في مبيضة في افضل درجات النسخ والادماج والاشكال – بعد أن تركه القاضي عياض في حالة إهمال الحروف حتى اخترمت منفعتها – فاعتمد على امهات المصادر الاخرى فخرج الكتاب على احسن صورة واكملها، دون ان يسقط منه أي حرف ولاكلمة، والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله[٤].

ومن الملاحظ عن طبيعة التعليم في مملكة غرناطة في ظل بني الاحمر انه كان ينقسم الى قسمين : تعليم عام وتعليم خاص ، والتعليم العام يضم جميع الناس دون فرق بين فقيرهم وغنيهم فلم يكن هناك تباين اجتماعي بين الصبيان عند ارسالهم لتعليم القرآن والقراءة والكتابة في المكاتب[٥].

وكان الكتاب يعد دار التعليم الاولى التي كان لها دور كبير في تدريس

---

(١) ابن الخطيب، الاحاطة ، جـ١، ص٢٥.

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص١٩١.

(٣) المصدر نفسه، جـ٣، ص٢٠.

(٤) المصدر نفسه، جـ٣، ص٤١–٤٢.

(٥) عيسى، تاريخ التعليم في الاندلس، ص٤٨١.

اطفال المسلمين[١] ويعود ظهوره في الاندلس الى فترة مبكرة بعد الفتح العربي للاندلس[٢].

واستمر اهتمام اهل الاندلس بالكتاتيب في الدول المتعاقبة عليها وصولا الى دولة بني الاحمر في غرناطة فلم يهمل اهل غرناطة شان المكاتب ودورها في تعليم القرآن الكريم[٣] .

ويبدو ان اهل غرناطة قد اتبعوا عادات اهل الاندلس حول السن المناسب لذهاب الاولاد الى المكتب وهو سن السادسة عادة اوقبل ذلك ان امكن. ويبدو ان الاطفال كانوا يبقون في المكتب حتى سن الثالثة عشرة او الرابعة عشرة تقريبا[٤].

ومن علماء غرناطة الذين درسوا في المكتب محمد بن عبدالولي الرعيني المعروف بالعواد (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) الذي كان من تلامذته لسان الدين بن الخطيب الذي قال عنه لم اتعلم الكتاب العزيز الا في مكتبه[٥].

وبعد الانتهاء من مرحلة الكتاب يتم الالتحاق بحلقات التعليم لبدء مرحلة جديدة في حياتهم التعليمية لا تتوقف ألا بانتهاء الأجل ، اللهم الا إذا قطع مسيرة تعلميهم بعض الأمور التي تحول بين الناس وبين مواصلة تعليمه[٦].

أما المرحلة الأخيرة التي يمكن عدها المرحلة الثالثة من التعليم فهي مرحلة الدراسة على كبار الشيوخ والفقهاء وهي مرحلة امتازت بعدم التقيد بحدود المكان أوالزمان ولا بمستوى تعليمي معين وليس لها نقطة توقف أو انتهاء . فالمتعلم في هذه المرحلة لا يتوقف عن التعلم حتى يصبح من كبار الشيوخ او الفقهاء والمعلمين المبرزين. وتتميز هذه المرحلة بطول مدة التعليم وكثرة الرحلة

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٧٧.

(٢) علي، معاهد التربية، ص١٦٠.

(٣) عيسى ،تاريخ التعليم في الاندلس ، ص٤٧٨.

(٤) المرجع نفسه، ص٤٨٠.

(٥) ابن الخطيب، الاحاطة، م٣، ص٣٣-٣٤.

(٦) عيسى، تاريخ التعليم في الاندلس ، ص٤٨٦.

للحصول على الإجازة [١].

وبالإضافة إلى كون غرناطة مركزاً لتعليم طلبتها من أهل غرناطة فقد كانت أيضا محط أنظار طلبة العلم من المدن الأندلسية الأخرى فقد درس العالم محمد ابن أرقم النميري (ت٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م) وهو من اهل وادي اش ، على كبار علماء غرناطة مثل ابن الزبير وابن مسعدة وغيرهم ، ثم برع في مجالات علمية عدة أبرزها الفقه والأدب واللغة العربية ، وأصبح أستاذاً عرف بالأصالة والعمق في بلده وادي اشي ، متقدماً في إصدار الفتاوى والتدريس وبيته يعج بالعلماء[٢]. ومنهم أيضاً العالم ابو الحجاج يوسف الجذامي (كان حياً ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) من أهل رندة الأندلسية الذي تتملذ على بعض علماء غرناطة كابن الزبير وابن الزيات[٣].

ويبدو ان الجو العلمي لغرناطة – بفضل وجود كبار العلماء الغرناطيين فيها – كان سبباً في جعلها مركز جذب للطلبة من شتى انحاء العالم الإسلامي وخاصة طلبة المغرب، منهم العالم المراكشي محمد بن قطرال الأنصاري (ت ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م)[٤].

ومنهم أيضاً المحدث والنحوى التونسي محمد بن جابر القيسي المعروف بجابر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) الذي رحل الى غرناطة للدارسة على كبار نحاتها ابوحيان الغرناطي[٥] .

وهناك ظاهرة يجدر الاشارة اليها وهي ظاهرة دخول علماء سبتة الى غرناطة سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م وذلك بعد حادثة ضم سبتة الى غرناطة في هذه

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٥.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة ، م٣، ص٨٨-٨٩.

(٣) المصدر نفسه، م٤، ص٣٧٧-٣٨٠.

(٤) المصدر نفسه، م٣، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٥) برهان الدين إبراهيم بن فرحون اليعمري المدني المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ت، ص٣١١-٣١٣ . وسيشار له تالياً : ابن فرحون، الديباج المذهب .

السنة ومن ثم مشاركة هؤلاء العلماء بالنشاط الثقافي الغرناطي كل حسب أختصاصه ، كما أن بعضاً من هؤلاء العلماء قد ترك غرناطة وعاد الى المغرب عندما خرجت عن سيطرة بني الأحمر . ومن هؤلاء علماء من أسرة واحدة هي أسرة العزفي مثل عبدالله العزفي (ت٧١٣هـ / ١٣١٣م) الذي وصف بالرئيس الفقيه[١]. وابنه الفقيه المحدث الشاعر عبد الرحمن (ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م) الذي لاذكرت له قصائد رفعها إلى سلطان غرناطة في أول قدومه إليها[٢] وحفيده محمد الذي انتقل هو الأخر إلى غرناطة وأقام بها و أشتهر بأدبه إضافة إلى معرفته بالطب[٣]. ومنهم العالم قاسم الحضري السبتي الذي ورد إلى غرناطه عام ٧١٨هـ/١٣١٨م[٤]، ويعتبر العلامة محمد بن محمد التلمساني الانصاري (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) من علماء سبتة الذين دخلوا غرناطة ولعبوا دوراً في اغناء الحركة العلمية فيها . فهو سبتي المولد غرناطي الموطن . جاء الى الاندلس عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م ودخل غرناطة . وكان قائماً على كتاب الله حفظاً و تجويداً مع طيب النغمة في التجويد[٥] ومنهم ايضاً العالم محمد بن هاني السبتي (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)[٦].

أما مناهج التعليم في تلك المراحل فنجد أن التعليم في المرحلة الأولى في غرناطة يقوم على تعليم العلوم الدينية وفي مقدمتها القرآن الكريم قراءة وكتابة شأنه في ذلك شأن كل البلاد الإسلامية [٧] ويأتي تعليم القرآن الكريم في مقدمة مواد التعليم لما له من أهمية في تحقيق عدة أهداف لأن تعليم الوالدن للقرآن شعار من شعائر الدين الذي أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه، في جميع أمصارهم، وذلك

---

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٣٨٣ .

(٢) أحمد بن القاضي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، ٢جـ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٤ ، جـ٢ ، ص٢٩٧-٤٠١..وسيشار له تالياً: ابن القاضي ، جذوة الاقتباس .

(٣) ابن حجر ، الدرر ، طبعة القاهرة ، جـ٥، ص٥٢.

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م٤ ، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٥) المصدر نفسه ، م٣، ص٢٠٠-٢٠٢.

(٦) المصدر نفسه ، م٣، ص١٤٣.

(٧) الحمصي، ابن زمرك الغرناطي، ص٦٣، ريبيرا، التربية الاسلامية في الاندلس، ص٤٤.

لماله من أهمية في ترسيخ الإيمان وعقائده في النفس، لذلك صار تعليم القرآن الكريم أصل التعليم الذي يستند عليه مايحصل عليه الفرد من الملكات، وذلك لرسوخ التعليم في الصغر، والذي يكون أصلاً لما بعده من تعليم[1].

وبهذا يتعلم الصبي نطق العربية بدقة ، وذلك لأن قراءة القرآن ، هي أفضل ماينطق ويقرأ في كل العالم الاسلامي ، لأنه يمد الذاكرة بجمل عربية فصيحة ، وتجعل التلميذ مستعداً لدراسة النحو الذي سوف يأتي فيما بعد ، فيتخذ بذلك من آيات القرآن المثل والشاهد[2].

ولم يكن اهتمام معلمي الأندلس مقتصراً على التعليم القرآن الكريم فقط وأنما كانوا يهتمون بتعليم التلميذ أيضا رواية الشعر وقوانين العربية وتجويد الخط والكتابة، وبذلك يخرج التلميذ من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد تعلم بعض الشيء العربية والشعر، والبصر بهما، وبرع في الخط والكتابة، وبذلك يكون سنداً لتعلم العلوم الأخرى[3].

ومن ذلك يتضح لنا ان المعلمين في الأندلس كانوا يهتمون باعداد التلاميذ للمراحل الدراسية المتعاقبة[4]. فالمتعلم في مرحلته الأولى يكون قد حقق نتائج طيبة من تعليمه الأول كونه قد عرف بعض الشئ في العربية والشعر وتبصر بهما وبرز في الخط والكتابة وتميزبه وحفظ القرآن الكريم هو أساس للكثير من الدراسات التالية[5].

أما بخصوص المرحلة الثانية من التعليم في الأندلس فلم يكن هناك منهاج محدد فقد تميزت هذه المرحلة بإتاحة الفرصة أمام الدارسين لينهلوا من عدد واسع

---

(١) عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ٤م، تحقيق أ. م كاترمير، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، م٣، ص٢٦٠ . وسيشار له تالياً : ابن خلدون ، المقدمة .

(٢) عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص٤٨٢، ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص٤٤.

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، م٣ ، ص٢٦١.

(٤) ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص٤٤

(٥) عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٤٨٣.

من العلوم فقد اشتملت كل مناحي الحياة التعليمية .

وهذا الأمر ينطبق على التعليم في هذه المرحلة في مملكة غرناطة فلم يكن هناك اتجاه معين سوى العودة بالناس إلى ما كان عليه أهل الأندلس، الذي يتمثل دوماً في الاهتمام بالمذهب المالكي كما تميز عصر بني الأحمر في غرناطة في الاهتمام بالدراسات النظرية فازدهرت الدراسات اللغوية والأدبية في غرناطة أكثر من غيرها من العلوم(١). ومن يطّلع على الكم الهائل من النتاج الأدبي في هذا العصر يتبين له ذلك بوضوح .

أما مرحلة التعليم الثالثة أو الأخيرة في الأندلس فقد قامت على تفسير القرآن والمسائل الفقهية الفلسفية وأصول اللغة العربية والشعر وعلم المفردات والتاريخ والجغرافية وكان في بعض المدن الأندلسية مدارس كبرى ومن ضمن هذه المدارس المدرسة النصرية التي كانت تدرس فيها مختلف المعارف(٢) .

يأتي القرآن الكريم في مقدمة الكتب التي اهتم علماء غرناطة بتدريسها فهو أصل تصدر عنه كل المعارف المختلفة والعلوم المتنوعة وأساس تنظيم المجتمع(٣).

فمن علماء غرناطة الذين درسوا القرآن فيها عبدالله العبدري الكواب (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٦م) وهو من العلماء الذين أدركوا قيام مملكة غرناطة وعاصروا بداياتها الأولى وقد نقل عنه ابن الخطيب في الإحاطة عن ابن الزبير في كتاب صلة الصلة انه كان ايقن أهل زمانه في تجويد كتاب الله العزيز، وأبرعهم في ذلك، وأكثرهم فائدة للمتعلم ، وقد ذكر اموراً كثيرة ، وخاصة في الاختلاف في

---

(١) المرجع نفسه ، ص٤٩٦.

(٢) نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ٥جـ ، تقديم احمد بن سودة ، طـ١، دار الأمير للثقافة والعلوم ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥، جـ٣ ، ص٢٧٧؛ Viguera Molins , La Cultura Nasari .p.167.

(٣) ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص٦٣.

القراءات عند القراء السعبة . ورحل الناس اليه من كل مكان خاصتهم وعامتهم، وملأ بلده غرناطة تجويداً متقناً وتخرج على يده جملة من الذين اصبحوا مقرئين بارزين منهم ابن ابي الاحوص وابو عبدالله ابراهيم المقرئ(١).

وساهم أحمد بن سعد الغرناطي الأنصاري المعروف بالقزاز (ت٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م) في حقل الدراسات القرآنية ، فبعد ان درس القراءات على كبار علماء القراءات الأندلسيين في وادي آش وغرناطة، قام بتدريسها لتلاميذ غرناطيين ذاع صيتهم فيما بعد، مثل أبي حيان الذي درس عليه القرآن الى سورة مريم وروى عنه كتاب " التيسير"*، وأحمد الجزري الذي درس عليه القراءات السبع، وابن سهل الغرناطي. وقد وصف المقرئ القزاز هذا بانه كان أعلم أهل زمانه بهجاء المصحف وضبطه(٢).

ومن مدرسي القرآن الكريم في غرناطة أيضاً محمد بن علي الخولاني المعروف بابن الفخار المتوفي في غرناطة عام (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) الذي كان أستاذاً للسان الدين بن الخطيب ، إذ درس عليه القرآن الكريم وصاحبه مدة. ووصفه ابن الخطيب بانه كان عاكفاً على العلم ملازماً للتدريس بالمدرسة النصرية

---

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٣٩٩-٤٠٠.

* ليس واضحاً أي من كتب (التيسير) روى عنه فهناك كتاب (التيسير في القراءات السبع) للإمام ابي عمرو عثمان ابن سعيد بن عثمان الداني (ت٤٤٤هـ/ ١٠٥٣م) ، وكتاب " التيسير في القراءات " لأبي العباس احمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ/ ١٣٠٩م) . انظر مصطفى بن عبدالله القسطنطي المعروف بحاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ ، جـ١، ص٥٢٠ . وسيشار له تالياً: حاجي خليفة كشف الظنون .

(٢) أبو عبدالله محمد بن عبدالملك الانصاري الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة ، ٢ق ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، ١٩٨٤، ق١ ، ص١١٨. وسيشار له تالياً : المراكشي، الذيل والتكملة؛ شمس الدين أبي خير محمد بن محمد بن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ٢جـ، عنى بنشره ج. برجستراسر ، طـ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، جـ١، ص ٨٧. وسيشار له تالياً : ابن الجزري ، غاية النهاية .

بغرناطة[١]. ومن العلماء الذين عرفوا ببراعتهم في العلوم القرآنية سعيد بن محمد الغساني الغرناطي إذ كان يقوم على الكتاب العزيز حفظاً وتدريساً على افضل واحسن طريقة ، أضافة إلى نشاطه في العديد من العلوم الأخرى . وقد استدعاه لسان الدين بن الخطيب لتأديب ولديه فاعجب بعلمه وكفاية تدريسه واستقامته[٢]. ومنهم كذلك العالم ابن الكماد (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) الذي قام بتدريس القراءات في غرناطة وأنتفع به الكثير من العلماء والطلبة في غرناطة وتخرج على يديه جملة منهم[٣].

واهتم العديد من علماء غرناطة بقراءة القرآن بقراءة نافع درساً وتدريساً فقد تولى مقرئ غرناطه يوسف السدوري كان حياً (ت٧٧٠هـ/١٣٦٩م) وإمام المدرسة اليوسفية فيها بتدريس القرآن وخاصة تدريس كتاب، الرجز بقراءة نافع لمؤلفه على بن بري الذي كان هو نفسه قد قرأه على يد ابن بري نفسه . وقد تخرج على ، يد السدوري العديد من طلاب القراءات في غرناطة [٤].

وبرز محمد بن علي الغرناطي الشهير بالحفار (ت ٨١١هـ/ ١٤٠٨م) كأحد كبار قراء غرناطه ، فقد نشأ بها وتتلمذ على علمائها كالبياني وابن لب واخذ عنه طلبة صاروا فيما بعد من أعلام علماء غرناطة كابن سراج وابن عاصم[٥]. وممن تتلمذ عليه أيضاً ابو عبدالله المجاري الأندلسي (ت ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م) وهو من العلماء الذين أنتجتهم غرناطة في عصرها الأخير الذي عرف عنه بأنه مقرئاً وراوية كبير ووصف بالشيخ الإمام المقرئ الحاج الرحال الأستاذ المتفنن الراوية خاتمة الرواة بالأندلس البارع بالقراءات السبع[٦]. وقد عرف عنه أيضاً إتقانه في تلاوة كتاب الله العزيز حفظاً وضبطاً للمخارج وتجويداً للفظ حتى عد علم أعلام

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٥-٣٧.

(٢) المصدر نفسه ، م٤ ، ص٣١٠-٣١٢.

(٣) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٦٠؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٤) ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ٢ ، ص٤٠١-٤٠٢.

(٥) التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص٢٨٢.

(٦) المجاري ، برنامج المجاري ، ص٣٢-٣٣ مقدمة المحقق .

القراء ، واجدر أهل زمانه للقيام بمهمة الإقراء[1].

ونظراً لمكانته العلمية في القراءات فقد شد إليه بعض الطلبة الرحال من خارج الأندلس للتلاوة بالسبع عليه. وأهل المجاري لهذه المكانة السامية في القراءات نتيجة لما تلاقاه عن شيوخ من علوم القرآن وما قرأه عليه من الآيات وما درسه عليهم من الكتب مثل " الاقناع " و " الشاطبية " و " رجز ابن بري " كما اوضح في برنامجه انه قرأ على بعض شيوخه ختمات قرآنيه[2]. فقد ذكر في برنامجه أستاذه الحفار السابق الذكر وقال عنه : قرأت عليه كتاب الله العظيم في ثلاث ختمات على قراءة نافع جمعاً وإفراداً . ثم شرعت في قراءة القرآن بقراءة عبدالله بن كثير جمعاً حتى وصلت بالقراءة لقوله سبحانه " ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين "* [3].

ومن الجدير بالذكر ان من علماء غرناطة الذين جلسوا لتدريس القرآن الكريم وأقامة حلقات الدرس في المسجد الجامع بغرناطة عتيق بن يحيى بن الفراء الغساني (ت٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م)[4]، ومنهم أيضاً خطيب مسجد ربض الفخارين محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالمواق** المتوفي قبل (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)[5].

ولم يقتصر التعليم في مساجد غرناطة على علماء غرناطة فحسب وانما

---

(١) المصدر نفسه ، ص٣٣، مقدمة المحقق .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٣-٣٤ مقدمة المحقق .

* سورة الأحزاب : آية ٣١.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٤-١٠٥.

(٤) أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي ، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في اسماء الرجال، ٣جـ، تحقيق الأحمدي أبو النور ، ط١، دار التراث ، القاهرة، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٧١ ، جـ٣ ، ص١٨١ . وسيشار له تالياً : ابن القاضي ، درة الحجال .

** المواق المذكور أعلاه هوغير المواق المتوفي في عام سقوط غرناطة ٨٩٧هـ /١٥٤٢م تنظر ص١٢٤-١٢٥ من هذه الرسالة ، الفقه .

(٥) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٢٣٠-٢٣١ .

كان لعلماء الاندلس دور في التدريس فيها الذين ساهموا باغناء الحركة الفكرية في مملكة غرناطة. ومن أشهر هؤلاء الفقيه محمد بن المفرج الأوسي المعروف بابن الدباغ الاشبيلي (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م) الذي درس في جامع باب الفخارين ومسجد ابن عذرة(١)، ومنهم ايضاً ابو الحسن علي بن عبدالله الكناني القيجاطي (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م) وهو من اهل بسطة أستدعى الى غرناطة عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م فدرس فنوناً مختلفة من العلم في مسجدها الأعظم من قراءات وفقه وأدب كما تولى الخطابة بغرناطة وناب عن بعض القضاة بالحضرة(٢). وأثنى ابن الخطيب على علمه ومكانته وأسلوبه(٣).

كما اهتم علماء غرناطة بعقد حلقات لتفسير القرآن الكريم في المساجد حيث كان لعتيق بن يحيى بن الفراء الغساني مجلس في الجامع الأعظم من حضرة غرناطة يفسر فيه القرآن الكريم(٤).

وتاتي دراسة الحديث بعد علوم القرآن الكريم حيث كانت تعقد العديد من مجالس الحديث في مساجد غرناطة . ومن أشهر علماء غرناطة الذين عقدوا مجالس لتدريس موطأ مالك في المسجد الجامع بغرناطة محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي الغرناطي (ت٧٧٣هـ/ ١٣٧٢م)(٥) وعتيق بن يحيى بن الفراء الغساني(٦).

ومن علماء الحديث ومدرسيه في غرناطة أيضاً ابن الحفار الذي درس عليه المجاري صاحب البرنامج المعروف باسمه وقال عنه " وقرأت عليه بلفظي

---

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣، ص ٦٨-٦٩؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص ٣٠٠.

(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٤ ، ص١٠٤ ، المقري ، نفح الطيب ، م٥ ، ص٥٠٧ ؛ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص٢٠٧ ؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص٢٨٢ ؛ ابن القاضي، درة الحجال ، جـ٣، ص ٢٣٩.

(٣) لسان الدين بن الخطيب ، أوصاف الناس في التواريخ والصلات ، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانه، مطبعة فضاله ، المغرب، د. ت، ص ٢٤ . وسيشار له تالياً : ابن الخطيب، أوصاف الناس .

(٤) أبن القاضي ، درة الحجال ، جـ٣، ص١٨١.

(٥) ابن حجر ،الدرر ، طبعة القاهرة ، جـ٥ ، ص٦٦-٦٧.

(٦) ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٣ ، ص١٨١ .

جميع الجامع الصحيح جمع الأمام .... البخاري". ولم يقتصر في تدريسه على كتاب الجامع الصحيح للبخاري الذي بين يديه، بل كان يحدث به أيضاً عن جماعة من شيوخه بأسانيدهم موصلاً أياه إلى البخاري. كذلك قرأ عليه المجاري أول موطأ مالك بن أنس رواية يحيى بن يحي الليثي، والثلث الأول من صحيح مسلم، وقال المجاري أيضاً سمعت منه بلفظ غيري الجامع الكبير للترمذي وسنن النسائي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجة وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض. وكذلك كتاب العمدة في الحديث لأبي بكر ابن العربي، و " الأنوار السينة في الألفاظ السنية " للمحدث ابن جزي، وغلوم الحديث لأبن صلاح(١).

كما كان لعلماء الاندلس والمغرب دور في تعليم الحديث في غرناطة منهم العلامة القاضي محمد بن سعد الأشعري المالقي (ت٧٤١هـ/١٣٤١م) الذي تألق في مجال علم الحديث حيث بذل جهداً كبيراً في دراسته حتى صار مبرزاً في الحديث، تاريخاً وإسناداً ، وتعديلاً وتجريحاً . وعقد العديد من مجالس الحديث في خضرة غرناطة شرحاً وسماعاً بعد توليه القضاء والخطابة فيها عام (ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) وكان قد درّس العديد من كتب الحديث من ضمنها كتاب صحيح مسلم(٢). كما درّس العالم الفاسي محمد بن عبدالرحمن الكرطوسي التميمي المعاصر للسان الدين بن الخطيب الحديث في جامع غرناطة ، وقيل عنه انه ينقل الحديث باسانيده ومتونه ويحفظ مطولاته وكان يحذف اسانيد الصحاح الثلاثة للبخاري والترمذي ومسلم(٣).

وظهرت في غرناطة عناية كبيرة بالسيرة النبوية حيث كانت تعقد المجالس في المساجد لقراءة كتب السيرة. فمن علماء الأندلس الذين أظهروا أهتماماً في هذا الجانب المقرئ المحدث الراوية محمد التلمساني الأنصاري (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الذي جلس بالمسجد الجامع بغرناطة يقرأ على الناس كتب السيرة النبوية وقد برع

---

(١) المجاري ، برنامج المجاري ، ص١٠٤-١٠٧، ١١٠، ١١٣.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٧٦-١٨٠؛ النباهي، تاريخ قضاه الأندلس، ص ١٤٢-١٤٣؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٣) ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، جـ١، ص٢٢٢-٢٢٣.

في ذلك الى حد كبير حتى أنه كان له تأثير قوى على مستمعيه[1] .

وشغل الفقه المرتبة الثالثة بعد علوم القرآن والحديث . فقد ترك الفقيه ابو عبدالله محمد بن محمد بن احمد المقري (ت ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م)، وهو جد المقري صاحب كتاب نفح الطيب أثراً كبيراً أثناء إقامته في غرناطة، وهذا الاثر يتوضح في تتلمذ عمالقة الفكر والثقافة العربية عليه مثل لسان الدين بن الخطيب وابن خلدون[2]، وابراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي الذي تفقه عليه وكان يحضر بالجامع الأعظم دروسه مع بقية طلبة غرناطة وعلمائها ، وسمع منه بعض كتبه مثل " القواعد الفقهية " و " تكميل التعقيب على صاحب التهذيب "[3] .

ومن العلماء الذين درسوا الفقه أيضاً في غرناطة قاسم الانصاري المعروف بابن جابر (ت٧١٤هـ/ ١٣١٤م) . وهو من أهل غرناطة درس فيها وفي المشرق ثم تولى التدريس في غرناطة بعد عودته من المشرق [4]، ومنهم كذلك أبو القاسم السبتي الشهير بالشريف الغرناطي (ت٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م) [5].

واهتم ابن الدباغ الاشبيلي بتدريس الفقه واصوله لأكابر علماء غرناطة اما الفروع والعقائد فكان تدريسه لعامة الناس[6] .

وظهر اعتناء من قبل العلماء في غرناطة بتدريس العديد من كتب

---

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣، ص٢٠٠

(٢) ابو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد المقري، القواعد ، تحقيق ودراسة احمد بن عبدالله بن حميد ، ٢جـ، مركز احياء التراث الاسلامي، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة د.ت ، جـ١ ، ص٦٣ .

(٣) الشاطبي ، الافادات والانشادات ، ص٢٢،٨١-٨٤.

(٤) محمد بن ابراهيم المصري الشهير بالبشتكي، مركز الإحاطة بإدباء غرناطة ، " مخطوط " نسخة مصورة على ميكروفلم في مكتبة الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم ٦٤٢ ، عن مخطوط في الخزانة العامة ، الرباط ، رقم ٢٦٥٠، ورقة ٢١٧ب . وسيشار له تالياً : البشتكي ، مركز الإحاطة ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، م٤ ، ص٢٦٢.

(٥) النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص١٧١-١٧٢ ؛ ابن حجر ، الدرر ، طبعة القاهرة ، جـ٣ ، ص٤٤٣.

(٦) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م٣ ، ص٦٨-٦٩؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص٣٠٠ .

التصوف ، فقد عرف عن الفقيه أبي عبدالله المقري تدريسه لطلبة في غرناطة كتبه الصوفية مثل " إقامة المريد " و " رحلة المتبتل " وكتاب " الحقائق والرقائق "[١].

ومن العلوم الأخرى التي كانت تدخل ضمن مناهج التدريس في غرناطة الأصول والفرائض . والفرائض هي مهمة حسابية في تصحيح حصص ذوي الفروض في الإرث إذا تعددت وتوفي بعض الوارثين وقسمت حصصه على ورثته وحدث ارتباك في التوزيع او كان في الفريضة إقرار أو إنكار من بعض الورثة[٢].

فقد كانت الاصول والفرائض تدرس في المدرسة النصرية . ومن العلماء الذين اهتموا بتدريسها يحيى بن هذيل التجيبي[٣]. وقاسم الانصاري المعروف بابن جابر[٤]. وكان للمنطق والجدل حظ من الاهتمام بتدريسهما فقد تولى ابن جابر أيضاً تدريسه في غرناطة[٥].

اما اللغة العربية فقد بلغت العناية بها درجة عالية في غرناطة فالعلوم الدينية تتطلب دراسة اللغة العربية بفروعها مثل النحو وتفسير الكلمات ، حيث درست الفية ابن مالك وكانت موضوع دراسات وتعليقات العديد من الغرناطيين

---

(١) ابن الخطيب، الاحاطة ، م٣ ، ص٢٠٣؛ محمد الفاضل ابن عاشور، أعلام الفكر الاسلامي في تاريخ المغرب العربي ، نشر مكتبة النجاح ، مطبعة النجاح ، تونس ، د.ت ، ص٨٥ . وسيشسار له تالياً : عاشور، اعلام الفكر ؛ العباس بن ابراهيم السملالي ، الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ، ١٠جـ، راجعه عبدالوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٧٦ ، جـ٤، ص ٣٩١. وسيشسار له تالياً : السملالي ، الاعلام .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، م٣ ، ص٩٩.

(٣) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٤، ص٣٩١ ؛ ابن حجر ، الدرر ، طبعة القاهرة ، جـ٥، ص١٧٨.

(٤) البشتكي ، مركز الإحاطة ، مخطوط ، ورقة ٢١٧ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة ، م٤، ص٢٦٢

(٥) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٤، ص٢٦٢.

وغيرهم[١].

ومن المؤلفات اللغوية التي كانت تُدرس في غرناطة مؤلفات أبي حيان الغرناطي وابن لب ، الذي مازالت كتبه مفقودة ، وما جاء بعدها مثل ابن خاتمه والقاضي الشاعر البلافقي الذي كتب المقتضب في تحفة القادم[٢].

اما النحو والمعاجم فكان لهما ايضاً نصيب من المؤلفات الغرناطية والتي كانت تدرس فيها هي الأخرى كالتعليقات على المؤلفات النحوية مثل كتاب الاصبحي (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) حول كتاب سيبويه الذي لم يصلنا[٣].

وقام كثير من العلماء بتدريس اللغة العربية ومنهم على سبيل المثال ابو القاسم السبتي، الشهير بالشريف الغرناطي (ت٧٦٠ هـ/ ١٣٥٩م)[٤].

كما درست في غرناطة العديد من العلوم البحتة كالطب الذي كان العالم يحيى بن هذيل التجيبي يدرسه في المدرسة النصرية[٥]. اما العالم احمد الكرني وهو من أهل غرناطة ؛ كان حياً سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م ، فيعد من أطباء غرناطة البارعين قام بتدريس الطب في غرناطة معتمداً على النصوص التي تركها مشاهير الأطباء[٦].

ومن العلوم البحته التي درست ايضاً الهيئة والحساب والهندسة واشهر من تولى تدريسها في غرناطة محمد الاوسي المرسي الغرناطي المعروف بابن الرقام

---

(١) Viguera Molins , La cultura Nazari , p167.

(٢) Ibid ,p. 167-169.

(٣) Ibid ,p. 169.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة ، م٢ ، ص١٨١-١٨٢؛ تقي الدين أبي بكر بن قاضي شهبة الاسدي الدمشقي، تاريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، الجفان والجابي للطباعة والنشر ، ليماسول ، قبرص ، ١٩٩٤م ، م٣ ، جـ٢، ص١٥٤. وسيشار له تالياً : ابن قاضي شهبة، تاريخ .

(٥) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٤، ص٣٩٠ ؛ ابن حجر ، الدرر ، طبعة القاهرة ، جـ٥ ، ص١٧٨-١٧٩.

(٦) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م١، ص ٢٠٦-٢٠٧؛ ابن حجر ، الدرر ، طبعة القاهرة ، جـ١، ص ٣٣٥.

(ت٧١٥هـ/١٣١٥م) اذا استقدمه ثاني ملوك بني الاحمر محمد الثاني الفقيه فأنتفع الناس به واوضح لهم بعض المشكلات العلمية الغامضة[١].

وهناك اشارات تبين ان التدريس لم يكن متخصصاً في موضوع معين بل كان بعض العلماء الموسوعيين كالعلامة ابي بكر الرقوطي يتولون تدريس علوم العربية وعلوم الحساب والهندسة، والطب، والموسيقا، والمنطق، وبقية فروع الفلسفة[٢]. وكان العالم ابو الحسن على القيجاطي خطيب المسجد الاعظم بغرناطة. يُدرس فنوناً من قراءات وفقه وعربية وأدب[٣].

اما العالم ابن العابد الانصاري (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م) فقد وصف بانه علم كتاب دار الامارة النصرية حيث برع في العديد من العلوم وهي : الكتابة والأدب واللغة والاعراب والتاريخ والفرايض والحساب والبرهان عليه . كما تتلمذ علي يد فحول الشعراء ، ودرس الحديث وحفظ الاحكام ، وقام بنسخ الدواوين الكبار ، واهتم بضبط كتب اللغة ، وقيد على كتب الحديث ، وقام باختصار التفسير للزمخشري[٤].

وفيما يتعلق بثقافة المعلم في المراحل المختلفة فنجد ان على المعلم في المرحلة الأولى في الأندلس ان يكون على مستوى عالٍ من الثقافة والعلم[٥].

اما مايخص معلمي المرحلة الثانية فيجب ان يتمتعوا بمستوى علمي متميز فالعلم في الحلقة العلمية التي يعقدها في المسجد او المدرسة يجب ان يكون متمكناً

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة ، م٣، ص٦٩-٧٠؛ أحمد بن القاضي، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، من كتاب الف سنة من الوفيات، د. م، د. ت، ص ١٧٢. وسيشار له تالياً :ابن القاضي، لقط الفرائد؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة ، جـ٣، ص ٣٨٣.

(٢) ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص٢٤؛ بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٤٥٧.

(٣) المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥٠٧.

(٤) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٢ ، ص٢٨٧. للمزيد عن ابن العابد ينظر ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، جـ١ ، ص٢٣١، التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص٢٥٤.

(٥) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٣١٠-٣١٢؛ عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٤٨١.

من مادته وفي بعض المساجد الجامعة أو المدارس لا يسمح للمعلم الجلوس فيها الا أذا كان من كبار العلماء والمدرسين .

ولعل مما يدل على تمكن العلماء من علمهم استخدم ألقاب عديدة في وصف مجموعة منهم مثل " كان نسيج وحده "(١) أو " العالم الأوحد "(٢) أو يلقب بلقب " الاستاذ "(٣).

وتمتع العلماء بمكانة اجتماعية طيبة لدى السلاطين وبين الناس حتى أن علمهم ساعدهم على الانتساب لجماعة الفقهاء(٤). وهذه المكانة أدت بأحد المستشرقين إلى القول بأن هؤلاء اصبحوا سلطة حقيقة داخل الدولة(٥).

وفيما يتعلق بمعلمي المرحلة الاخيرة فقد اهتم اهل الاندلس بان يحتل مقعد التدريس في المساجد الجامعة والمدارس ممن انتهت إليهم المهارة في العلم والدين في وقتهم ، لذلك بلغوا درجة اجتماعية رفيعة من الاحترام والمهابة(٦). وبالاضافة الى هاتين الصفتين كانت هناك صفات اخرى ينبغي ان تتوفر في المعلم في هذه المرحلة ومنها تحري الصدق الذي بدونه يؤدي الى نتائج سيئة ، وان يكون صاحب عادات طيبة ليأخذ عنه الطلاب وان لايبخل بملاحظاته وان يتزين بالتقوى ويحرض الطلاب على العلم ويرغبهم فيه(٧). وعلى المعلم في الأندلس ايضاً ان يكون مستقيماً وعلى المذهب المالكي(٨).

ومن الملاحظ ان تدريس المعلم في غرناطة لا يقتصر على مكان واحد ،

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة ، م١، ص٢٠٦،م٢، ص٥٢٨، م٣، ص٤٤٣؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ ١، ص٣٣٥؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٣٥٩؛ أزهار الرياض، جـ٢ ، ص٣٠١.

(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٢، ص٤٢٠؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ٢، ص٢٠٠.

(٣) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٣٣ ؛ المجاري ، برنامج المجاري، ص ٩١-٩٢؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٢ ، ص٢٨٣؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص٢٧٢ .

(٤) عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٤٩٧.

(٥) ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص٣٠.

(٦) عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٥٠٢.

(٧) ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص ١١٨.

(٨) المرجع نفسه ، ص١١٣.

فهذا المحدث والمقرئ الحفار يقوم بالتدريس في مجالس بعضها بالمدرسة النصرية وسائرها بالجامع الأعظم في غرناطة(١).

اتبع بعض علماء غرناطة اساليب علمية معنية أثناء تدريسهم للطلاب فقد عرف عن النحوي احمد بن آدم الشقوري اهتمامه بمناقشة الطلاب بمضامين الكتب التي كان يدرسها لهم وهذا ماكان يقوم به عند تدريسه أمهات الكتب النحوية مثل كتاب سيبويه والفية ابن مالك(٢).

وأولى محمد بن عياض بن محمد بن عياض (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) – وهو حفيد القاضي عياض المشهور - أهمية لتعليم المبتدئين من الطلبة فقد عمل على تشجيعهم على العلم وتحبيبهم فيه فقد كان مقرباً لاصاغر الطلاب ومكرماً لهم ومعتنياً بهم ومدافعاً عنهم ليحبب إليهم العلم وأهله(٣).

ولم يكن اهتمام المعلمين في غرناطة بالناحية العلمية الصرفة فحسب وانما كانوا بمثابة الموجهين والمرشدين لطلبتهم من خلال النصائح التي كانوا لا يبخلون فيها على طلبتهم. فهذا العالم محمد بن يحيى بن ابي بكر الاشعري المالقي (ت٧٤١هـ/١٣٤١م) قد تصدر في غرناطة لتدريس فنون جمه من اقراء القرآن والعربية والفقه وعقد مجالس الحديث وغيرها كثير(٤)، واهتم باسداء النصائح لطلبة تلك النصائح التي كان قد أكتسبها خلال تجاربه اثناء مسيرته العلمية . فقد كان عطوفاً على طلبته محبباً اليهم العلم والعلماء تاركاً للتكلف اثناء تدريسه، منشرح الصدر، كثير التضحية، حريصاً على الإفادة ، فنفع وأدب وخرج وهذب

---

(١) المجاري ، برنامج المجاري ، ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٥،١٢٥.

(٣) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ق٢ ، ص٥١٧؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٢ ، ص٢٢٦؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص ٢٨٩.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة ، م٢ ، ص١٧٦، النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٤٢؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص٢٣٧-٢٣٨.

حتى اصبح اصحابه ذا هيئة متميزه من لباس وجدو اجتهاداً[1]. ومن نصائحه لطلابه قوله " يامعشر الشباب اجدوا قبل ان تبلغوا مبلغي ! فتضعفوا وتقصروا كما قصرت "[2]. ومن الملاحظ في نصائحه للطلبة يسعى الى تحقيق الفائدة لهم ولطلاب العلم الذين سيأتون بعدهم ومن تلك النصائح قوله : " أُوصيكم ، بعد تقوى الله العظيم ....الا تكتبوا خطاً دقيقاً فإنه يضرباً بصاركم ويقل انتفاع الغيربه بعدكم ......ولا يكن همكم بكتب الشيوخ لكم على ما قرأتم، وليكن همكم أن تكونوا من الديانة والدراية بمثابة من يقبل قوله في ما يدعيه ولا يكذب فيه"، إلى غير ذلك من مواعظه العديدة وأستمر اجتهاده في العلم حتى وفاته[3].

وعرف بعض علماء غرناطة بأسلوبهم السهل في التدريس مع محاولة لتقريب المادة العلمية الى فهم الطلاب ومنهم الفقيه ابن الدباغ الاشبيلى المدرسي في مساجد غرناطة فقد عرف ببراعته في توصيل المعلومات الى طلابه بسهولة الالفاظ المستعملة اثناء تدريسه[4].

وقد مُدحت طريقة الفقيه محمد السياري المعروف بالبياني (ت٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) في التدريس. قال عنه ابن فرحون " حسن الطريقة في الخير مأمون الغائله كهفاً للطلبة حسن العهد حسن الخلق كثير التواضع اقرأ الفقه ودرسه عمر ....يقوم على الفقه أحسن قيام عاكفاً على تدريسه مكباً على تبيينه، سهل الالفاظ، حسن التعليم "[5].

وكان الشيخ الصالح محمد بن عبدالولي الرعيني المعروف بالعواد (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) ملتزماً بميقات التدريس وملازماً للمكتب وناصحاً في التعليم، يساوي بين طلبتة من الاثرياء والفقراء . متبعاً طريقة القدماء القاسية التي كان يتبعها أصحاب المهن التدريسية وغيرهم، مهتماً بمظهرة وهندامه وملابسه، بحيث

---

(١) النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص١٤٢؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص٢٣٧.

(٢) النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص١٤٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٤٢، ١٤٥-١٤٧.

(٤) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٦٨-٦٩؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص ٣٠٠.

(٥) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص٢٩٧.

ان ابن الخطيب قال عنه : " ما رأيت احسن ترتيباً منه "[1].

وكان أبو القاسم السبتي الشهير بالشريف الغرناطي متبحراً في الأدب أنكب على التدريس والتاليف في غرناطة في مجالات كثيرة ومن تصانيفه البارعة شرحة لمقصورة حازم القرطاجني حتى ارتبطت مقصورة حازم في تاريخ الأدب العربي بالشرح الذي وضعه عليها الشريف الغرناطي المسمى " رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة"[2]. وشرحه هذا يعد تطبيقاً عملياً لمنظور البديع عند حازم القرطاجني وجعلت الشريف الغرناطي وكأنه ينطق بلسانه ، ويرى احد الباحثين ان ذلك هو الذي جعل القراء ينجذبون الى قراءة هذا الشرح أكثر من مرة، فيجدون في كل قراءة متعة[3].

ووصف العالم ابن الزبير (ت٧٠٨هـ/١٣٠٩م) بانه " نسيج وحده في نشر التعليم والصبر على التسميع والملازمة للتدريس "[4] وكان حسن التعليم ناصحاً[5].

---

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٣٣-٣٤.

(٢) ابن الخطيب ، الأحاطة ، م٢ ، ص١٨٥؛ النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص١٧٦؛ احمد يحيى الونشريشي ، وفيات الونشريشي ، ملحق بكتاب الف سنة من الوفيات ، د. م، د.ت ، ص١٢٣ . وسيشار له تالياً : الونشريشي ، الوفيات ؛ ابن القاضي ، درة الحجال، جـ٢ ، ص ٢٦٨، المقري، نفح الطيب، م٥، ص١٨٩؛ أسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين ، دار الفكر ، د.م ، ١٩٨٢، جـ٦، ص ١٦١ . وسيشار له تالياً : البغدادي ، هدية العارفين ؛ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، جـ١، ص ٣٠٦ ؛ محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.م ، د.ت ، ص٢٣٣ . وسيشار له تالياً : مخلوف، شجرة النور الزكية ؛ محمد بن عبد العزيز الدباغ ، من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني ، ط١ ، مطبعة النجاح الجديده ، الدار البيضاء ، ١٩٩٢، ص ٧٦ . وسيشار له تالياً : الدباغ ، من اعلام الفكر .

(٣) الدباغ ، من اعلام الفكر ، ص٧٦-٧٧.

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م١، ص١٨٩؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص٤٢.

(٥) ابن حجر ، الدرر ، طبعة القاهرة ، جـ١، ص٩١

كما ان براعة علي الغافقي الشاري (ت٦٤٩هـ/ ١٢٥١م) في التدريس جعلته مقصداً لجميع طلبة غرناطة الا النادر وذلك عند دخوله غرناطة حاضرة الاندلس حيث سمعوا دروسه وأجاز لهم[(١)]. وقد احتفظ بأمهات الكتب العلمية ما لم يكن عند أحد من أبناء عصره[(٢)].

وأشتهر احمد الغرناطي المعروف بالجزيري (ت٧١٢هـ/١٣١٢م) بأنه ناصح بالتعليم مثابر عليه[(٣)] . ولا بد أنه كان يدرس الفقه واللغة العربية لأنه وصف بأنه عارف بهما[(٤)].

وساهم العالم الغرناطي ابن بقي (ت٧٩١هـ/١٣٨٩م) في النشاط التدريسي في الفقه وقراءة القرآن والنحو ، وكانت له حلقات تعليم في الجوامع ونظراً لكفائته في التدريس وتمكنه من تفهيم التلاميذ غصت حلقاته بهؤلاء طلباً للتعليم والفائدة[(٥)].

ووصف الحسين بن عبد العزيز الفهري المعروف بابن الناظر (ت٦٩٩هـ/١٣٠٠م) الذي أفاد طلابه من العلوم المتنوعة التي أجادها مثل القراءات والتفسير والحديث والفقه والأدب والتاريخ، بأنه أحسن اللقاء لطلبة العلم، حريصاً على نفعهم، جميل المشاركة لهم[(٦)].

لم يقتصر اهتمام علماء غرناطة بالناحية العلمية فقط وإنما أخذوا على عاتقهم إثارة الحماس من أجل الوقوف أمام الزحف الأسباني المتواصل على الأراضي الإسلامية في المدن الأندلسية وفي العاصمة غرناطه وفي شتى المدن الإسلامية . وجاء هذا بعد أن استولى النصارى علي كثير من المدن الأندلسية

---

(١) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ق٢ ، ص٥٥٦.

(٢) المصدر نفسه ، ق٢، ص ٥٥٧.

(٣) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٢جـ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار الفكر، د.م، ١٩٧٩، ص٣٠٩. وسيشار له تالياً: السيوطي، بغية الوعاة.

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

(٥) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٦) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٤٦٣-٤٦٤.

وتقلص الدوله الاسلامية التي تمثلت في مملكة غرناطة. وقد أشار المقري الى ذلك فقال " لما تقلص الاسلام بالجزيرة واسترد الكفار أكثر أمصارها وقراها على وجه العنوة والصلح والاستسلام ، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حميات ذوي البصائر والابصار ويستنهضون عزماتهم في كل الأمصار"(١).

وكان التعليم في غرناطة يتم تحت مراقبة واشراف المحتسب الذي كان عليه مراقبة المعلمين في المكاتب(٢)، والاشراف على دور تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم القراءة والكتابة، وإرشاد القائمين بأمراها(٣). وكذلك مراقبة المدارس والامكنة التي يتم فيها التعليم لكي لا يسرف المدرسون أو يشتدوا في عقاب التلاميذ(٤)، اضافة الى الكثير من الامور التي يجب مراعاتها في أماكن التعليم من نظافة وما يجب اتباعه من سلوك(٥) ونجد في مملكة غرناطة أن بعض الذين تولوا أمور الحسبة فيها كانوا من كبار علمائها ومنهم العلامة محمد بن محمد التلمساني الأنصاري (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) الذي أجاد في وظيفته إضافة إلى مهام أخرى عديدة تولاها(٦). ومنهم كذلك الفقيه اسحاق بن علي أبو عمر الرندي (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م) الذي كان ايضاً ممن تولوا امور الحسبة في غرناطة(٧).

وفيما يتعلق بتعليم البنات في الأندلس لم تمدنا المصادر بمعلومات وافيه عن التعليم المذكور غير أن هناك إشارة إلى عالمة في غرناطة كانت لها إسهامات عديدة في تدريس القرآن الكريم واستنساخ بعض الكتب العلمية ، وهي سيدة بنت

---

(١) المقري ، ازهار الرياض ، جـ١، ص٦٣.

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، م١ ، ص٤٠٦.

(٣) محمد كمال شبانة، يوسف أول بن الأحمر سلطان غرناطة، طبع ونشر لجنة البيان العربي، مطبعة الرسالة ، عابد ، ١٩٦٩م ، ص٩٤. وسيشار له تالياً : شبانه ، يوسف الأول

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، م١ ، ص٢٠٦؛ ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص٥٠.

(٥) شبانة ، يوسف الأول ، ص٩٤.

(٦) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م٣ ، ص٢٠٠-٢٠٢.

(٧) ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ١ ، ص٢٠٩-٢١٠ .

عبدالغني بن علي بن عثمان العبدرية ، ام العلاء (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) التي كانت لها مكانتها العلمية ونشاطاتها المتنوعة، فقد نشأت ينيمة الأب في مرسية، ثم انتقلت الى غرناطة، وحاز اهتمامها بتعليم القرآن الكريم النصيب الأكبر بين مجهوداتها العلمية حتى انها برعت بذلك الى درجة انها اصبحت معلمة للقرآن الكريم في قصور السلاطين منذ ان وصلت الى غرناطة . وقد عرفت بجودة وبراعة خطها ودفعها ذلك الى استنساخ كتاب احياء علوم الدين للغزالي بخطها ولمرات عديدة. وكرست سيدة العبدرية جهودها العلمية في تعليم البنات القرآن الكريم حيث قامت على حفظه وتعليمه وتلاوته والمحافظة على الادعية وخلفها في ذلك ابنتان لها. هذا بالاضافة الى اهتمامها بأعمال البر والخير وفك الرقاب في الأسر[1].

كما أشار احد الباحثين بانه كان لبعضهن حظ في التعليم وقد تلقين قسطاً في المرحلة الأولى عن طريق آبائهن واقاربهن في الكتاب[2]، وان للبنات حظاً ايضاً من التعلم في المرحلة الثانية والمرحلة الأخيرة[3].

وفيما يخص التعليم الخاص بأبناء السلاطين والامراء فقد أهتم سلاطين الاندلس وكبراء رجالها اهتماماً كبيراً في تدقيق أختيار المؤدبين لأولادهم لأن بعضهم قد ترك تأثيراً سيئاً على طلبته من أبناء الأمراء[4]. حتى وصلوا درجة التمرد على الوالدين كما حدث مع معلم سلطان غرناطة أسماعيل بن يوسف بن نصر (٧٦٠هـ-٧٦١هـ/ ١٣٥٩-١٣٦٠م) حيث يقول عنه ابن الخطيب : "واستدعى له ولأخيه المعلم الذي كان السبب في إفاتة إرماقهما، واعدام حياتهما،

---

(١) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ق٢ ، ص ٤٨٧، احمد محمد الطوخي ، العلاقات الاندلسية الحفصية ، ٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م، بحوث ندوة الاندلس الدرس والتاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٣-١٥ ابريل ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤، ص٨٤ . وسيشار له تالياً : الطوخي، العلاقات الاندلسية .

(٢) عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٤٨٥.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٤٩، ٥١٤.

(٤) المرجع نفسه ، ص٤٨١.

الشيخ السفله محمد البطروجي البائس ...... وحرك سماسرة الفتنة له "[1].

ولم تكن المرحلة الأولى لتعليم الخاصة تختلف في محتواها كثيراً عن مايقدم لأبناء العامة في المكاتب فهو تعليم قائم في الاساس على تحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة ، ولكن يكمن الاختلاف بين المعلمين فيختارون لتأديب ابنائهم الأكثر معرفة والأعمق علماً ، إضافة إلى الاهتمام. بتعليمهم أعمال الفروسية والقيادة وتوجيه الملكات نحو الفروسية والقيادة وتوجيه الملكات نحو فن معين من فنون الحياة ، وبذلك يتجاوز تعليمهم كما ونوعاً المعرفة التي حصل عليها الاولاد في المكاتب وذلك لطول مدة التأديب بشكل عام.

وفي الصبا حظيت الدراسات الدينية باهتمام كبير ضمن مناهج التدريس لابناء السلاطين أضافة الى اهتمامهم في المقام الأول بالدراسات اللغوية والأدبية وكان تأديب أبناء السلاطين يتم في قصور السلاطين حيث جعلت لهم فيها أماكن خاصة للتعليم أو في مكتبة القصر[2]. ومن الجدير بالذكر ان قصر الحمراء في غرناطة قد تعلم فيه معظم أبناء البيت المالك[3]. واحياناً يذهب ابناء الكبراء الى مجالس تعليمهم في المسجد[4].

وكان محمد بن محمد الخولاني المعروف بالشريشي وبتوصية من الوزير لسان الدين بن الخطيب يقوم بتعليم ابناء سلاطين بني الأحمر اضافة الى إمامة المسجد الجامع من قلعة غرناطة[5].

ونال العالم عتيق بن باق الجهني الغرناطي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) حظوة عند سلطان غرناطة الرابع أبي الجيوش نصر (٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٩-١٣٤١م) فتولى تدريس اولاد حاشية السلطان ومن بدار السلطان من أولاد المماليك[6].

---

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م١ ، ص٣٩٨.

(٢) عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٥١٢-٥١٣.

(٣) فرحات ، غرناطة ، ص١٥٩.

(٤) عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٥١٤.

(٥) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص١٦٧-١٦٨.

(٦) ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٢، ص٧٦.

بل نجد ان بعض سلاطين غرناطة أنفسهم من محبي العلم كانوا يتلقون الدورس على أيدي بعض العلماء المشهورين ، مثلما تلقى السلطان المعروف بالفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/ ١٢٧٣-١٣٠٢م) العلم على يد العلامة أبي بكر الرقوطي الذي استدعاه للعمل في مدرسة غرناطة(١).

وكان سلاطين بني الاحمر يتابعون ماتعلمه ابناؤهم على العلماء الذين يحضرونهم لتعليمهم ، فقد كان السلطان ابو الحجاج يوسف الأول (ت٧٣٣-٧٥٥هـ/ ١٣٣٣-١٣٥٤م) يقوم بتعليم ابنائه الثلاثة بنفسه ويختبر ماتعلموه على كبار الاساتذه الذين احضرهم لتربيتهم(٢).

أما موضوع منح الإجازات للطلاب في الأندلس فكان في البداية محط اهتمام واعتناء المعلمين والطلاب لأن الإجازة تُعد أمراً ضرورياً في رواية العلم ، وبها تتم وتكمل ، ولولاها لاصبحت ناقصة أو مشوهة كما أنها تعد ضماناً لما تعلم الطالب وقدرته على رواية هذا العلم(٣). ويتم الحصول على الإجازة بعد انتهاء المرحلة الثانية من التعلم من قبل الشيخ المعلم وأحياناً تكون في مادة أو في كتاب معين أو عدة كتب(٤).

والإجازة أنواع فأما ان تكون إجازة شفوية أو إجازة تحريرية يوضح بموجبها الشيخ ما يجيزه للطالب أو أن يجيزه بإطلاق . وهناك نوع من الإجازات تكون جماعية أي أن تعطى لمجموعة من الدارسين عند سماعهم كتاب معين(٥).

وكان الطلاب يفضلون مدرسة معروفة وشيوخاً ذوي إلمام وذلك لما يتركه الشيخ من تأثير على تلامذته(٦) . فأورد البعض ان سبب رحلة العالم ابي حيان

---

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣، ص ٦٧-٦٨.

(٢) ايرفينج ، قصر الحمراء ، ص٩٦.

(٣) ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص١٤٧؛ عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٤٩٩.

(٤) عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٤٩٨.

(٥) المرجع نفسه ، ص٤٩٩.

(٦) ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص١٥٣.

عن غرناطة انه نشأ خلاف بينه وبين شيخه أحمد بن علي بن الطباع ، فألف ابو حيان الغرناطي كتاباً سماه " الإلماع في فساد إجازة ابن الطباع " ، فرفع ابن الطباع أمره لسلطان غرناطة محمد الثاني الفقيه . وكان ابو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه ، فنشأ شر عن ذلك ، واختفى أبو حيان وترك غرناطة(١).

ونتيجة للظروف غير الطبيعية التي ألمت بالأندلس أصبحت الاجازة مجرد شهادة باللقاء أو السماع بل انها اصبحت في بعض الاحيان شيئاً فخرياً قد يمنح للصبيان أو لغيرهم و إن ظل معناها ثابتاً بالنسبة لطلاب العلم الحقيقيين(٢).

وفيما يخص اجور المعلمين في الاندلس كان التعليم على الأغلب يكون على نفقة المتعلم، واحياناً يتلقى المعلم اجراً من السلاطين وهو ماعرف بنظام الجراية فقد خصص للشيخ محمد بن بيبش العبدري (ت ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) جراية من احباس غرناطة(٣). وكذلك خصص لمحمد بن احمد بن شقرال اللخمي المعروف بالطرسوني جراية بحمراء غرناطة(٤).

ويبدوا ان بعض معلمي غرناطة كانوا يعتمدون على موارد اخرى في معيشتهم فقد عرف عن المعلم محمد بن بيبش العبدري الغرناطي بانه كان قد اشتغل في بداية عمره بتجارة الكتب فأفاد منها مادياً وعلمياً(٥) .

ومن الملاحظ عن بعض معلمي غرناطة انهم كانوا يدرسون الطلاب ويمنحونهم الإجازات دون أخذ أجر . ومنهم المعلم بالمدرسة النصرية بغرناطة محمد بن على الخولاني المعروف بابن الفخار الذي قل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة حيث عرف بتزاحم الطلبة للتتلمذ على يده وذلك لشهرته فخرج

---

(١) المقري ، نفح الطيب ، م٢ ، ص٥٨٣.

(٢) عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٤٩٩.

(٣) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٢٧-٢٨؛ عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص٤٨٤، ٥٠١؛ ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص٤٨.

(٤) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٢٥.

(٥) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٢٧-٢٨؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٢ ، ص٣٩؛ ابن حجر ، الدرر ، طبعة القاهرة ، جـ٤ ص٣٣٨؛ المقري ، نفح الطيب ، م٦، ص٢٤٤.

وأدب وأقرأ، وأجاز ، وكان لا يأخذ على ذلك أجراً[1].

ومن الجدير بالذكر ان بعض الأراضي في غرناطة كانت توقف لتمويل مؤسساتها العلمية ومعلميها فقد أوقف للمدرسة النصرية أراضي مثمرة تكفي غلتها لكي تدفع منها مرتبات المعليمن ، وزود المبنى بكل وسائل الراحة التي يحتاج اليها[2].

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ، ص٣٥-٣٧.

(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م١ ، ص٥٠٩ ؛ ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص٢٨.

الفصل الرابع
العلوم الدينية

١- علوم القرآن.

أ- القراءات.

ب- التفسير.

٢- الحديث.

٣- الفقه.

٤- التصوف.

العلوم الدينية

اهتم علماء غرناطة بالعلوم الدينية التي تتمثل بعلوم القرآن وعلم الحديث والفقه والتصوف وكانوا اما غرناطيين أصلاً أو أندلسيين وفدوا الى غرناطة وأقاموا فيها وشاركوا في الحياة العلمية والثقافية بالتدريس أو التأليف. وبعضهم كان من بلدان العالم الاسلامي من المغرب أو المشرق دخلوا الأندلس وساهموا في الحركة العلمية والثقافية فيها. ونجد أن هناك طائفة أخرى من العلماء الغرناطيين الذين انتقلوا إلى بلدان العالم الاسلامي فأغنوا الفكر العلمي والثقافي في غرناطة نفسها وفي البلدان التي هاجروا اليها.

١- علوم القرآن :-

أ- القراءات :-

روى الصحابة رضي الله عنهم القرآن عن الرسول (ص) على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكيفية الحروف في ادائها ونسبت هذه الطرق إلى من اشتهر برواياتها، وأصبحت تلك الطرق أو القراءات السبع أصولاً للقراءة بين المسلمين(١).

والقراء السبعة المشهورون بين المسلمين هم عبدالله بن عامر (١١٨هـ/٧٣٦م)، وعبدالله بن كثير (١٢٠هـ/٧٣٨م)، وعاصم بن أبي النجود (١٢٧هـ/٧٤٥م)، وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ/٧٧١م)، وحمزة بن حبيب (١٥٦هـ/٧٧٣م)، وعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ/٨٠٥م)، ونافع المدني (١٩٩هـ/٨١٥م) (٢).

تشير تراجم علماء عصر بني الأحمر في غرناطة إلى التوسع في قراءة

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، م٢، ص٣٨٨.

(٢) سعد بن عبدالله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط١، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ١٩٩٣، ص٢٦٥. وسيشار له تالياً : البشري، الحياة العلمية؛ شعبان محمد اسماعيل، القراءات أحكامها ومصدرها، دار الاصفهاني للطباعة، جدة، ١٤٠٢هـ، ص٦٧، ٦٩، ٧٢-٧٩.

القرآن بمختلف القراءات والروايات والتبحر في دراسة المتون والكتب المؤلفة في الرسم والتجويد ومخارج الحروف وغيرها من العلوم المتعلقة بالذكر الحكيم، وهي في الواقع سمة يشترك فيها علماء الأندلس في هذا القرن مع أضرابهم في المغرب والمشرق، ومن هذه السمات حفاظ علماء مملكة غرناطة على الرواية المعنعنة والسند المتصل(١).

وقد ساهمت نتاجات كثير من العلماء في اثراء الدراسات القرآنية.

ومن اولئك العلماء الحسن بن أبي الاحوص القرشي الفهري المعروف بابن الناظر (ت ٦٩٩هـ/١٣٠٠م) الذي أدى دوراً كبيراً في الحياة العلمية والثقافية في غرناطة فقد نشأ ودرس في غرناطة على يد الكثير من علمائها، وكان شديد العناية بالعلم مواظباً على الاستفادة والافادة. فاتقن علوماً كثيرة كان أبرزها قراءة القرآن والتفسير والحديث، إضافة إلى مساهمته في الأدب والفقه والتواريخ وفي مجال علم القراءات تولى تدريس القرآن بغرناطة بعد أن درس القراءات السبع على يد المقرئ الكواب، وألف كتاباً بعنوان "الترشيد في صناعة التجويد"(٢).

وعرف محمد بن أحمد بن الكماد المتوفى قبل عام (٧١٢هـ/١٣١٢م) بغرناطة ببراعته في القراءات حتى أن ابن الخطيب وصفه بأنه امام مشهور في القراءات معتمد من قبل طلابه الذين ارتحلوا للدراسة عليه لاتقانه وضبطه القراءات(٣). ووصفه الونشريسي بشيخ المقرئين(٤). قام ابن الكماد باختصار كتاب

---

(١) بنشريفة، المنتوري، ص٣٤.

(٢) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٦؛ ابن الخطيب، الاحاطة، م١، ص٤٦٣-٤٦٥؛ النباهي، تاريخ قضاة الاندلس، ص١٢٧؛ عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ٢جـ، اعتناء احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٢، جـ١، ص١٤٣-١٤٤. وسيشار له تالياً : الكتاني، فهرس الفهارس.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٦٠؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٩٨.

(٤) الونشريسي، الوفيات، ص١٠١.

"المقنع"* في القراءات اختصاراً بديعاً وسماه كتاب "الممتع في تهذيب المقنع"(١).

وانجبت اسرة ابن جزي الكلبي الغرناطي العديد من العلماء والأدباء، فهذا الفقيه الحافظ شيخ ابن الخطيب ابو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي الذي استشهد في وقعة طريف سنة (٧٤١هـ/١٣٤١م) كان قد نبغ في كثير من العلوم الدينية مثل القراءات والتفسير والفقه والحديث. وكان قد درس هذه العلوم على كبار علماء غرناطة، ثم تولى التدريس في غرناطة وأصبح خطيب المسجد الأعظم فيها. وألف كتباً في القراءات منها "المختصر البارع في قراءة نافع" و "أصول القراء الستة غير نافع"(٢). وأبو القاسم بن جزي هذا هو والد محمد بن جزي كاتب رحلة ابن بطوطة ووالد أبي بكر أحمد الأديب الشاعر الفقيه واللذين سيأتي الكلام عنهما لاحقاً.

ومن كبار علماء القراءات الغرناطيين الاستاذ المقرئ الخطيب المنتوري الذي وصف بامام الاقراء ومعلم الاداء الاصولي واخذ القراءات على أكابر العلماء مثل إمام الأئمة في الاقراء أبي عبدالله القيجاطي حيث قرأ عليه بالسبع واتقن على يده التجويد وحصل على اجازه منه(٣). كما قرأ القرآن أيضاً بالقراءات السبع على يد الاستاذ شيخ الجماعة ابن لب(٤). وللمنتوري العديد من المؤلفات في علم القراءات منها كتاب "اختيار الشيخ ابي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني من القراءات السبع"، وكتاب "الجمع بين طريقتي الحافظ أبي عمرو والداني والامام أبي عبدالله بن شريح في قراءة يعقوب من روايتي روح ورويس عنه" وكتاب "قراءة حميد بن قيس الاعرج" وكتاب "سليمان بن مهران الأعمش"

---

* "المقنع في القراءات" لابي عمرو عثمان بن سعد الداني (٤٤٤هـ/١٠٥٣م). انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، جـ٢، ص١٨٠٩.

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٦١؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٩٩.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢١-٢٢؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٩٥؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٤٤٧؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥١٥.

(٣) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٩١.

(٤) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٩١؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٤٧-٢٤٨.

وكتاب "قراءة سلام بن سليمان الطويل" وكتاب "اختصار الغزيري وترتيبه على السور" وكتاب "ري الظمآن في عدد آي القرآن"[1] ويعرفنا في المقدمة بموضوعه قائلاً : "هذا كتاب أذكر فيه انشاء الله أعداد آي القرآن التي عدها الناس في جميع الافاق قديماً وحديثاً وهي عدد أهل المدينة الأول وعدد أهل المدينة الأخير. وعدد أهل مكة وعدد أهل الشام وعدد أهل البصرة وعدد أهل الكوفة، وأبين الاتفاق والاختلاف في الاعداد المذكورة"[2]. ثم يتطرق بعد ذلك إلى منهجه فيقول :- فإن قلت أن فلان عد الآيات كذلك مدنية، فمعناه أن الآخرين عدوها مدنية. وإذا قلت أن فلان لم يعدها مدنية فإن غيره عدها مدنية. وجعل ذلك حسب سور القرآن العظيم ليسهل فهمها وحفظها لمن أراد ذلك إذ أن مصاحف أهل الاندلس وفق ما رواه اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، ووفقه يكتبون فواتح السور ويخمسون ويعشرون[3].

وجذبت غرناطة بعضاً من علماء المدن ممن برعوا في علم القراءات ومنهم أبو جعفر بن الزيات المالقي (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م) الذي وصف بأنه بلغ الرياسة في تجويد القرآن الكريم. ومن علماء غرناطة الذين تتلمذ عليهم ابن الزبير وأبو جعفر بن الطباع وله تآليف في القراءات منها كتاب "لذات السمع في القراءات السبع"[4]. ويذكر ابن الخطيب أنه دخل إلى غرناطة مرات عديدة يصعب حَصرُها لاسباب مختلفة منها طلب العلم، واستدعاء من سفارة وغيرها. وكان الناس في غرناطة يترددون على منزله لأخذ العلم منه[5].

وساهم المقرئ الأديب أحمد بن عامر السلمي الأندلسي (ت٧٤٧هـ/١٣٤٦م) – بعد دراسته على يد مقرئي مالقة وغرناطة – في

---

(١) بنشريفة، المنتوري، ص٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٨.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٧٨-٢٨٩، ابن القاضي، درة الحجال، جـ١، ص٦٠-٦١، الونشريسي، الوفيات، ص١٠٥.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٩٥.

الدراسات القرآنية فنظم أرجوزة سماها "زهد الغرر في عدد آيات السور"[1].

وبرز في غرناطة في هذه الفترة أشهر علماء النحو والتفسير والقراءات ألا وهو أبو حيان النحوي الغرناطي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، الذي تتلمذ على شيوخ غرناطة كابن الزبير، والمقرئ أبي جعفر بن الطباع الرعيني. واضطر أبو حيان إلى ترك غرناطة متوجهاً إلى مصر فاستقر بها إلى أن مات[2] وذلك بسبب خلافه مع شيخه ابن الطباع ورفع الأمر للسلطان محمد الثاني الفقيه كما ذكرنا سابقاً. وسيأتي الكلام عنه في الموضوع الخاص بالنحو.

درس في البداية على علماء بلده غرناطة ثم علماء بجاية وتونس والاسكندرية والقاهرة والحجاز. ففي بلدة غرناطة قرأ بالقراءات السبع على الخطيب عبدالحق بن علي الأنصاري، وختم على يده القرآن الكريم عشرين ختمة إفراداً وجَمعاً، وعلى أحمد الغرناطي المعروف بالطباع[3]، وابن الزبير وقرأ إلى

---

(١) الجزري، غاية النهاية، جـ١، ص٣٧.

(٢) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، طبقات القراء، "مخطوط"، نسخه على ميكروفلم في مكتبة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، شريط رقم ١٤٠٨، مصورة عن مخطوط في المكتبة الملكية، الرباط، المغرب، رقم ١١٥، ورقة رقم ١٣٠. وسيشار له تالياً : الذهبي، طبقات القراء؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤٣، ٤٦-٤٧.

(٣) تاج الدين أبي نصربن عبدالكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٠جـ، تحقيق محمد الحلو، محمود محمد الطناجي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت، جـ٩، ص٢٧٧-٢٧٨. وسيشار له تاليا : السبكي، طبقات الشافعية؛ خالد بن عيسى البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المفرق، ٢جـ، تحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالة، المغرب، د. ت، جـ١، ص٢٢٨. وسيشار له تالياً : البلوي، تاج المفرق؛ الجزري، غاية النهاية، جـ٢، ص٢٨٥؛ تقي الدين المقريزي، كتاب المقفى الكبير، ٨جـ، تحقيق محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩١، جـ٧، ص٥٠٤. وسيشار له تالياً : المقريزي، كتاب المقفى الكبير؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٥٤٠؛ محمد بن جابر الوادي آشي، برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٢، ص٧٤، مقدمة المحقق. وسيشار له تالياً : الوادي آشي، برنامج.

آخر سورة مريم على أحمد القزاز، وإلى آخر سورة الحجر على ابن أبي الأحوص، وبرواية ورش وقالون إلى أول سورة الجن على اليسر بن خلف[1]. وذكر له المؤرخون مؤلفات كثيرة[2] واحصاها بعض الدارسين فوجدوها (٦٦) ستة وستين مؤلفاً في مجالات شتى وخاصة في النحو واللغة والعلوم القرآنية[3]. وقد ذكر له في القراءات الكتب التالية : "المورد الغمر في قراءة أبي عمرو"، و "المزن الهامر في قراءة ابن عامر"، و "الأثير في قراءة ابن كثير"، و "النافع في قراءة نافع"، و "الرمزة في قراءة حمزة"، و "النير الجلي في قراءة زيد بن علي"، و "الروض الباسم في قراءة عاصم"، و "عذاية المطلوب في قراءة يعقوب"، و "تقريب النائي في قراءة الكسائي"، و "عقد اللآلئ في القراءات السبع العوالي"، و

---

(١) البلوي، تاج الفرق، جـ١، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) عبد الباقي عبد المجيد اليماني، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق عبد المجيد دياب، ط١، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨٦، ص٢٩٠-٢٩١. وسيشار له تالياً : اليماني، إشارة التعيين؛ أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف أبو حيان الغرناطي، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، وبهامشه النهر الماد من البحر وكتاب الدرر اللقيط من البحر المحيط، ٨جـ، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٠، جـ١، ص٦-٧. وسيشار له تالياً : أبو حيان، التفسير؛ محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، ٥جـ، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤، جـ٤، ص٧٨. وسيشار له تالياً : الكتبي، فوات الوفيات؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤٥، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، ط١، مطبعة الفيصل، الكويت، ١٩٨٧، ص١٨٥. وسيشار له تالياً : الفيروز ابادي، البلغة؛ المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٧، ص٥٠٦؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٢، جـ١، ص١٤١؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٥٥٢؛ محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٢جـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، جـ٢، ص٢٨٩. وسيشار له تالياً : الشوكاني، البدر الطالع.

(٣) أبو حيان الأندلسي، ديوان أبي حيان الأندلسي، تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٩، ص٣٠-٣٣، مقدمة المحقق. وسيشار له تالياً : أبو حيان، ديوان.

"الحلل الحالية في أسانيد القراءات العالية"[1].

وحفلت غرناطة بعدد من العلماء الذين برعوا في القراءات القرآنية ومنهم من درس القرآن ثم تولى التدريس فيما بعد مثل أحمد بن ابراهيم الثقفي الغرناطي المعروف بابن الزبير، الذي برزت مهارته وإجادته لعلوم شتى منها العلوم القرآنية والحديث النبوي الشريف والفقه واللغة العربية والتاريخ. ففيما يخص العلوم القرآنية بلغ مرتبة عالية فوصفه الذهبي بأنه "شيخ القراء"[2]. وقال عنه ابن عبد الملك المراكشي وهو المعاصر له بأنه إمام المقرئين في وقته "وهو الآن متصدر لإقراء كتاب الله"، وهو من أهل التجويد متقناً عارفاً بالقراءات[3]. وقال عنه ابن الخطيب بأنه من كبار العلماء والمقرئين "وإليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية وتجويد القرآن"[4]، وكان مقرئاً مجيداً في قراءته[5].

تتلمذ ابن الزبير على كثير من المقرئين أشهرهم : أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن مستقور الغرناطي الطائي[6]، وأبو الحسن الشاري إذ قرأ عليه القراءات السبع[7]. وشيوخه وصلوا حد الأربعمائة شيخ[8]. وعندما توفي بغرناطة ٧٠٨هـ/١٣٠٩م احتفل بتشييع جنازته أقصى درجة الاحتفال، وحضر الناس من

---

(١) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق أحمد زكي بك، مطبعة الجمالية، مصر، ١٩١١، ص٢٨٣. وسيشار له تالياً : الصفدي، نكت الهميان؛ الكتبي، فوات الوفيات، جـ٤، ص٧٨؛ الفيروز ابادي، البلغة، ص١٨٥؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٥٥٢.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص١٤٨٤.

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٤.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٨٩.

(٥) السيوطي، بغية الوعاة، م١، ص٢٩٢.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٨٩.

(٧) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٨٩.

(٨) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤٢؛ ابن الجزري، غاية النهاية، جـ١، ص٣٢؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص١٤٨٤؛ الشوكاني، البدر الطالع، جـ١، ص٣٤.

شتى الأماكن. وتقديراً لعلمه حمل طلبته نعشه على رؤوسهم ورثاه طائفة منهم[1]. ذكر الذهبي بأن ابن الزبير أفاد الناس في القراءات وعللها ومعرفة طرقها[2]. فمن ثمرة النشاط العلمي لابن الزبير في حقل الدراسات القرآنية تخرج مجموعة كبيرة من القراء الذين تتلمذوا عليه منهم أحمد بن العواد الغرناطي (ت ٧٠٥هـ/١٣٠٦م)[3]، و أحمد بن عتيق بن باق الجهني (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) [4]، و أبو حيان النحوي الغرناطي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م) [5]، و محمد بن علي بن شبرين (ت٧٤٧هـ/١٣٤٦م) [6]، ومنهم أيضاً ابن المرابط الغرناطي (ت٧٥٢هـ/١٣٥١م)[7].

وظهر في غرناطة بعض القراء ولكن لم تشر المصادر الى مؤلفات لهم في القراءات منهم المقرئ محمد بن سعيد الغرناطي المعروف بالطراز (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م) [8]، واسحاق الطوسي الغرناطي (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م) [9]، و

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص١٤٨٤.

(٣) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٢٠٨.

(٤) المصدر نفسه، طبعة القاهرة، جـ١، ص٢١٠.

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية، جـ١، ص٣٢؛ الشوكاني، البدر الطالع، جـ١، ص٣٤.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٤٠.

(٧) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص١٦٣، تقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع السلامي، الوفيات، ٢م، حققه وعلق عليه صالح مهدي عباس، أشرف عليه وراجعه بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، م٢، ص١٤٢. وسيشار له تالياً : السلامي، الوفيات.

(٨) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٥جـ، تحقيق بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، جـ٣، ص٢٥٩-٢٦٠. وسيشار له تالياً : الذهبي، سير أعلام النبلاء؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤١-٤٣؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص٣٠٠-٣٠١.

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل الأزدي الغرناطي العطار (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م) [١]، و أحمد بن محمد المعروف بالكحيلي (ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م) [٢]، و ابن الطباع الرعيني الغرناطي (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م) [٣]، و عبدالله بن إبراهيم بن الزبير الملقب بالعريان (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) وهو أخو أبو جعفر أحمد ابن الزبير السالف الذكر[٤]، و أحمد بن عثمان التجيبي الغرناطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) [٥]، و عبد المؤمن بن عبد الصمد الغساني (ت٦٨٨هـ/١٢٨٩م) [٦]، ومنهم أيضاً العالم الفقيه أحمد بن فركون القرشي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م) [٧]، و غالب بن سيد بونة الخزاعي الغرناطي (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م) [٨]، ومنهم محمد النمري الضرير (ت٧٣٦هـ/١٣٣٦م) [٩]، ومنهم محمد بن محمد الصريحي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)[١٠]، و محمد بن عبد الولي المعروف بالعواد (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) [١١]، و أحمد بن إبراهيم المعروف بالسكان

---

(١) ابن الجزري، غاية النهاية، جـ١، ص١٧٠.

(٢) ابن القاضي، درة الحجال، جـ١، ص١٣٥-١٣٦.

(٣) الذهبي، طبقات القراء، ورقة رقم (١٢٨، ١٣٠)؛ المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٧، ابن الجزري، غاية النهاية، جـ١، ص٨٧.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤١٩.

(٥) السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ص٣٣٥.

(٦) أبو جعفر أحمد بن الزبير، صلة الصلة وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الاندلس، مكتبة الخياط، بيروت، د.ت، ص٤٠-٤١.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٥٣-١٥٧؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٣٨-١٣٩، ابن القاضي، درة الحجال، جـ١، ص٤١-٤٢؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٦٤-٦٥.

(٨) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٣٩؛ ابن الجزري، غاية النهاية، جـ٢، ص٢.

(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣١-٣٣.

(١٠) المصدر نفسه، م٣، ص٧٨-٧٩.

(١١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٣-٣٤؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص١٥٤.

(ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) [١]، و أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم اللخمي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) [٢]، و محمد بن علي بن أحمد الخولاني المعروف بابن الفخار البيري (ت٧٥٣هـ/١٣٥٢م) [٣]، و أحمد بن علي الحميري المعروف بالشقوري (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م) [٤]، و أبو البركات البلفيقي (ت٧٧٣هـ/١٣٧٢) [٥]، ومنهم أيضاً محمد بن علي البلنسي الغرناطي (ت٨٠٢هـ/١٤٠٠م) [٦]، و محمد بن علي الغرناطي الشهير بالحفار (ت٨١١هـ/١٤٠٨م) [٧].

ودخل غرناطة العديد من علماء الأندلس الذين كان لهم نشاط واهتمام بالعلوم القرآنية درساً وتدريساً ولكن لم تمدنا المصادر بمؤلفات لهم منهم محمد بن حسن الطائي الأندلسي المعروف بابن مسمعور (ت٦٧٠هـ/١٢٧٢م) [٨]، و إبراهيم بن أبي العاص التنوخي (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م)، الذي يعود أصله إلى جزيرة طريف بالأندلس ونشأ بغرناطة واشتهر [٩]، ومنهم علي بن عبدالله الكناني القيجاطي (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م) من أهل بسطة [١٠]. كما أنجبت أسرة القيجاطي عالماً آخر برع في العلوم القرآنية هو محمد الكناني القيجاطي (ت٨١١هـ/١٤٠٨م) وهو حفيد علي القيجاطي، وقد لازم الحفيد جده وتتلمذ عليه في علوم متعددة وخاصة علم

---

(١) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٨٦.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٧٢.

(٣) ابن الجزري، غاية النهاية، جـ٢، ص٢٠٠.

(٤) المصدر نفسه، جـ١، ص٨٢.

(٥) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٢٨.

(٦) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٠٧-٢٠٨؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٧٠.

(٧) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٨٢.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٣١.

(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٣٧٤-٣٧٦؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٧-٣٨؛ عبد الوهاب بنمنصور، اعلام المغرب العربي، ٥جـ، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٠، جـ١، ص١١٠-١١١. وسيشار له تالياً : بنمنصور، اعلام المغرب.

(١٠) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٠٤-١٠٥؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥٠٧.

القراءات فبرع في هذا المجال[1]، ومنهم محمد المذحجي الأندلسي (ت٧٣٤هـ/١٣٣٤م) [2]، والقاضي محمد بن سعد الأشعري المالقي (ت٧٤١هـ/١٣٤١م) [3]، ومنهم محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي (ت٧٧٣هـ/١٣٧٢م) [4] المعاصر لابن الجزري. وابن الجزري هذا هو صاحب كتاب غاية النهاية والذي عزم على الرحيل إلى غرناطة للدراسة عليه نظراً لمكانته العلمية في علم القراءات لكن والده منعه من ذلك وقال الجزري بأنه "أعلى القراء إسناداً في زمننا"[5].

ولم تكن مملكة غرناطة محط جذب لعلماء الأندلس فقط بل كانت مقصداً لعلماء المغرب الذين تتلمذ بعضهم على يد علماء غرناطة ثم أصبحوا من علماء القراءات ولكن لم تشر المصادر لمؤلفات لهم منهم العالم علي الغافقي الشاري المتوفى عام (٦٤٩هـ/١٢٥١م) وهو من أبناء سبته دخل غرناطة سنة ٦٤١هـ/١٢٤٤م وساهم في تدريس القراءات لأغلب طلبة غرناطة فأخذوا عنه مدة بقائه فيها[6]. كما كان من ألمع من أسند عنه الكتاب العزيز تلاوة بجميع القراءات السبعة في الأندلس[7]. ومنهم أيضاً العالم محمد بن محمد التلمساني الأنصاري

---

(١) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٨٢.

(٢) ابن سعيد علي بن موسى، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، اختصره أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن خليل ، تحقيق ابراهيم الأبياري، مراجعة طه حسين، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص٢٢. وسيشار له تالياً : ابن سعيد، اختصار القدح المعلى.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٧٩؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٤١؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٣٨.

(٤) ابن الجزري، غاية النهاية، جـ٢، ص٢٨٤-٢٨٥؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٥، ص٦٦-٦٧.

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية، جـ٢، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٦) المراكشي، الذيل والتكملة، ق٢، ص٥٥٥-٥٥٦.

(٧) المصدر نفسه، ق٢، ص٥٥٧.

(ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)[1].

ب- التفسير :-

والفرع الثاني من فروع الدراسات القرآنية هو علم التفسير الذي يدور حول تفسير معاني مفردات القرآن الكريم وتراكيبه وأسباب نزول قسم من السور والآيات وتميز الناسخ من المنسوخ[2].

والملاحظ أن غالبية العلماء الماهرين في القراءات كانت لهم مشاركات في علم تفسير القرآن.

ألف ابن الزبير (ت٧٠٨هـ/١٣٠٩م) كتباً كثيرة في مختلف العلوم، وأورد له ابن الخطيب كتابين في التفسير هما : "ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل"[3]، ذكره ابن الخطيب هكذا مختصراً. ويبدو أن عنوان الكتاب كاملاً كما ذكره ابن الزبير نفسه وكما جاء في عنوان المطبوع هو "ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل"[4] حصر فيه المؤلف موضوع تفسيره للقرآن فيما تكرر واشتبه من آيات الكتاب العزيز أو اختلف بتقديم أو تأخير أو بعض زيادة في التعبير[5]. والتزم بمنهجيته هذه، فنجده يورد من جهة الأيات المتشابه لفظاً في السور الواحدة أو في السور المختلفة ويبرز ما خفي وراء هذا التكرار من معاني وحكم إلهية سامية. وهدف من هذا خدمة الكتاب العزيز، ورد الملاحدة الذين يختلقون من هذا أسباباً للكيد للدين جهلاً منهم بما خفي

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٠٠-٢٠٢.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، م٢، ص٣٩١؛ أمين الخولي، "تفسير"، دائرة المعارف الاسلامية، م٥، ص٣٤٩.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٩٠.

(٤) أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ٢جـ، تحقيق سعيد الفلاح، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٣، جـ١، ص١٤٨. وسيشار له تالياً : ابن الزبير، ملاك التأويل.

(٥) المصدر نفسه، جـ١، ص١١٢.

وراء هذا التكرار والتشابه من مقاصد سامية(١).

والكتاب الثاني في دراسات ابن الزبير القرآنية هو "البرهان في ترتيب سور القرآن"(٢) الذي ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها(٣).

وبرع أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي (ت٦٩٢هـ/١٣٩٣م) في تفسير القرآن حيث ذكر أن له مؤلفات في ذلك لكن لم تذكر المصادر عناوين تلك المؤلفات، وكان يحفظ عن ظهر قلب كتاب "الكشف والبيان في تفسير القرآن" لأبي اسحق الثعالبي المتوفى عام (٤٢٥هـ/١٠٣٤م)، إضافة إلى توليه تدريس تفسير القرآن. وكان له نشاطات علمية واسعة في كل من بجاية وتونس(٤).

ومن علماء غرناطة الذين كان لهم اهتمامات في تفسير القرآن ابن حسنون الحميري الغرناطي (ت٧٠٥هـ/١٣٠٦م) الذي حفظ كتاب (التحبير) في شرح أسماء الله الحسنى لأبي القاسم القشيري. وكان ابن حسنون يسكن بالقصبة القديمة في غرناطة ويؤم الناس في المسجد المسمى بإسمه(٥).

وساهم أبو عبدالله الشامي (ت٧١٥هـ/١٣١٥م) بمجال تفسير القرآن، فألف في ذلك "الاستدراك على التعريف والاعلام فيما أبهم من القرآن من الأسماء والأعلام" و "تفسير القرآن"(٦).

وشارك الفقيه الحافظ أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي في علم التفسير

---

(١) المصدر نفسه، جـ١، ص١١٢.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٨٩؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤٢.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، م١، ص٢٤١؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢١٣.

(٤) أبو العباس أحمد بن عبدالله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط١، المكتبة الجزائرية، بيروت، ١٩٦٩، ص٣٤٧؛ بدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتيوي، ط١، نشر دار الغرب الاسلامي، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٨٣، ص٧٠، مخلوف، شجرة النور الزكية، ص١٩٩.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٣١؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٥١.

(٦) البغدادي، هدية العارفين، جـ٦، ص١٤٣.

عن طريق تأليفه كتابين في تفسير القرآن الكريم الأول "الجواهر الحسان"(١) والثاني "التسهيل لعلوم التنزيل" الذي قال في مقدمته "وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن الكريم"(٢). قسمه إلى مقدمتين، تضمنت الأولى اثنا عشر باباً هي : في نزول القرآن، وفي السورة المكية والمدنية، وفي المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، وفي فنون العلم التي تتعلق بالقرآن، وفي أسباب الخلاف بين المفسرين، وفي ذكر المفسرين، وفي الناسخ والمنسوخ، وفي جوامع القراءة، وفي الوقف، وفي الفصاحة والبلاغة، وفي اعجاز القرآن، وفي فضل القرآن. والمقدمة الثانية في تفسير معاني اللغات، والكلام على الاستعاذة والكلام على البسملة(٣).

ولأبي حيان الغرناطي سابق الذكر مؤلفات في تفسير القرآن أهمها "التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط" الذي قال في مقدمته أنه الفه في أواخر سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م وعمره يومئذ سبع وخمسون سنة(٤). ويذكر منهجيته في تفسيره هذا فيقول : أنه يبتدئ بالكلام على مفردات الآية، فيفسرها لفظة لفظة لغوياً مع أحكامها النحوية. وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرها. ثم يشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذ كان لها سبب، ونسخها، ذاكراً فيها القراءات شاذها ومستعملها(٥). كما ذكر ابو حيان في كتابه هذا بعض مشاهير المفسرين مثل الزمخشري المتوفى عام ٥٣٨هـ/١١٤٤م وابن عطية الغرناطي (ت٥٤١هـ/١١٤٧م) وتفسيريهما اللذان يعدان أجل من صنف في علم التفسير(٦). ولخص أبو حيان نفسه تفسيره البحر المحيط باختصار سماه "النهر الماد من البحر

---

(١) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص١١٧.

(٢) أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، الدار العربية للكتاب، د.م، د.ت، ص٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٤-٣٠.

(٤) أبو حيان، التفسير، جـ١، ص٣.

(٥) المصدر نفسه، جـ١، ص٤.

(٦) المصدر نفسه، جـ١، ص٩-١٠.

المحيط"[1]، وقال في مقدمة النهر الماد :- أنه لما ألف كتابه البحر المحيط في علم التفسير ورآه طويلاً تصعب قرائته سماه بالنهر الماد من البحر[2].

ويمكن أن يوضع كتاب "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" في موضوعي تفسير القرآن، واللغة. ووضعه في موضوع تفسير القرآن لأنه كتاب يشرح فيه المؤلف ألفاظ القرآن الكريم، ولا سيما الغريب منها التي يصعب فهمه[3].

وممن ساهم في الدراسات الخاصة بتفسير القرآن الكريم ابن العابد الانصاري المتوفي عام (٧٦٢هـ/١٣٦١م) باختصاره لكتاب الكشاف في التفسير للزمخشري[4].

ومما تجدر الاشارة إليه أن محمد بن علي البرجي الغرناطي (ت٧٨٠هـ/١٣٧٨م) الذي نشأ في غرناطة ودرس فيها والذي أثنى عليه كثير من المؤلفين، كان يجيد تفسير القرآن الكريم ومن المحتمل أنه ساهم في نشاط تفسير القرآن في غرناطة إضافة إلى كون نجمه سطع وبرز نشاطه في فاس في عهد أبي عنان المريني بعد أن انتقل إليها[5].

وتناول ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي

---

(١) طبع كتاب "النهر الماد من البحر المحيط" مرتين : الأولى بهامش كتاب التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، والثانية بتحقيق عمر الأسعد، ٨م، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.

(٢) المصدر نفسه، بهامش التفسير الكبير، ص٤-١٣، وطبعة دار الجيل، م١، ص٢٣-٢٤.

(٣) أثير الدين أبي حيان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق سمير المجذوب، ط١، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ص٤٠؛ ابن هشام الانصاري، شرح اللمحة البدرية في علم العربية لأبي حيان الاندلسي، ٢جـ، تحقيق وتعليق صلاح رواي، ط٢، دار مرجان للطباعة، ص٥٦، مقدمة المحقق.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٨٧؛ ابن القاضي، جذوة الأقتباس، جـ١، ص٢٣١؛ التنبكتي، نيل الابتاج، ص٢٥٤.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٩٤، المقري، نفح الطيب، م٦، ص٦٨، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٦٦.

(ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) [(١)] موضوع التفسير في كتابه "الافادات والانشادات"* من جملة الموضوعات التي عالجها الكتاب[(٢)]. والكتاب المذكور من الكتب الفريدة في بابه وقد قال المؤلف في مقدمته : بأنه جمع للقارئ في هذه الأوراق جملة الافادات المشفوعة بالانشادات أي المرويات المتبوعة بالانشادات التي تلقاها عن شيوخه الأعلام وأصحابه من ذوي الفطنة، وقصد بذلك تشويق الراغبين في دراسة العلوم العقلية والنقلية واطلاعهم على المزيد من نتائج القرائح والعقول[(٣)].

أما محمد بن على البلنسي (ت٨٠٢هـ/١٤٠٠م) من أهل غرناطة فكان له نشاط كبير في مجال التفسير حيث ألف كتاباً في تفسير القرآن في عدة مجلدات، واستدرك على السهيلي في أعلام القرآن كتاباً رفيعاً رفعه إلى السلطان[(٤)].

٢- الحديث :

اعتنى المسلمون بعلم الحديث عناية كبيرة نادراً ما نجدها في علم آخر وذلك لأن الحديث قد صدر عن الرسول (ص) فجمعه علماء المسلمين وتحرروا عن صحيحه من موضوعه ودرسوا السند ومدى توفر عناصر الثقة والصدق في هذا السند، إضافة إلى اهتمامهم بالمتن، كل ذلك لمعرفة صحيح الحديث من ضعيفه[(٥)]. والدليل على ذلك هو الكم الهائل من التراث الاسلامي المتعلق بالحديث

---

(١) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٤٦؛ الونشريسي، الوفيات، ص١٣١؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٣١.

* سيتطرق البحث إلى الافادات الأخرى حسب مواضيع الإفادة.

(٢) الشاطبي، الافادات والانشادات، ص٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٨١.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٨-٣٩؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٠٧-٢٠٨، التنبكتي؛ نيل الابتهاج، ص٢٧٠.

(٥) أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزودي ابن الصلاح، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦، ص١١-١٤، عبدالكريم زيدان وعبدالقاهر داود عبدالله، علوم الحديث، ط٢، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٨٨، ص٥، ٨.

الذي تركه علماء المسلمين على مر العصور. ونحى الأندلسيون ومنهم الغرناطيون هذا المنحنى في الاهتمام بالحديث النبوي الشريف.

فظهرت في غرناطة طائفة كبيرة من علماء الحديث منهم من ألف ودرس في هذا العلم ومنهم من اعتنى به ودرسه فمن العلماء الذين ألفوا في علم الحديث أبو عبدالله عتيق التجيبي الغرناطي المعروف باللاردي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) الذي كانت له مؤلفات متعددة في هذا المجال منها كتاب "أنوار المصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح"، وكتاب "مطالع الأنوار في شمائل المختار" وكتاب "الكافية"وهو في الاستدلال عن مسائل الخلاف بالحديث(١).

وشارك الفقيه الحافظ أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي في علوم الحديث النبوي عن طريق التدريس والتأليف ومن كتبه في الحديث "وسيلة مسلم في تهذيب صحيح مسلم" و "الأنوار السنية في الكلمات السنية" من الأحاديث النبوية(٢).

وشارك الحسن بن أبي الأحوص القرشي الفهري ابن الناظر (ت٦٩٩هـ/١٣٠٠م) في دراسة الحديث وعلومه عن طريق تصنيفه الكتب في هذا الموضوع، إذ ألف "المسلسلات" في الحديث، و "الأربعون حديثاً" و "برنامج روايته"(٣). وذكر البعض بأنه تولى تدريس كتاب الأربعين حديثاً لأبي حيان الغرناطي(٤).

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤جـ، دار إحياء التراث العربي، مطبوعات دار المعارف العثمانية، د.ت، ح٤، ص١٤٣٦. وسيشار له تالياً : الذهبي، تذكرة الحفاظ.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤١؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٩٥؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٢، جـ١، ص١٧٨-١٨٨؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٤٤٦-٤٤٧؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥١٥.

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٦؛ ابن الخطيب ، الإحاطة، م١، ص٤٦٣-٤٦٥. النباهي، تاريخ قضاة الاندلس، ص١٢٧؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص٣٣؛ الكتاني، فهرس الفهارس، جـ١، ص١٤٣-١٤٤.

(٤) الكتاني، فهرس الفهارس، جـ١، ص١٤٣-١٤٤.

ودخل شيخ المحدثين الرحالة ابن رشيد وهو محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري (ت٧٢١هـ/١٣٢١م) غرناطة عام ٦٩٢هـ/١٢٩٣م في وزارة صديقه ورفيق طريقه في حجة المحدث أبو عبدالله بن الحكيم، فلقى براً منه، وأسندت إليه الخطابة بالمسجد الأعظم في غرناطة، وتولى التدريس فيها فانتفع بعلمه طائفة كبيرة من عامة الناس وخاصتهم. لكنه ترك غرناطة عند مقتل صديقه الوزير ابن الحكيم إلى فاس حيث استقربها. وقد أثنى ابن الخطيب على معرفته بعلم الحديث إذ قال عنه : كثير السماع عالي الإسناد صحيح النقل أصيلاً في ضبطه ملماً بعلم الحديث ورجاله[١]. وقيل فيه أيضاً أنه أكثر عنايته أيضاً كانت بعلم الحديث متناً وسنداً ومعرفة برجاله[٢]. له مؤلفات في علم الحديث منها "إيضاح المذاهب فيمن أطلق عليه اسم الصاحب" و "ترجمان التراجم على أبواب البخاري"[٣] و "السنن الأبين في السند المعنعن"[٤] و "إفادة النصيح في رواية الصحيح"[٥] و "المحاكمة بين البخاري ومسلم"[٦]. وله مشاركة في الحديث عن

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٣٥-١٣٦، ينظر أيضاً أوصاف الناس، ص١٠٠-١٠٢.

(٢) المقري، أزهار الرياض، جـ٢، ص٣٤٨.

(٣) جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٣٥٦. وسيشار له تالياً : السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٦، ص١٤٤.

(٤) المقري، أزهار الرياض، جـ٢، ص٣٥٠.

(٥) البغدادي، هدية العارفين، جـ٦، ص١٤٤؛ ينظر أيضاً ادريس الخرشافي، منهج ابن رشيد السبتي في الدراسات الحديثة من خلال رحلته، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، ١٩٩٥، العدد٣١٢، ص١٣٣-١٣٤. وسيشار له تالياً : الخرشافي، منهج ابن رشيد؛ يوسف الكتاني، مدرسة الامام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، جـ١، ص٢٤١-٢٤٢.

(٦) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص٢٩٠.

طريق أهل الجرح والتعديل[1].

وأدى محمد الساحلي المعروف بالعمم (ت٧٥٤هـ/١٣٥٣م) دوراً كبيراً في النشاط العلمي في غرناطة من خلال توليه الخطابة في المسجد الأعظم في غرناطة وكذلك من خلال مؤلفاته الجمة في ميادين علمية شتى منها الحديث النبوي الشريف لكن غالبية مؤلفاته كانت في التصوف* التي سيشار اليها في حينه. فقد ألف "التبحر الربيح في شرح الجامع الصحيح" وله فهرسة تحتوي فوائد من علم الحديث وتسمية الشيوخ وتحرير الأسانيد[2].

وعرف عن محمد بن سعيد الطراز (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م) بأنه محدث حافل ضابط متفنن عارف بالأسانيد والطرق والرجال وطبقاتهم، تعهد باخراج كتاب "مشارق الأنوار" للقاضي عياض وبيضة بعد أن تركه القاضي عياض على شكل مسودة[3].

وحفلت غرناطة بطائفة كبيرة من علماء ومدرسي الحديث الذين اغنوا بنشاطهم العلمي علوم الحديث حيث تخرج على بعض منهم العديد من التلاميذ الذين أصبحوا فيما بعد من مشاهير علماء الحديث. ويأتي في مقدمتهم ابن الزبير السابق الذكر الذي لم يكن علامة في القراءات والتفسير فقط بل أنه كان كذلك في علم الحديث حيث وصف بأنه إمام المسندين[4] وخاتمة المحدثين[5]

---

(١) عبدالواحد محمد بن الطواح، سبك المقال لفك العقال، تراجم وأعلام من القرنين السابع والثامن الهجريين، تحقيق ودراسة محمد مسعود جبران، ط١، بيروت، ١٩٩٥، ص١٧٦.

* ينظر نشاطه في مجال التصوف في موضوع التصوف ص١٤٢.

(٢) ابن الخطيب، الاحاطة، م٣، ص١٩١-١٩٣.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ٢٣، ص٢٥٩-٢٦٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤١؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٩٧-٢٩٨؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٤.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٨٩؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤٢.

وحافظ للحديث يستطيع تمييز صحيحه من سقيمه[1]. وكان "محدث الأندلس بل المغرب في زمانه"[2]. وتتلمذ على ابن عبد الملك المراكشي في علم الحديث، وأجازه في ذلك في حدود سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، وروى عنه الأحاديث النبوية الشريفة، وعرف بنشاطه الجم في هذا المجال، فكان يكرر أسئلته لأستاذه ابن عبد الملك للتأكد من رواية الحديث، واستنسخ الكثير من مؤلفاته[3]. ودرس على شيخه الشاري السنن الكبير النسائي[4]. وعني كثيراً برجال الحديث وتواريخهم ورواياتهم، ورحل في سبيل ذلك إلى سبتة، وإلى كثير من المدن الأندلسية، ثم قام بتدريس الحديث[5].

وبرع العالم سهل بن مالك الأزدي الغرناطي (ت٦٣٩هـ/١٢٤١م) بعلوم شتى منها علم الحديث والفقه والعلوم العقلية. ولسمو مكانته العلمية قال ابن سعيد في حقه "لو لم تأت غرناطة الا بهذا الجليل المقدار، لكان حسبها من العلم والجود والرياسة وجميع أنواع الافتخار"[6].

وجمع على الغافقي الشاري (ت٦٤٩هـ/١٢٥١م) صفات ومهارات عديدة إذ كان شيخاً فاضلاً وراوية ثقة وعدلاً جليلاً متحرياً ضابطاً له معرفة جيدة بالأسانيد والطرق ورجال الحديث[7]. وقد عرف عنه شغفه بعلم الحديث ورواته[8]. وكان قد

---

(١) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٤؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٩٠، الشوكاني، البدر الطالع، جـ١، ص٣٤.

(٢) السيوطي، بغية الوعاة، م١، ص٢٩.

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٤.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص١٤٨٤.

(٥) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٤-٣٥.

(٦) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان الداية، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٧، ص١٤٩. وسيشار له تالياً : ابن سعيد، رايات المبرزين، اختصار القدح المعلى، ص٦٠-٦١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ٢٣، ص١٠٣-١٠٤.

(٧) المراكشي، الذيل والتكملة، ق٢، ص٥٥٧.

(٨) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

درس كتب الحديث مثل الموطأ لمالك برواية يحيى بن يحيى وكتب الصحاح الخمسة للبخاري وابن ماجه والترمذي والكسائي وكتاب مسلم الا يسير من آخره. ودرس أيضاً مسند أبي بكر البزار الكبير وسيرة ابن اسحاق تهذيب ابن هشام وغيرها من كتب الحديث[١].

وأنتج بيت ابن جزي عالماً آخر هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد بن جزي، وهو أحد أخوة ثلاثة كلهم أدباء بلغاء وعلماء أفاضل إضافة إلى والدهم الفقيه محمد بن جزي تتلمذ على والده وهو صغير السن فدرس عليه أبعاضاً من كتب عدة في علوم مختلفة منها علم الحديث إذ درس عليه بعض صحيح مسلم، وبعض صحيح البخاري، وبعض الجامع للترمذي، وبعض السنن للكسائي، وبعض سنن أبي داود، وبعض موطأ مالك بن أنس، وبعض الشفاء للقاضي عياض، وغيرها كثير. كما درس عليه بعض كتاب "وسيلة مسلم في تهذيب صحيح مسلم" من تأليف والده كما لقن الأب الابن في صغره جملة من الأحاديث النبوية الشريفة والمسائل الفقهية[٢].

وحفلت غرناطة بالعديد من علماء الحديث ولكن لم تذكر المصادر مؤلفات لهم منهم العالم أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد بن جزي السابق الذكر، ومحمد البياسي الغرناطي (ت٧٠٣هـ/١٣٠٤) [٣]، وابن المرابط الغرناطي (ت٧٥٢هـ/١٣٥١م) [٤]، ويوسف بن يزيد الغرناطي[٥]، ومنهم العالم المجاري

---

(١) المصدر نفسه، ق٢، ص٥٥٥-٥٥٦.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٩٢-٣٩٥.

(٣) المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٦، ص٣٤٧، المقرى، نفح الطيب، م٢، ص٥٩.

(٤) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص١٦٣-١٦٤؛ السخاوي، تراجم مغربية وأندلسية من كتاب وجيز الكلام في ذيل دول الاسلام، تحقيق وتعليق أحمد عبدالله الحسو، المؤرخ العربي، العدد ٣٠، السنة الثانية عشر، ١٩٨٦، ص٢٥٢. وسيشار له تالياً : السخاوي، تراجم مغربية وأندلسية؛ على أحمد، الاندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع للهجري، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٩، ص١٥٢-١٥٣. وسيشار له تالياً : أحمد، الأندلسيون والمغاربة.

(٥) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٥، ص٢٢٤-٢٢٥.

الذي وصف بخاتمة الرواة بالأندلس مساهمة في علم الحديث[٢].

كما كان لعلماء الأندلس والمغرب الذين دخلوا غرناطة نشاط واهتمام بعلم الحديث درساً وتدريساً ولم تمدنا المصادر بمؤلفات لهم، منهم العالم أحمد بن عبدالله عميرة المخزومي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) الذي ولد في جزيرة شقورة أو بلنسية الأندلسيتين وهو من العلماء الذين عاصروا قيام مملكة غرناطة[٣]، ومنهم محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي الذي وصف بأنه عارفاً بالحديث معتنياً بضبطه مشكلة وكان يعقد مجالس السماع للموطأ في المسجد الجامع بغرناطة[٤]، ومنهم ابن الحجاج يوسف الجذامي (كان حياً ٧٦١هـ/١٣٦٠م) الذي وفد من رندة إلى غرناطة ويذكر ابن الخطيب بأنه ألف في الحديث كتباً عديده لكنه لم يوردها[٥]، ومنهم أبو البركات محمد بن محمد البلفيقي ابن الحاج (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م) [٦]، الذي وصفه ابن خلدون بأنه شيخ المحدثين والفقهاء[٧]. ومن محدثي المغرب الذين وفدوا غرناطة أبو عمرو يحيى بن عزفة اللخمي (ت٧١٩هـ/١٣١٩م) الذي قدم غرناطة من سبتة عندما انضمت إلى حظيرة الدولة النصرية[٨].

٣- الفقه :-

انتشر المذهب المالكي في الأندلس منذ زمن الأمير هشام بن عبدالرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) المعاصر لمالك بن أنس نفسه، واستمرت الأندلس مالكية حتى سقوط مملكة غرناطة، ولم تنتشر بقية المذاهب، وفي ذلك يقول لسان

---

(١) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٥، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢) المجاري، برنامج المجاري، ص٣٢.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٧٣-١٧٤.

(٤) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٥، ص٦٦-٦٧.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٧٧-٣٩٠.

(٦) ابن حجر، الدرر، طبعة بيروت، جـ٤، ص٩٧؛ عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص٦٣. وسيشار له تالياً : ابن خلدون، التعريف بابن خلدون.

(٧) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص٦٣.

(٨) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٤٠-٣٤١.

الدين بن الخطيب في غرناطة "أحوال أهل هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنحل فيهم معدومة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية "[1].

ويشير أحد المستشرقين إلى أن سبب استمرار المذهب المالكي في الأندلس والمغرب هو كونه الأكثر مرونة بين المذاهب الأخرى[2]. ويبدو أن ذلك يعود إلى البساطة التي أتصف بها مذهب مالك.

وقد حفل عصر بني الأحمر في غرناطة بالعديد من الفقهاء ومنهم من ألف في ذلك بعض الكتب في المسائل الفقهية فابن الزبير الذي عرف عنه نشاطاته التدريسية في مختلف أنواع العلوم قام بتدريس الفقه وغيره طيلة النهار عاكفاً عليها مثابراً في سبيل نشر هذه العلوم وصارت الرحلة اليه للتتلمذ على يده[3]. ولابن الزبير مصنفات في أصول الفقه[4]. منها شرح الاشارة للباجي في الأصول[5]، وسبيل الرشاد في فضل الجهاد[6]، كما إن توليه قضاء المناكح والخطبة بالحضرة يدل على سعة باعه في الفقه[7].

ومن فقهاء غرناطة شيخ الشيوخ الفقيه ومرجع الفتيا فرج بن قاسم بن لب (ت٧٨٣هـ/١٣٨١م)، الذي اشتهر ذكره في بلاد المغرب والأندلس في الفتوى، وأصبح معظماً عند الخاصة والعامة. وقد نال ثناء معاصريه ومنهم تلميذه لسان الدين بن الخطيب لغزارة حفظه وتبحره في الفقه. فبعد أن تتلمذ على كبار فقهاء غرناطة مثل علي القيجاطي وابن الزيات ومحمد بن بكر الأشعري ومحمد

---

(١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٨.

(٢) Juan poblo, wert, El reino Nazari de Granada, ediciones Akel, S.A, Madrid - Espana, 1994, P. 33.

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٤.

(٤) اليماني، اشارة التعيين، ص٢٤.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٨٩.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٩٠؛ اسماعيل باشا البغدادي، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، د.م، ١٩٩٠، م٤، ص٥. وسيشار له تالياً البغدادي، ايضاح المكنون.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٨٩؛ السيوطي، بغية الوعاة، م١، ص٢٩٢.

الهاشمي تولى بعد ذلك التدريس في المسجد الجامع ثم المدرسة النصرية فنشر علماً كثيراً وقلّ بالأندلس في وقته مَنْ لم يأخذ منه، ومن أكابر من تتلمذ عليه الإمام الشاطبي والحفار و ابن بقي، و ابن الخشاب و أبو محمد محمد بن جزي و ابن زمرك وله رسائل صغيرة في الفقه تضمنت أراء أصيلة ونظرات صحيحة مثل "الدعاء أثر الصلوات" و "مسألة الامامة بالأجرة" و "الرد على ابن عرفة في مسألة القراءة بالشاذ في الصلاة" وله فتاوي مشهورة(١).

وساهم الفقيه الصوفي إبراهيم بن محمد النفزي الغرناطي (ت٦٥٩هـ/١٢٦١م) في الدراسات الفقهية من خلال تأليفه بعض الكتب في هذا الموضوع منها كتاب "الوسائل في الفقه"، وكتاب "المسائل"(٢).

وكان الفقيه أحمد بن مسعدة الغرناطي العامري (ت٦٩٩هـ/١٣٠٠م) فقيهاً أصولياً ونحوياً ولغوياً. ومن أشهر مؤلفاته في أصول الفقه شرحه لكتاب "المستصفى" للغزالي في الأصول(٣).

وللفقيه عثمان بن دعمون الغرناطي (ت٧٠٩هـ/١٣١٠م) مساهمة في الحركة الفقهية وفي مسائل الأحكام فقد اعتمد عليه كمستشار وألف برنامجاً - وصف بأنه عظيم النفع والفائدة - على غرار كتاب "البيان والتحصيل" لابن رشد(٤).

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٥٣-٢٥٤؛ أوصاف الناس، ص٣٢؛ ابن الجزري، غاية النهاية، جـ٢، ص٧-٨؛ ابن حجر، انباء الغمر، جـ٢، ص٧٧؛ أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، ١٣جـ، خرجه جماعة من الفقهاء باشراف محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨١، جـ١، ص٦٩، وسيشار له تالياً : الونشريسي، المعيار المعرب؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢٦٥؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥٠٩-٥١٣؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢١٩-٢٢٠؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص٨١٦.

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٩١؛ بنمنصور، اعلام المغرب، جـ١، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٦٤؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ١، ص٧٣؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤٠-٤١؛ البغدادي، ايضاح المكنون، م٤، ص٤٧٧.

(٤) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٩١-١٩٢؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢٠٨؛ الونشريسي، الوفيات، ص١٠٠؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٩٧.

وتولى يحيى بن أحمد المحاربي المعروف بابن مسعود (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م) قضاء الجماعة بحضرة غرناطة حيث كان له معرفة بالأحكام والنوازل وقال عنه ابن القاضي بأنه قام باستنساخ العديد من الدواوين الفقهية لكنه لم يحدد ما هذه الدواوين[١].

وركز الفقيه الزاهد أحمد بن يزيد الغافقي على باب الصدقة في أصول الدين واستطاع أن ينشر هذا العلم داخل الحضرة السلطانية وصنف كتاباً تضمن كثيراً من فقه النفس والبدن على حد قول ابن الخطيب[٢].

وأدى الفقيه الحافظ أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي دوراً كبيراً في مجال الدراسات الفقهية إضافة إلى توليه التدريس في غرناطة فقد ألف كتباً فقهية عديدة منها "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية" و "التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية" و "تقريب الوصول إلى علم الأصول" و "النور المبين في قواعد عقائد الدين"[٣].

وسار أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي (ت٧٨٥هـ/١٣٨٣م) على نهج أبيه في الفقه. فبعد دراسته على أبيه وغيره من علماء غرناطة أصبح عالماً في الفقه والفرائض وتولى قضاء غرناطة والخطابة في مسجد السلطان بها. وله مؤلف في الفقه شرح فيه كتاب والده المذكور سابقاً "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية"[٤].

ويعد الفقيه ابراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي

---

(١) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٣٣١-٣٣٢.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٦٨-١٦٩.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢١-٢٢؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٩٥؛ المقرى، نفح الطيب، م٥، ص٥١٥.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٦٢، ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤١؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ١، ص٢٦-٢٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٢، ص١٤١؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، جـ٣، ص١١٩؛ السخاوي، تراجم مغربية واندلسية، ص٢٥٤؛ المقرى، ازهار الرياض، جـ٣، ص١٨٨.

(ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) من علماء غرناطة الذين رسخوا في العلم درساً وتدريساً وحفظاً وسماعاً وتأليفاً وشرحاً وتعليقاً. ومن يقرأ فقط سيرة هذا العلامة الفقيه الذي ذكره المجاري كأحد شيوخه يلاحظ جملة من علماء أعلام غرناطة ونشاطاتهم سواء أكانوا شيوخاً للشاطبي أم تلاميذاً له. وقد وصف الشاطبي المذكور من قبل تلميذه المجاري بأنه "الشيخ الامام العلامة الشهير نسيج وحده وفريد عصره"[١]. ومن أهم نشاطاته في التأليف هو كتاب "الموافقات" في أصول الفقه وأحكام الشريعة[٢]. الذي وصف بأنه كتاب جليل القدر جداً لا نظير له يدل على إمامته وبعد شأوه في العلوم[٣]. ومن مؤلفاته الأخرى كتاب "الحوادث والبدع" الذي يسمى أيضاً بـ "الاعتصام" تناول فيه عدة محاور تتعلق بالبدع منها في ذم البدع وسوء منقلب أهلها ومنها في أحكام البدع....الخ[٤].

وقد نال هذان الكتابان اعجاب العلماء القدامى والمحدثين فوصفا بأنهما لا ند لهما كل في مجاله ولم يسبق إلى مثلهما سابق الأول في أصول الفقه وحكم الشريعة، والثاني في البدع والابتداع حتى قال فيه البعض ما رأينا أحداً منهم من هدي إلى ما هدي إليه الشاطبي فيه من البحث العلمي في هذا الموضوع[٥].

أما كتابه الثالث "الافادات والانشادات" فقد وردت فيه قضايا خاصة في الفقه وأصوله مثل التشريع والعقيدة والكلام. والجمع بين مسألة فقهية ومسألة في

---

(١) المجاري، برنامج المجاري، ص١١٦.

(٢) أبو اسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الموافقات في أصول الشريعة، ٤جـ، عني بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه محمد بن عبدالله دراز، ط٢، دار الفكر العربي، د.م، ١٩٧٥، ص٢٣-٢٤، ٢٩.

(٣) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٤٨؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٣١؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص١٨.

(٤) أبو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي، الاعتصام، ٢جـ، ضبطه وصححه أحمد عبد الشامي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، جـ١، ص٤-٥.

(٥) المصدر نفسه، جـ١، ص٤، مقدمة المحقق.

الغربية[١].

وساهم الفقيه قاضي الجماعة ابن علاق الغرناطي (ت٨٠٦هـ/١٤٠٤م) في النشاط العلمي في غرناطة، فبعد أن درس على شيوخها من أمثال ابن لب والمقرى تتلمذ عليه طلبة أصبحوا من مشاهير علماء غرناطة كابن السراج وابن عاصم (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م) إضافة إلى شرحه على كتب غيره كشرحه على ابن الحاجب في الفروع وشرحه على فرائض ابن الشاط[٢].

وكان للفقيه وقاضي الجماعة بغرناطة ومفتيها ابن سراج الغرناطي (ت٨٤٨هـ/١٤٤٤م) دور ملحوظ في الدراسات الفقهية والإفتاء. فبعد أن درس على كبار شيوخ غرناطة مثل ابن لب والحفار وابن علاق أصبح من أبرز علمائها وحامل راية الفقه فيها وتتلمذ عليه غرناطيون أصبحوا من أعلام علمائها مثل ابن عاصم والسرقسطي وابن فتوح والراعي والمواق، ومن مؤلفاته "شرحه الكبير على مختصر خليل" الذي أكثر المواق من النقل عنه في شرحه على المختصر[٣]. وفتاويه الكثيرة التي ذكر الونشريسي جملة وافرة منها في كتاب المعيار المعرب. منها على سبيل المثال فتواه حول كتب موقوفة في مكتبة الجامع الأعظم بغرناطة[٤]. ولم يقتصر نشاطه العلمي على غرناطة بل رحل إلى تلمسان وأفريقيا وناظر علمائها ثم عاد إلى الأندلس[٥].

وكان أبو عبدالله محمد بن يوسف الغرناطي الشهير بالمواق آخر علماء الأندلس والشيوخ الكبار، الذي شهد سقوط غرناطة عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. وتعرض إلى الإهانة من قبل الوزير الأسباني بسبب امتناعه من الحضور إليه عندما استدعاه بعد أن سأل الوزير الأسباني عن أبرز علماء غرناطة، فأشاروا إلى

---

(١) الشاطبي، الافادات والانشادات، ص٦٥.

(٢) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٢٨٣؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٨١-٢٨٢، الونشريسي، الوفيات، ص١٣٥؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٤٧.

(٣) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٠٨؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٤٨.

(٤) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ٧، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٥) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٠٨.

المواق المذكور[1].

وكان المواق قد تتلمذ على كبار علماء غرناطة مثل الوزير أبي القاسم بن سراج وابن عاصم. وأثنى المؤرخون عليه فكان مفتي غرناطة وخطيبها والمتضلع بالفقه على المذهب المالكي[2].

ومن مؤلفاته شرحاه على مختصر خليل* سماهما التاج والإكليل وهما متشابهان في الموضوع يزيد كل منهما عن الآخر في بعض المواضع. وقد نهج به المؤلف نهجاً جديداً انفرد به، وهو ارجاع المسائل الفقهية إلى أصول المذهب المالكي بما يوافقه أو يخالفه دون أن يتعرض لألفاظه أبداً، فإذا لم يجد نص المسألة في كتاب مختصر خليل ترك ذلك بياضاً. وقد عُد هذان الكتابان في غاية الجودة واعتمدا من قبل العلماء الذين تلوه مثل الشيخ ابن غازي وله أيضاً كتاب آخر بعنوان "سنن المهتدين في مقامات الدين" وهو من الكتب التي تعنى ببعض العلوم الدينية كالأصول والفروع وكذلك التصوف[3]. وتوفى المواق عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م[4].

ومن الجدير بالذكر أن بعض علماء الأندلس قد دخلوا إلى غرناطة وشاركوا في النشاط الفقهي ومنهم من كان له مؤلفات في موضوع الفقه مثل قاسم بن عبدالله بن الشاط (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، الذي ذكره ابن الخطيب في الإحاطة والبشتكي المصري في مركز الإحاطة فقالا عنه أنه من مدينة بلنسية الأندلسية ودرس على كبار شيوخ غرناطة مثل ابن هذيل وابن الجياب وابن شبرين والحسن

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

* هو خليل ابن اسحاق الجندي فقيه مصري ألف المختصر في الفقه المالكي توفى عام (٧٦٧هـ/١٣٦٦م)؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١١٥؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٢، ص١٧٥؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢١٢-٢١٣.

(٣) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٢٤-٣٢٥؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٦٢.

(٤) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٢٤؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص١٤١؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٦٢.

الشريف وأبي بكر بن ذي الوزارتين بن الحكم. ونزل سبتة، ثم دخل غرناطة عند انضمامها إلى حظيرة بني الأحمر مع وفد أهل سبتة حاملين بيعة بلدهم للسلطان ابن الأحمر.

وتتلمذ على ابن الشاط الكثيرين في غرناطة وبعض الذين يحضرون مجلسه من المتقدمين من الطلبة والنبلاء من العامة. وقد كتب في الأصول والفرايض والفقه. ومن مصنفاته "أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق" و "غنية الرايض في الفرايض" و "تحرير الجواب في توفير الثواب" و "فهرسة حافلة بأسماء الشيوخ والكتب[١].

وللفقيه الراوية علي بن الحسن النباهي دور كبير في الحركة الثقافية الغرناطية فبعد دراسته في مالقه وغرناطة على كبار شيوخها وتقلده القضاء في أكثر من مدينة أندلسية. عاد أخيراً إلى غرناطة للإستقرار بها نهائياً حيث عين كاتباً بالديوان في بلاط السلطان النصري. ولم تمض إلا مدة قليلة حتى قلده السلطان خطة قضائية كبيرة هي خطة قاضي الجماعة بغرناطة نفسها. وهو من معاصري لسان الدين بن خطيب الذي ترجم له في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة ومدحه فيه[٢] ونقل تلك الترجمة أيضاً المقرى في كتابيه نفح الطيب، وأزهار الرياض[٣]. لكن العلاقات ما لبثت أن توترت بين النباهي وابن الخطيب، لذلك نجد في كتابي ابن الخطيب أعمال الاعلام، والكتيبة الكامنة هجاء له عكس ما وجدناه في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة فتهكم عليه ملقباً إياه بالجعسوس أي قصير القامة هازئاً به[٤]. ومن المعروف أن النباهي ألف كتاباً في تاريخ قضاة الأندلس سماه "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا" كما ورد عند المقرى[٥]

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٥٩-٢٦٢؛ البشتكي، مركز الإحاطة، مخطوط، ورقة رقم ٢١٧ أ، ٢١٧ب.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٨٩.

(٣) المقرى، نفح الطيب، م٦، ص١١٩-١٢٠؛ ازهار الرياض، جـ٢، ص٥-٦.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، جـ٢، ص٧٨؛ الكتيبة الكامنة، ص١٤٦.

(٥) المقرى، ازهار الرياض، جـ٢، ص٥.

وفي المطبوع. و "المرقاة العليا في مسائل القضاء والفتيا" كما ورد عند التنبكتي[١].

وصلنا منه بابان الأول يبحث وفي القضاء في المسائل التي تتعلق به ، والثاني عبارة عن مجموعة لتراجم القضاة سيشار إليه عند الحديث عن التاريخ[٢]. وله بحث فقهي في "مسألة الدعاء بعد الصلاة" قصد فيه الرد على الامام أبي اسحاق الشاطبي[٣].

ومن فقهاء المغرب الذين دخلوا غرناطة وساهموا في النشاط الفقهي فيها أبو عبدالله بن أحمد المقري الذي ترك أثراً كبيراً في الدراسات الفقهية في غرناطة حيث تتلمذ على يده طائفة كبيرة من علمائها ومن مؤلفاته في الفقه "القواعد الفقهية" و "تكميل التعقيب على صاحب التهذيب"[٤] ولعلو منزلته العلمية سر علماء غرناطة بمقدمه إلى مدينتهم مثل قاضي الجماعة أبو القاسم وابن الحاج[٥].

ومنهم أيضاً أحمد الجذامي المعروف بالقباب وكان القباب قد تولى الفتيا بمدينة فاس وله نوازل مشهورة كذلك رحل إلى المشرق. ويبدو أن مؤلفاته قد لقيت نقداً ومناظرة من قبل كبار فقهاء العالم الاسلامي، فمثلاً لما رحل إلى المشرق ولقي الفقيه التونسي الشهير ابن عرفه هناك قال له تأليفك هذا لا ينفع فيه للمبتدئ لصعوبته ولا يحتاج إليه المنتهي. كذلك حدثت مناظرات بينه وبين العقباني في مسائل الفها العقباني وسماها "لب اللباب في مناظرات القباب"[٦]. أما لسان الدين بن الخطيب فقد ألف فيه رسالته التي سماها "مثلى الطريقة في ذم الوثيقة" التي كان السبب في تأليفها محاورة بين ابن الخطيب والقباب تضمنت نظماً

---

(١) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٠٦.

(٢) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ي مقدمة المحقق.

(٣) المقرى، ازهار الرياض، جـ٢، ص٧؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٠٥.

(٤) الشاطبي، الافادات والانشادات، ص٢٢، ٨١-٨٤.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٩٧.

(٦) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص١٢٣-١٢٤.

ونثراً وحكاية(١).

وأثر الفقه الذي حمله فقهاء غرناطة الراحلين إلى خارجها في نشاط الحركة الفقهية في تلك المناطق ومنهم العالم أبو بكر بن مُسْند الغرناطي (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م) فقد رحل إلى مكة وساهم في الدراسات الفقهية فبعد أن درس في غرناطة وغيرها من المدن الأندلسية والمشرقية رحل إلى مكة وجاور بها، وتولى الخطابة والامامة في الحرم إلى حين وفاته، فأفتى بها وألف كتاباً في مناسك الحج سماه "إعلام الناسك بإعلام المناسك، محرر الإئتلاف بين الإجماع والخلاف" تطرق فيه إلى الخلافات بين المذاهب الأربعة في هذا الموضوع. وكذلك الخلافات بين الفرق الشيعية كالزيدية والامامية. وكان ميالاً إلى الأخذ بالحديث النبوي الشريف(٢)، وذكر له المقريزي كتاباً آخر سماه "البشارة بثواب الحج والزيارة"(٣).*

أما الفقيه عبدالله بن زيد الغافقي (ت٧٣١هـ/١٣٣١م) فقد وصف بأنه "رجل صحيح المذهب، سليم الصدر....لا يفتر عن النسخ والتقييد والمطالعة" وتولى القضاء في العديد من مناطق الأندلس في بيرة ورندة ثم مالقة وتتلمذ على يد العديد من العلماء منهم الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وغيره كثير كما أجازه شيخ الجماعة ابن الزبير. وكان لهذا الفقيه الجليل كتاب رتب فيه نوازل ابن الحاج على أبواب الفقه سماه "المنهاج في ترتيب مسائل الفقيه المشاور أبي عبدالله ابن الحاج"(٤).

---

(١) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص١٨٨؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص١٢٤.

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٣٤٠-٣٤١.

(٣) المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٧، ص١٥٦.

* يرد عنوان الكتاب في قسم المصادر "الاربعون المختارة في فضل الحج والزيارة "انظر ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص٢٨٦؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٦، ص١٢٨؛ كاربروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر، راجع الترجمة رمضان عبد التواب، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت، جـ٦، ص٢٨١. وسيشار له تالياً: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤١١-٤١٢؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٤١-١٤٢.

ومن فقهاء غرناطة الفقيه النحوي أبو عبدالله الراعي (ت٨٥٣هـ/١٤٤٩م) الذي نشأ بها ودرس على علمائها بالجامع الكبير بغرناطة والمدرسة النصرية اليوسفية، لكنه ما لبث أن هاجر من الأندلس واستقر في مصر. وهنالك بعض المواقف التي تدل على نبوغه المبكر ومنها تطبيقه للقواعد النحوية على النوازل لحل بعض المشكلات الفقهية مثل المسألة الفقهية المتعلقة بالإمام الذي صلى بالجماعة جزءاً من الصلاة ولم يكملها ولم يستخلف من يتم الصلاة فهل تكون صلاة هؤلاء صحيحة أم باطلة فلم يستطع أحد الإجابة إلا الفقيه الراعي الذي قال أنا أجاوب فيها بمسألة نحوية وهي : الاتباع بعد القطع ممتنع عند النحاة، فصلاة هؤلاء فاسدة يجب إعادتها. ويبدو أنه ألف كتاباً بهذا المعنى عنونه بـ "شرح القواعد" تكلم فيه عن نوازل نحوية. وقد كان له اهتمام كبير بتصنيف الكتب خاصة المتعلقة بالفقه والنحو. فمن كتبه الفقهية "مختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل"، و "الفتح المنير في بعض ما يحتاج إليه الفقير"[1]، و "انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك" وقد حقق هذا الكتاب الأخير ونشر وتضمن مسائل فقهية كثيرة وتطرق إلى المذاهب الأربعة المشهورة وأصحابها وهو مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل لكن معظم الكتاب يدور حول سيرة مالك وثناء العلماء عليه وفتاويه وتلامذته[2].

وخلال الاستعراض للعلماء الذين رحلوا إلى الخارج سواء أكانوا غرناطيين أم أندلسيين ندرك أن من الظواهر التي تجلب الانتباه أن كثيراً من علماء الأندلس-

---

(١) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٢٩٠؛ جلال الدين السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٢٧، ص١٦٦-١٦٧. وسيشار له تالياً : السيوطي، نظم العقيان؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٦٩٤-٦٩٩؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣١٠؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٤٨.

(٢) شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي، انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨١، ص٣٩٢-٤٠٠.

بسبب استيلاء الأسبان على المدن الأندلسية – انتقلوا إلى غرناطة أو تركوا الأندلس واتجهوا ألى المغرب أو المشرق.

وحفلت غرناطة بالعديد من الفقهاء ولكن لم تذكر لهم المصادر مؤلفات منهم الفقيه أحمد بن عمر الحضرمي المرادي (ت٦٥١هـ/١٢٥٣م) الذي كان فقيهاً ذاكراً للنوازل بصيراً بالفتوى وأصبح خطيباً بجامع قصبة غرناطة القديمة فترة طويلة[١].

وكان للعالم اسحاق بن علي أبي عمر الرندي نشاط في ميدان الفقه وهو من أهل غرناطة وأصله من جيان وقد وصف بأنه وافر المعرفة بالأمور الفقهية[٢].

وتميز أبو عبدالله الشامي (ت٧١٥هـ/١٣١٥م) ببراعته في كل من الفقه الشافعي والمالكي[٣] وناظر في فقهيهما[٤].

وبرز في هذا العصر عالم عرف بشيخ الفقهاء والموثقين هو محمد بن محمد الدوسي المعروف بابن قطبة (ت٧٣٨هـ/١٣٣٨م) وبلغت مكانته الفقهية شأناً كبيراً حتى أصبح من أصحاب الشورى ومرجعاً استشارياً للغرباء والقادمين لغرناطة ومقصداً للمتعلمين. قرأ بن قطبة على كبار شيوخ غرناطة مثل الاستاذ ابن الزبير والشيخ الوزير ابن السماك. إضافة إلى عدد كبير من شيوخ المغرب والمشرق[٥].

وممن ساهم في مجال الفقه محمد بن أبي بكر الأنصاري الغرناطي بن الأصفر (ت٧٤٤هـ/١٣٤٣م) فقد كان فقيهاً ورعاً دؤوب على العبادة واتباع سنن الصالحين[٦].

---

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤٥؛ بنمنصور، اعلام المغرب، جـ٤، ص١٣٢.

(٢) ابن القاضي، درة الحجال، جـ١، ص٢٠٩–٢١٠.

(٣) ابن الجزري، غاية النهاية، جـ٢، ص٢١٢.

(٤) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢١٤.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٥٩–١٦٠.

(٦) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٠٢.

وساهم استاذ ابن الخطيب الشاعر الطبيب الرياضي يحيى بن هذيل التجيبي الغرناطي (ت٧٥٣هـ/١٣٥٢م) في العلوم الدينية بتوليه تدريس الأصول والفرايض بمدرسة غرناطة. وكان قد درس الأصول على يد الاستاذ ابن الشاط[١]. ودرس مؤلف فخر الدين الرازي الموسوم بـ "الآيات البينات" على يد استاذه ابن جابر[٢].

وعرف عن أحمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي (ت٧٥٩هـ/١٣٥٨م) بأنه كان بصيراً ومضطلعاً بمسائل الأحكام كثير التأني في أصدارها، ولكنه في الوقت نفسه كثير الإقدام على المسائل التي يحجم عنها الآخرين[٣].

ومن فقهاء غرناطة ابن سلمون الكناني (ت٧٤١هـ/١٣٤١م)[٤]، وأحمد بن يوسف الغرناطي ابن حداد (ت٧٥٢هـ/١٣٥١م) الذي تولى القضاء في غرناطة[٥]، ومحمد السياري البياني (ت٧٥٣هـ/١٣٥٢م) الذي تولى تدريس الفقه طيلة حياته في المدرسة النصرية بغرناطة[٦]، والاستاذ النحوي محمد بن علي الغافقي (ت٧٨٨هـ/١٣٨٦م)[٧].

ومن جملة الفقهاء الذين حفلت بهم غرناطة في هذا العصر محمد بن محمد بن محمد السرقسطي الغرناطي (ت٨٦٥هـ/١٤٦١م) الذي وصف بعالمها ومفتيها وصالحها، وتولى الفتيا فيها وكانت دراساته الفقهية على يد علماء غرناطة كابن السراج وغيره. وتلقى عليه العلم طلبة صاروا من أعلام العلماء كابن الأزرق والقلصادي صاحب الرحلة الذي قال في رحلته كان من أحفظ الناس لمذهب مالك، وكانت فتاويه لا تظهر عليه الكلفه، وذكر كتباً كثيرة درسها عليه مثل الموطأ

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٩١؛ ابن حجر، الدرر، طبعة بيروت، جـ٤، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٩٠.

(٣) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٢٠٠-٢٠١.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤٠١؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ٢، ص٤٣٤.

(٥) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص١٤٩.

(٦) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٤٠؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص١٣.

(٧) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٧٢.

لمالك والمدونة لسحنون ومقدمات ابن رشد(١).

ومن متأخري فقهاء غرناطة أحمد بن عبدالله البقني الأنصاري الذي ولـــد بغرناطة ونشأ فيها ودرس على شيوخها(٢). وكانت له عدة فتاوى وصلت إلى عهد التنبكتي فاطلع عليها(٣). ونقل الونشريسي في المعيار المعرب بعض فتاويه كفتـواه في ستر الميت في ثياب الحرير والذهب(٤). وشارك في أحداث عصره السياســية فقد أدان من خرجوا عن طاعة السلطان أبي الحسن علي بن سعد وبايعوا ولده أبو عبدالله الصغير. ويبدو أنه ترك غرناطة عند سقوطها وأقام في فاس شارك مـــن خلالها في الحياة العلمية، لكنه عاد إلى غرناطة في عـــهد فرديـنــاندو وايزابيــلا واعتنق النصرانية مرتداً عن الاسلام(٥).

ومن فقهاء الأندلس الذين دخلوا غرناطة الشيخ محمد بن علـــي الغســاني المعروف بابن حفيد الأمين (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) وهو من فقهاء مالقة الذين تكرر وفودهم إلى غرناطة وكان ذا علم ودين متين ومن السائرين على خطـــى كبـار الفقهاء(٦).

ولم يقتصر نشاط العلماء في غرناطة على علماء الأندلس وإنمـــا هنـالك طائفة كبيرة من علماء المغرب ممن دخلوا غرناطة وساهموا في نشاطها الفقـــهي فقد أشاد المؤرخون والكتاب ببراعة أبي القاسم السبتي حتى أنه عد غرناطياً بدليل أنه أضيف إلى اسمه الغرناطي فأصبح يعرف بالشريف الغرناطي فقد بـــرع فـــي الكتابة والشعر والنحو والعلوم الدينية والافتاء في التأليف دخل الأندلس وعين فـــي ديوان الانشاء بغرناطة ثم في قضاء مالقة ثم جمعت له وظيفتا القضاء والخطابـــة

---

(١) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣١٤-٣١٥؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٦٠.

(٢) المقرى، ازهار الرياض، جـ١، ص٧٢؛ بنمنصور، اعلام المغرب، جـ٤، ص١٠١.

(٣) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٥٩.

(٤) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ٣، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٥) المقري، ازهار الرياض، جـ١، ص٧٢؛ بنمنصور، اعلام المغرب، جـــ٤، ص١٠١-١٠٢.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٦٦-٦٧.

بغرناطة عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، وعزل عن قضاء غرناطة، فانقطع لتدريس الفقه واللغة العربية ثم أعيد إلى قضاء غرناطة في يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، وبقي فيها حتى وفاته عام ٧٦٠هـ/١٣٥٩م(١). ومما قيل فيه "كان بارعاً في الحكم والتدريس والتصنيف غزير الحفظ حاضر الذكر فصيح اللسان"(٢). و "إمام العلوم بالتحقيق، وفارس البحث فيها بالتدقيق"(٣). أما ابن قنفذ فقال وكان إماماً في الفقه والحديث والعربية، ولم يكن أحد بعد مثله بالأندلس(٤).

ومنهم كذلك محمد بن عبدالرحمن الكرطوسي التميمي الفاسي (كان حياً ٧٦٠هـ/١٣٦٠م) الذي تولى الخطابة وتدريس الحديث والفقه في غرناطة "وكان في حفظه الفقه آية" ولقي حظوة عند حكامها، فأثرى(٥). وقد عرف عنه بأنه ينقل الفقه منسوباً إلى أمهاته(٦).

ومن فقهاء غرناطة الذين هاجروا خارجها وساهموا في النشاط الفقهي في تلك المناطق التي هاجروا اليها محمد بن ذي النون التغلبي المعروف بابن الرمالية حيث كان فقيهاً نبيهاً له معرفة بالفقه ذا ذاكرة قوية للذي يقرأه وقد غادر إلى بغداد حيث كانت وفاته هناك عام ٦٥٠هـ/١٢٥٢م(٧).

ومنهم المفتي الكبير أبو عمر أحمد بن قاضي الجماعة الاشبيلي المولود في

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٨١-١٨٢؛ ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص٤٥-٤٦، ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٣، جـ٢، ص١٥٤؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٤٤٣.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٤٤٣؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٣، جـ٣، ص١٥٤.

(٣) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص٤٦.

(٤) أبو العباس أحمد بن حسن الشهير بابن قنفذ، الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة ١١-٨٠٧هـ، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨، ص٣٦٢. وسيشار له تالياً : ابن قنفذ، الوفيات.

(٥) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص١١٨.

(٦) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص٢٢٢.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٦-٢٧.

غرناطة عام ٦٧٢هـ/١٢٧٤م والمتوفى في دمشق عام ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. ولما رحل إلى دمشق سمع من كبار علمائها وممن أخذ الحديث عنه الحافظ الذهبي المشهور وتقلد امامة المالكية في الجامع الأموي بدمشق(١). وكان له العديد من الفتاوى النافعة(٢).

ومنهم أبو الوليد اسماعيل بن هاني اللخمي الغرناطي المولود في غرناطة سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م والمتوفى سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م درس على شيوخ غرناطة مثل أبي القاسم بن جزي الكلبي وعرف عن تضلعه بالمذهب المالكي فكان قد حفظ الموطأ لمالك عن ظهر قلب برواية ابن جزي المذكور. وكان يحفظ فقهاً كثيراً في مذهبه. وقام بالتدريس والافتاء، لكنه ترك غرناطة وتوجه إلى المشرق فتولى قضاء حماة ثم قضاء دمشق(٣).

وممن تضلع بالفقه في غرناطة أبو اسحاق الساحلي المعروف بالطويجن فكان فقيهاً متفنناً وله باع طويل في الفرائض وتوفى في تنبكتو في السودان الغربي عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦م(٤). وهو من بيت فقه وخطابة حيث كان أبوه فقيهاً(٥).

وذكر السخاوي أن أحمد ابن الرصافي الغرناطي (ت٨٩٧هـ/١٤٩٢م) الذي نزل مكة ومات فيها كان له إلمام أو معرفة بالفقه وتصور جيد له وقد عرف عنه تقواه وديانته فأكثر من الطواف والقيام وتلاوة القرآن، بل قيل أنه لم يكن ينام

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ذيول العبر في خبر من غبر، ٤جـ، تحقيق أبو هاجر بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، جـ٤، ص١٣٦. وسيشار له تالياً: الذهبي، ذيول العبر؛ عبد القادر محمد النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ٢جـ، أعد فهارسه ابراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، جـ٢، ص٥.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٢٦٢.

(٣) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٨٧؛ ابن الجزري، غاية النهاية، جـ١، ص١٦٨؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٣، جـ٢، ص٣٦٨-٣٦٩؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٤٠٦-٤٠٧؛ السخاوي، تراجم مغربية واندلسية، ص٢٥٣؛ السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ص٤٥٦.

(٤) المقري، نفح الطيب، م٢، ص١٩٤.

(٥) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٣٢.

الليل[1].

ومن فقهاء الأندلس الذين دخلوا غرناطة وسكنوا فيها وساهموا في نشاطاتها الفقهية ثم رحلوا خارجها محمد بن خطاب الغافقي (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م) الذي كان له مشاركة في أصول الفقه وقد ورد على غرناطة واشتغل في الكتابة السلطانية لفترة ثم انتقل إلى مرسية ثم تلمسان واستعمل كذلك في الكتابة لسلطانها أبي يحيى بن زيات وبقي هناك حتى وفاته[2].

ومنهم محمد بن أحمد التجيبي (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) ابن قاضي الجماعة في قرطبة الذي اتجه إلى دمشق وسكنها وتسلم منصب الإمامة بالزاوية المالكية بالجامع الأموي لكنه رفض منصب قاضي قضاة المالكية بدمشق. ولكن قصته تختلف عن غيره فقد ورث ثروة كبيرة جداً فتعرض إلى نكبة من السلطات الحاكمة إذ بعد أن سكن بغرناطة استولى سلطانها على أمواله فمثلاً أخذ منه في دفعة واحدة عشرين ألف دينار وأتلف له كتب قيمة في مجال الفقه والحديث واللغة[3]. ولم تشر المصادر إلى سبب هذه النكبة.

٤- التصوف :-

لم ترد كلمة التصوف أو الصوفي في القرآن الكريم، وقد أكد ذلك السهروردي في كتابه عوارف المعارف[4]. وتطرق الكثير من القدامى والمحدثين إلى معنى التصوف فابن خلدون يقول في التصوف أن "هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة...وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها...و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"[5]. فلما كثر الاقبال على الدنيا منذ القرن الثاني الهجري سُمي المقبلون

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، م١، جـ٢، ص٦٣.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٤٢٦.

(٣) ابن حجر، الدرر، طبعة بيروت، جـ٣، ص٢١٣.

(٤) عبد القاهر بن عبدالله السهروردي، عوارف المعارف، ط١، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص١٨.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، م٣، ص٥٩.

على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة(١). ويقول أبو نصر الطوسي : أن الصوفية نسبوا إلى لبس الصوف*، ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم، كنسبة أصحاب الحديث إلى الحديث، ونسبة الفقهاء إلى الفقه، لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء وشعار المساكين المتنسكين(٢). ويقول ماسينيون في الصوفي "من كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفياً"، ويقول مصطفى عبد الرزاق : أطلق لفظ الصوفي والمتصوف بادئ الأمر مرادفاً الزاهد والعابد بأمر الله ومتبع أحكام الشريعة، فإن من مظاهره الفقر والزهد ولبس الصوف(٣).

وكان محمد بن عبدالله بن مسرة (٣١٩هـ/٩٣١م) أول من مزج علوم الدين والفلسفة والصوفية في الأندلس فظهرت مدرسة سميت بمدرسة ابن مسرة وتتلمذ على يديه كثيرين، لكنه ظهر لهذه المدرسة خصوم اشتدوا في مهاجمة آراء بن مسرة واتهمه بعضهم بالزندقة واحرقت كتبه(٤). وقد تجلى التصوف في الأندلس بشخصية محي الدين ابن عربي (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، الذي كان مكثراً من المؤلفات الصوفية مثل "فصوص الحكم"، و "الفتوحات المكية"(٥). ومن أشهر

---

(١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

* يقول محققا كتاب اللمع هنالك اختلاف في نسبة الصوفية فبعضهم ينسبها إلى الصوف، وبعضهم يرجعها إلى الصفا، وآخرون يرجعونها إلى الصفاء. أبو نصر عبد الله السراج الطوسي، اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور، نشر دار الكتب الحديثة، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠، حاشية ٤٠. وسيشار له تالياً : الطوسي، اللمع.

(٢) الطوسي، اللمع، ص٤٠-٤١.

(٣) ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، "التصوف"، دائرة المعارف الاسلامية، م٥، ص٢٦٥-٢٧٩.

(٤) أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله بن خاقان بن عبدالله القيسي الاشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط١، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣، ص٢٨٦-٢٨٧؛ المقري، نفح الطيب، م٣، ص٥٥٦؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص٣٢٦-٣٣٢.

(٥) المقري، نفح الطيب، م٢، ص١٦١؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص٣٧١، ٣٧٦-٣٧٧.

تلاميذ ابن عربي عبد الحق بن سبعين الأندلسي (ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م) [١].

وشهد مجتمع غرناطة حركة زهد وتصوف ويبدو أنه قد ساعد على ازدهار هذه الحركة قدوم مهاجرين من المشرق، إذ يذكر ابن بطوطة بأنه قد شاهد بغرناطة عدداً من الصوفية والذين يسميهم بفقراء العجم ذكر أسماءهم وكانوا قد وردوا اليها من سمرقند وتبريز وقونية وخراسان والهند[٢].

ويأتي في مقدمة الصوفية في غرناطة محمد بن عبدالله الأشعري أبو عبدالله المحروق الذي استطاع تجديد رسوم التصوف في غرناطة حيث بنى رباطاً في ضواحيها ازداد فيه نشاط التصوف في عهده وفي عهد حفيده من بعده الصوفي علي بن أحمد المعروف بالمحروق الذي وضع كتباً عدة في التصوف وتولى مهمة الرباط المنسوب إلى جده كما ذكرنا سابقاً[٣].

ولابن الزبير نشاط أيضاً في مجال التصوف حيث ألف كتاباً سماه "ردع الجاهل في اعتساف المجاهل" وهو كتاب في الرد على الشوذنية* الصوفية الحلاجية** [٤]. وقد أثنى عليه ابن الخطيب ووصفه بأنه "كتاب جليل ينبئ عن

---

(١) المقري، نفح الطيب، م٢، ص١٩٦-٢٠٤، بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص٣٨٦-٣٨٧.

(٢) شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار، ٥م، تحقيق عبدالهادي التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٧، م٤، ص٢٢٦. وسيشار له تالياً : ابن بطوطة، رحلة.

(٣) ص٦٩-٧٠ من فصل التعليم والمؤسسات التعليمية.

* فرقة من فرق الصوفية عرفت في المغرب ونسبها لمحمد الشوذي الأشبيلي دفين تلمسان. ابن الخطيب، الإحاطة، م١، حاشية ص١٩٠.

** الحلاجية نسبة إلى الحسين بن منصور الحلاج الشهير الذي قتل سنة (٣٠٩هـ/٩٢٢م) من قبل الوزير حامد بن العباس في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله أبو الحسن علي بن أبوالكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين، الكامل في التاريخ، ٩م، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، م٧، ص٤-٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، م٢، ص١٤٠-١٥٧؛ الحلاج،ديوان الحلاج، صنعه وأصلحه كامل الشيبي، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٤؛ حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية، ٢جـ، ط٥، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥، جـ٢، ص٢٢٠-٢٢٢. وللماسينيون اهتمامات كثيرة بالحلاج، انظر له مثلاً : مادة الحلاج، دائرة المعارف الاسلامية، م٨، ص١٧-١٨.

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٩٠؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤٢.

التفنن والاطلاع"[1]. لكن ابن عبد الملك المراكشي انتقده وقال عنه أن فائدته قليلة والعلم الذي يتضمنه لا ينفع[2]، وله ارجوزة في الرد على المذهب الشوذي الحلاجي واجهت هي الأخرى انتقاداً لاذعاً من قبل معاصريه، ويبدو أن الانتقاد كان منصباً على رداءة النظم، إذ عرف عن ابن الزبير رداءة نظمه، والذي اعترف به ابن الزبير نفسه. لكن المراكشي رغم قسوته على ابن الزبير في هذا المضمار وإعطائه صورة مغالية لانتقاده لكتابه وأرجوزته في رده على الشوذية فإنه يعزو ذلك إلى أن كل انسان معرض للخطأ[3]. بينما نجد ابن الخطيب يخالف ما ورد عن المراكشي ويشيد بكتاب "ردع الجاهل"[4] كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

تألق عصر مملكة غرناطة بظهور شخصية أدبية علمية ذاع صيتها في غرناطة ومملكتها، وطغت شهرتها على سلاطين بني الأحمر أنفسهم، وذلك لما تركت هذه الشخصية من مؤلفات ألا وهي شخصية أبي عبدالله لسان الدين محمد بن عبدالله بن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٥م). ثم تجاوزت شهرته الأندلس إلى المغرب، بل إن شهرته توالت على العصور. وإذا تركنا الترجمات الذاتية التي كتبها ابن الخطيب عن نفسه[5]. فإن المؤرخين القدامى والمحدثين انبروا إلى التعريف به ودراسة شخصيته وأثاره فمن القدامى الذين ترجموا له صديقه ابن خلدون[6]. و ابن الأحمر[7] و ابن حجر[8] والمقري الذي كان معجباً به أيما إعجاب، فألف فيه ولأجله كتابه الشهير "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"[9]. أما الدارسون من مستشرقين وعرب

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٩٠.

(٢) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٥.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٩٠.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٣٨ وما بعدها.

(٦) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٤٤٠-٤٥٠.

(٧) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص٥٨-١١٠.

(٨) ابن حجر، الدرر، جـ٤، ص٨٨-٩٣.

(٩) المقري، نفح الطيب، م١، ص١٥، مقدمة المحقق.

والذين أنبروا لدراسة ابن الخطيب وتراثه وتحقيق ذلك فعددهم كثير جداً. وسيذكر نتاجه كل في موضعه.

أما أثره كمتصوف فيظهر من خلال ما ورد من آراء في كتابه "روضة التعريف بالحب الشريف" الذي أثار ضجة ضد الصوفية ويقال أنه راح ضحيته لأنه يذكر فيه مذهب الوحدة المطلقة التي تجيز القول بالحلول والاتحاد، وغير ذلك من أقاويل تنسب إلى الزندقة والالحاد. ويعلق محقق الكتاب على ذلك بعد أن يستعرض فتاوي علماء الدين في التصوف والمتصوفة فيقول : اعتقد أن ساحة ابن الخطيب بريئة، وأن اتهامه بالكفر كان اتهاماً دون دليل وأن السياسة كانت مسؤولة عن تلك الجريمة[1]. ولعل ما يبرئ ابن الخطيب من تهمة الزندقة والالحاد ما تضمنه قوله في شرف التاريخ الوارد في كتابه أعمال الاعلام من التأكيد على التصرف وفق أحكام الشريعة الاسلامية واهتمامه بالسيرة النبوية وحديث الرسول (ص) الذي أصبح فيما بعد أحد الأصول التي قامت عليه الشريعة الاسلامية، وتأكيده أيضاً على معرفة تاريخ رجال الحديث وما رافقه من علم التعديل والتجريح، ثم يقول وإذا لم يكن لعلم التاريخ من الشرف إلا هذا لكفى[2].

ويورد عبدالقادر أحمد عطا عبد الستار محقق كتاب "روضة التعريف بالحب الشريف" رأياً أكثر تطرفاً فيقول أن الشيء الذي لا يعرفه أكثر الدارسين هو انه كان متصوفاً أكثر منه شاعراً وأديباً كما يظهر ذلك من خلال كتابه "روضة التعريف بالحب الشريف"[3] الذي قال عنه الباحث نفسه أنه يعد من أمهات الكتب

---

(١) لسان الدين بن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق وتعليق وتقديم عبد القادر أحمد عطا عبد الستار، دار الفكر العربي، دار العهد الجديد للطباعة، د.ت، ص١٢، ٣٣، ٣٧. وسيشار له تالياً : ابن الخطيب، روضة التعريف.

(٢) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم ٨٠٤ لوحة (٣، ٤) نقلاً عن كتاب محمد عبدالله عنان، لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، ط١، نشر مكتبة الخانجي، مطبعة الاستقلال الكبرى، د.م، ١٩٦٨، ص٣٧٤. وسيشار له تالياً : عنان، لسان الدين بن الخطيب.

(٣) ابن الخطيب، روضة التعريف، ص١٣ مقدمة المحقق.

التي تعرضت لمعين التصوف الأول وهو الحب الالهي، والذي يتجلى فيه الذوق الأدبي الرفيع مع الذوق الروحي العميق(1).

ويذكر ابن الخطيب في رسالة وجهها سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٨م إلى صديقه ابن خلدون أن سبب تأليفه هذا الكتاب أنه أراد أن يعارض به "ديوان الصبابة"لابن أبي حجلة فيقول "فصدرت تقاييد وتصانيف.... منها أن كتاباً رفع إلىالسلطان في المحبة من تصنيف ابن أبي حجلة من المشارقة، أشار الأصحاب بمعارضته، فعارضته، وجعلت الموضوع أشرف، وهو محبة الله، فجاء كتاباً ادعى الأصحاب غرابته"(2). ويقول في مقدمة كتابه "روضة التعريف بالحب الشريف" : "وقد ذهبت في ترتيبه أغرب المذاهب"(3). ويعلق محقق الكتاب فيقول "ومنهج الكتاب غريب في بابه، فهو منهج لم يتفق لمؤلف قبله، ويعتبر بحق خطوة في سبيل التجديد الصوفي لم يسبق إليها"(4).

ويعلق عصام قصبجي على ما جاء على لسان لسان الدين بن الخطيب وهو يناجي صديقه ابن خلدون بما يعتلج في نفسه من الآلام "اعلموا أني قد بلغ بي الماء الزبى واستولى علي سوء المزاج المنحرف.... ولولا أنني بعدكم شغلت الفكر بهذا التأليف مع الزهد.... وآخر ما صدر عني كناش سميته استنزال اللطف .... وعلى كتابي في المحبة" بأنه أخذ يؤلف في التصوف أبان أزمته الروحية، وأنه وضع سفره الضخم "روضة التعريف بالحب الشريف" وهو الذي يدعوه بكتاب المحبة، ولعل في هذا ما يوحي بوجود علاقة – على نحو ما – بين أزمته النفسية وبين نزوعه المتناحي إلى عالم التصوف(5).

ومن الجدير بالذكر أن الكتاب الذي ألفه عصام قصبجي والمعنون "لسان الدين بن الخطيب" قد خصصه عن التصوف عند ابن الخطيب فتكلم عن التراث

---

(1) المصدر نفسه، ص١٢، ٣١، مقدمة المحقق.

(2) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٥٧٢.

(3) ابن الخطيب، روضة التعريف، ص٢٩، مقدمة المحقق.

(4) المصدر نفسه، والصفحة نفسها، مقدمة المحقق.

(5) قصبجي، لسان الدين بن الخطيب، ص٥٩-٦٠، مقدمة المحقق.

الصوفي في الأندلس وشيوخه في التصوف والنزعة الصوفية في شخصية ابن الخطيب متضمناً : حقيقتهما وملامحهما وعلاقتهما بالاتجاه الصوفي السائد، وموقف لسان الدين من الاتجاهات الصوفية، ورأيه في المسائل الصوفية الكبرى وهي : الاتحاد والحلول، ووحدة الوجود والوحدة المطلقة، ونظرية المعرفة، والوصول بين النظر والعمل، والشريعة بين الخواص والعوام والظاهر والباطن، والنبوة والولاية والحقيقة المحمدية، والمحبة الالهية، والاتباع والابداع في مذهب لسان الدين، والمدائح النبوية وشعره الصوفي(١).

أما "استنزال اللطف الموجود في سير الوجود" فهي رسالة صغيرة في التصوف(٢).

وكان الصوفي علي بن علي بن عتيق بن عبد العزيز الهاشمي المعروف بالقرشي من أهل غرناطة (ت٧٤٤هـ/١٣٤٣م) مداوما على المطالعة محبذاً للخلوة مولعاً بطرق الصوفية، وصنف في التصوف كتاباً سماه "مطالع أنوار التحقيق والهداية"(٣).

وساهم أبو عبدالله عتيق التجيبي الغرناطي المعروف باللاردي في حركة التأليف، إذ ألف العديد من الكتب في الحديث وعلم الكلام وكذلك في التصوف وفي هذا الاخير له كتاب "المسالك النورية في المقامات الصوفية"(٤).

وسلك الفقيه ابراهيم بن محمد النفزي الغرناطي مسلك الصوفية وألف كتباً في طريقة التصوف وغيرها يصفها ابن فرحون بأنها مفيدة منها مواهب العقول

---

(١) ينظر المرجع نفسه.

(٢) لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٢م، حققه ووضع مقدمته وشواهده محمد عبدالله عنان، ط١، الناشر مكتبة الخانجي، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٠، ص٥٢-٥٣. وسيشار له تالياً : ابن الخطيب، ريحانة الكتاب؛ عنان، لسان الدين الخطيب، ص٢٦٦.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٩٧-٢٠٠؛ البشتكي، مركز الإحاطة، مخطوط، ورقة رقم ٢٠٧ب؛التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٩٥.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص١٤٣٦.

وحقائق المنقول، والغيرة المذهلة عن الحيرة، والتفرقة والجمع، والرحلة المعنونة[1]. وله عدة قصائد في التصوف منها هذين البيتين :-

بحق من خلق الانسان من علق   انظر إلى رقعتي وافهم معانيها
إني فقير ومسكين بلا سبب   سوى حروف من القرآن أتلوها[2]

وكان النشاط الأكبر لمحمد الساحلي المعروف بالعمم (ت٧٥٤هـ/١٣٥٣م) في مجال التصوف إذ ألف "إرشاد السايل لنهج الوسايل" و "بغية السالك في أشرف المسالك"، و "أشعة الأنوار في الكشف عن ثمرات الأذكار"، و "النفحة القدسية"[3].

وتخرج على يد الساحلي الصوفي محمد بن الأنصاري الغرناطي المشهور بالصناع (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) وسار التلميذ وفق طريقة استاذه. وكان للصناع طمع في الصناعة الكيماوية لكي يستعين بها على حد زعمه في تحقيق أماله الخيرية، إلا أنه لم يوفق في الوصول إلى ما كان يهدف إليه[4]. وكان محبباً إلى أهل الثغور كثيري الثقة به والولاء له يقوم بالرحلة إلى حصونهم فيتجمعون حوله كتجمع النحل على اليعسوب على حد قول ابن حجر، ويؤتون إلى مكان إقامته ويتنافسون في حرث أرض كان يزرعها[5].

ومن متصوفة أهل غرناطة أيضاً حقاف السلمي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) الذي درس في غرناطة على كبار علمائها. والتقى بكبار علماء الصوفية في المشرق أمثال الشيخ الامام تاج الدين بن عطاالله في دمشق وتاج الدين أبو العباس المرسي الذي كان ملازماً للصوفي الشهير أبي الحسن الشاذلي. ويبدو أن طريقة الشاذلي الصوفية انتقلت بواسطة استاذه أبي العباس المرسي، إذ كان ابن حقاف المذكور ينهج طريقة الشيخ الشاذلي الصوفية. ثم أصبح محط أنظر الطلبة من أقطار شتى.

---

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٩١؛ بنمنصور، اعلام المغرب، جـ١، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٩١.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٩٣.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٢٩-٢٣٠؛ ابن حجر؛ الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٣٨١؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٠٧.

(٥) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٣٨١.

وله رسائل اليهم يحثهم فيها على الالتزام بمكارم الأخلاق والسير وفق طريقته كما ألف لهم كتاباً سماه "الأنوار في المخاطبات والأسرار" تضمنت جملة من كلام شيخه تاج الدين المرسي والشاذلي إضافة إلى كرامات بعض الأولياء وذكر الموت وفضائل القرآن[١].

وشارك الرحالة الكاتب الشاعر الفقيه ابراهيم بن الحاج النميري الغرناطي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٦م) في الكتابات الصوفية من خلال تأليفه كتاب "اللباس والصحبة" وهو الذي جمعت فيه طرق المتصوفة المدعي أنه لم يجمع مثله[٢].

ومن المتصوفين الاندلسيين الذين دخلوا غرناطة أبو الحسن الششتري (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م) من قرية ششتر الاندلسية فدخلها ونزل برابطة العقاب فيها وكانت له عدة مؤلفات منها في مجال التصوف ككتاب : "العروة الوثقى"، وكتاب "المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية"[٣].

وكان الكاتب والفقيه أبو جعفر أحمد المعروف بابن صفوان المالقي (ت٧٦٣هـ/١٣٦٢م) الذي تولى الكتابة لدى كل من السلطان الثاني محمد المعروف بالفقيه والسلطان الخامس أبو الوليد اسماعيل بن فرج - ولعاً بالتصوف والألهيات. ترجم له تلميذه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة وقال فيه "مشارك في الفلسفة والتصوف، كلف العلوم الالهية، آية الله في فك المعمى"[٤]، وقال عنه في كتابه الآخر أوصاف الناس "فالتصوف مجاله وفي غرضه رويته وارتجاله"[٥]. وله مؤلفات يظهر فيها المنحى الصوفي منها "مطالع الانوار الإلهية"، و "بغية المستفيد"[٦].

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٣٤-٢٣٦.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٣٤٧؛ المقري، نفح الطيب، م٧، ص١٠٩؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٤٥؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص١٧.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٠٥-٢٠٧؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص١٨٥-١٨٧.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٢١-٢٢٣.

(٥) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٦٣.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٢٣.

وقد انجبت اسرة ابن صفوان صوفياً آخر هو محمد بن أحمد بن حسين بن صفوان المالقي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي دخل غرناطة ونال حظوه عند سلطان غرناطة السابع أبي الحجاج يوسف الأول ويبدو أن للسلطان المذكور اهتمامات صوفية حيث طلب منه أن يؤلف كتاباً في التصوف والكلام على اصطلاح القوم وقد كان الكتاب متداولاً بين بعض شيوخ غرناطة كابن الجياب الذي كانت له تعليقات عليه كتبها بخطه على ظهر الكتاب(١).

وبرز في غرناطة بعض الصوفيين ولكن لم تشر المصادر إلى مؤلفات لهم في التصوف منهم فضل بن محمد بن فضيلة المعافري (ت٦٩٩هـ/١٣٠٠م) (٢) وقد قال عنه ابن الخطيب "كان ولياً فاضلاً زاهداً ... صوفياً محققاً، انتهت إليه الرياسة في ذلك على عهده، بدل ذلك كلامه على أغراض القوم، وكشفه عن رموزهم وإشارتهم" وقد تولى الخطابة والإمامة بالمسجد الأعظم بغرناطة(٣).

ويعد ابن سلمون الكناني المتوفى في معركة طريف عام ٧٤١هـ/١٣٤١م من الذين سلكوا طرق الصوفية الذي رحل إلى فاس وهنالك التقى بالشيخة الصوفية والأديبة الشاعرة سارة الحلبية التي أجازته وألبسته خرقة التصوف(٤).

ومن صوفية الأندلس الذين دخلوا غرناطة ومن المحتمل أنهم شاركوا في النشاط الصوفي فيهما ابراهيم بن عبدالله بن سعد الغرناطي السبتي الأصل الذي استخدم الشعر في التعبير عن الأغراض الصوفية ومن ذلك قوله :

أتيناك بالفقـــر لا بالغنى　　　وأنت الذي لم تزل محسنا

وعودتنا كل فضل عسى　　　تديم الذي منك عودتنـــــا(٥)

وذكر ابن القاضي شخصية صوفية أندلسية، كان لها نشاطها داخل الأندلس

---

(١) المصدر نفسه، م٣، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٥٦؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢٦٣.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطـــة، م٣، ص٤٠٢-٤٠٤؛ ابـن القـاضي، جـذوة الاقتبـاس، جـــ٢، ص٤٣٤، ٤٣٥.

(٥) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٣٠.

وخارجها هي محمد البكري المعروف بابن الحاج (ت٧١٥هـ/١٣١٥م)، فعند رحلته لأداء فريضة الحج اتصل بالمشرق بجماعته من مشايخ الصوفية. وكان له اهتمام بلقاء الصالحين وحفظ اخبارهم وحكاياتهم وكراماتهم وانخرط في سلك فريقهم الصوفي من أمثال الشيخ الولي الزاهد بن مكنون. وأضاف ابن القاضي أن من كراماته أنه تمكن من الخروج بسلامة من المرية إلى العاصمة غرناطة بحراً أثناء حصارها من قبل برشلونة الاسبانية، موفداً من قبل أهل المرية طالباً النجدة والمساعدة من غرناطة(١).

ومن علماء المغرب الذين دخلوا غرناطة وتتلمذوا على كبار علمائها محمد بن قطرال الانصاري (ت٧٠٩هـ/١٣١٠م) وهو صوفي مراكشي دخل غرناطة بدعوة من أحد علمائها وهو أبو الحسن بن فضيلة وقد عرف بأنه كان فاضلاً صوفياً زاهداً في الدنيا ذو خلوة متبرعاً بثروته. وكان قد درس على كبار علماء غرناطة(٢).

ومن أواخر من وفد على غرناطة من المغاربة عشية سقوطها الفقيه الصوفي علي بن قاسم التجيبي المشهور بالزقاق (ت٩١٢هـ/١٥٠٦م) الذي دخل غرناطة وتتلمذ على عالمها الصوفي المواق وغيره، وتولى الخطابة في جامع الأندلس على حد قول التنبكتي(٣)، ويبدو أنه يقصد المسجد الأعظم بغرناطة.

ولم يقتصر وفود صوفية الأندلس والمغرب على غرناطة و أنما دخلها أيضاً بعض المتصوفة من المشرق كان لهم نشاط فيها فمن الصوفية الوافدين من المشرق محمد بن أحمد العراقي الفارسي الملقب بجلال الدين وقد وصف بأنه من الصوفية المتجردين من المال والعيال. تتلمذ في المشرق على الشيوخ المحدثين والمتصوفين قدم إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق إلى الأندلس عام ٧٠٤هـ/١٣٠٥م فأخذ عمن بها من الشيوخ ثم دخل غرناطة وكان قد لبس الخرقة

---

(١) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٦٧-٦٨.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢١١.

الصوفية من صوفية بالمشرق والمغرب مثل الما جرى عن أبي محمد الصالح عن أبي مدين. وكان شافعي المذهب ويقرض الشعر في مجلس الوزارة الحكيمية نال استحسان الوزير الغرناطي الملقب بالحكيم[1].

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٦٨-٢٦٩.

الفصل الخامس
العلوم اللغوية والأدب

١- اللغة.
٢- النحو.
٣- النثر.
٤- الشعر.

من المعروف أن دراسة العلوم الدينية تتطلب معرفة اللغة العربية وعلومها فعلوم القرآن من قراءات وتفسير، وعلم الحديث النبوي الشريف لا يستغني دارسها عن معرفة اللغة العربية ولهذا أشار ابن خلدون إلى أنه لما اختلط العرب بالعجم وفسدت لغتهم، خاف العلماء من أن يؤدي ذلك إلى صعوبة فهم ما جاء في القرآن الكريم والحديث، فبرزت الحاجة إلى دراسة اللغة والنحو[١].

١- علم اللغة :-

يعرف ابن خلدون علم اللغة بأنه بيان الموضوعات اللغوية وذلك لأنه لما فسدت ملكة اللسان العربي وازداد الفساد نتيجة الاحتكاك بالعجم ومخالطتهم وصل ذلك الفساد الى اللفظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه فظهرت الحاجة الى حفظ الموضوعات اللغوية والتدوين فألفت الكتب في ذلك[٢]. أما طاش كبرى زاده فيعرف علم اللغة بأنه علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات، وهيئاتها الجزئية وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني. والوقوف على ما يفهم من كلام العرب. ومنفعته الإحاطة بهذه المعلومات. وطلاقة العبارة وجزالتها والتمكن من التفنن في الكلام وايضاح المعاني بالبيانات الفصيحة والأقوال البليغة[٣].

ومن علماء اللغة في هذه الفترة العالم ابن الزبير الذي قام بتعليم اللغة العربية[٤]، وانتهت إليه الرياسة بالأندلس في صناعة العربية[٥]. ونقل ابن حجر عن تلميذه ابي حيان الغرناطي قوله "كان محرر اللغة وكان أفصح عالم رأيته"[٦]

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، م٣، ص٢٨٠-٢٨١.

(٢) المصدر نفسه، م٣، ص٢٨٣.

(٣) أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت، م١، ص١٠٠-١٠١.

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٤.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٨٩.

(٦) ابن حجر، الدرر، جـ١، ص٨٩.

كما عد إماماً في اللغة والنحو[١]. وألف كتاباً علق فيه على كتاب سيبويه في النحو[٢]. ويقول أحد الباحثين أن شهرته في اللغة العربية فاقت ما عداها[٣].

ولم تكن نشاطات أبو حيان الغرناطي في القراءات والتفسير والنحو والشعر فقط بل كان لنشاطه اللغوي أثر واضح خاصة من خلال مؤلفاته في هذا المجال، فقد ألف رسالة بعنوان "الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء"[٤]. وهي تلخيص لرسالة ابن مالك المسماة "الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد"[٥] والرسالة مطبوعة[٦]. ومن كتبه المطبوعة التي سبقت الإشارة إليها في موضوع التفسير "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" ويقول فيه أبو حيان هناك " قسم يختص بمعرفة من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسموه : غريب القرآن ". رتبه على حروف المعجم[٧]. واقتصر المؤلف على ذكر المعنى اللغوي وما يتعلق بالمعنى القرآني مباشرة، ولم يشر إلى الآية التي وردت فيها الكلمة من القرآن الكريم[٨].

ومن الجدير بالذكر أن أبا حيان الغرناطي لم يكن عالما من علماء اللغة العربية فحسب، بل كان متبحراً في اللغات غير العربية، وقد ترك لنا كتباً في عدة

---

(١) اليماني، إشارة التعيين، ص٢٤.

(٢) اليماني، إشارة التعيين، ص٢٤؛ السيوطي، بغية الوعاة، م١، ص٢٩٢.

(٣) عبدالقادر رحيم الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، دار القادسية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص٣٠٦. وسيشار له تالياً : الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي.

(٤) الصفدي، نكت الهميان، ص٢٨٣؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٥٥٢.

(٥) ابن هشام الانصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٥٦.

(٦) طبعت هذه الرسالة بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين بمطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦١، ابن هشام لأنصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٥٦، مقدمة المحقق؛ أبو حيان الأندلسي، تحفة الأريب، ص٣٠، مقدمة المحقق، أبو حيان، ديوان، ص٣٢، مقدمة المحقق.

(٧) أبو حيان، تحفة الاريب، ص٤٠.

(٨) المصدر نفسه، ص٣٥ مقدمة المحقق.

لغات، حيث ألف في اللغة التركية ونحوها ثلاثة كتب الأول مطبوع، والثاني والثالث مفقودان وهي : "الإدراك للسان لأتراك"[1]، و "الأفعال في لسان الترك"، و"زهو الملك في نمو الترك". وله كتاب في اللغة الفارسية بعنوان "منطق الخرس في لسان الفرس، وآخر في اللغة الحبشية بعنوان "نور الغبش في لسان الحبش"، و"المخبور في لسان اليخمور" وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة في عداد المفقودات[2].

وذكرت المصادر لغويين غرناطيين ساهموا في النشاط اللغوي في غرناطة لكنها لم تذكر لهم مؤلفات منهم عبدالله الانصاري المعروف باللقي (كان حياً سنة ٧٠١هـ/١٣١٠م) وكان بصيراً باللغة العربية. وعرف عنه أنه كان يستظهر بعض كتب النحو واللغة مثل : مختصر ابن حاجب (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) في النحو وغيره، وكان قد رحل إلى المشرق وأخذ عن جمع وافر من الشيوخ ثم عاد إلى غرناطة[3].

وكان لابن مسمعور شأن كبير في العربية حيث درس العربية على العديد من علماء غرناطة مثل الطراز والمقرئ ابن الكواب وغيرهما[4].

ومنهم محمد بن بيبش العبدري الغرناطي إذ كان متضلعاً في اللغة قضى عمره في دراستها وكان قد قرأ على كبار علماء غرناطة مثل ابن الزبير، وابن رشيد، وابن الكماد. وكان قد رحل إلى سبتة ثم رجع إلى غرناطة بناءً على

---

(١) أبو حيان، تحفة الأريب، ص٣٠، مقدمة المحقق، أبو حيان، ديوان، ص٣٢، خير الدين الزركلي، الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ٨جـ، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩، جـ٧، ص١٥٢. وسيشار له تالياً : الزركلي، الاعلام.

(٢) المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٧، ص٥٠٦-٥٠٧؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٥٥٢-٥٥٣؛ الشوكاني، البدر الطالع، جـ٢، ص٨٩؛ أبو حيان، تحفة الاريب، ص٣٠-٣٣، مقدمة المحقق؛ أبو حيان، ديوان، ص٣٢، مقدمة المحقق.

(٣) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٤٦.

(٤) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٣١.

استدعاء لسان الدين بن الخطيب للتدريس فيها(1).

وعرف عن الشاعر الأديب علي الخزرجي الساعدي نشاطاته العلمية في انكبابه على دراسة بعض الكتب المختلفة الاختصاصات منها "كتاب المتحفظ" في اللغة لمؤلفه ابراهيم بن اسماعيل الاجدابي (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) (2).

ومن الاساتذة البارعين في اللغة العربية والضابطين لها بدقة محمد النمري الضرير الذي كان يستحضر الشواهد من كتاب الله وخطب العرب واشعارها بعيد القرين في ذلك(3).

ولم تقتصر معرفة المقرئ والمحدث الحفار على علوم القرآن والحديث بل كان بارعاً باللغة العربية التي درس كتبها، فهذا تلميذه المجاري يذكر دراسته لفصيح ثعلب* على يديه، إذ يقول "وفصيح ثعلب عرضت عليه جميعه عن ظهر قلب وحدثني به عن.... ابن جزي" ذاكراً الاسانيد إلى ثعلب(4).

وبرز في غرناطة في القرن التاسع الهجري عالم متبحر في أكثر من علم وخاصة اللغة العربية هو ابراهيم بن فتوح الغرناطي (٨٦٧هـ/١٤٦٣م) وقد تتلمذ على يده طلبة صاروا فيها من أبرز أعلام الاندلس والمغرب منهم ابن عاصم وابن الازرق صاحب بدائع السلك في طبائع الملك وأبو عبدالله الراعي شارح ألفية ابن مالك والقلصادي الذي أثنى عليه في رحلته، الذي سيأتي التعريف بهم لاحقاً كل في مجال اختصاصه. وكان ابن فتوح كثير الاعتناء بدراسة كتاب

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٧-٢٨؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٣٩؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٣٣٨؛ المقري، نفح الطيب، م٦، ص٢٤٤.

(٢) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢١٣-٢١٤.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ص٣١-٣٢.

* ثعلب هو أبو العباس أحمد بن يحي بن زيد بن سيار النحوي الشيباني كان إمام الكوفيين في النحو توفى عام (٢٩١هـ/٩٠٤م) وله عدة مؤلفات منها كتاب "الفصيح". أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الاعيان وانباء الاخبار ابناء الزمان، ٨م، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، م١، ص١٠٢-١٠٤. وسيشار له تالياً : ابن خلكان، وفيات الاعيان.

(٤) المجاري، برنامج المجاري، ص١١٤.

سيبويه. ولعلو منزلته العلمية عند سلاطين بني الأحمر خرج السلطان أبو الحسن علي بن سعد وكبار رجال الدولة مشيعين جنازته عند وفاته بغرناطة عام ٨٦٧هـ/١٤٦٣م[١].

ومن علماء اللغة العربية في غرناطة أيضاً محمد بن علي البلنسي الغرناطي الذي كان ماهراً بها ومتقناً لها بليغاً حسن الالقاء والكتابة[٢].

ومن العلماء المالقيين المترددين على غرناطة محمد بن علي الانصاري المعروف بابن قرال (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) المالقي الأصل. وقد دخل ابن قرال غرناطة وقرأ بها وأتقن فن العربية اتقاناً بالغاً[٣]. ومنهم كذلك أحمد بن عبد الحق الجذلي (ت٧٦٥هـ/١٣٦٤م) الذي كان حاذقاً في أكثر من علم يأتي في مقدمتها تضلعه باللغة العربية، حائز قصب السبق فيها مع براعة في الخط وقيام على قراءة القرآن وغيرها من العلوم كالطب والأصول والأدب[٤]. وعالم من هذا النوع لا بد أن يكون له دور في الحركة العلمية والثقافية بصورة أو بأخرى.

٢- النحو :-

اللغة العربية ملكة في ألسنة العرب يأخذها الآخر عن الأول، فلما ظهر الاسلام وخرج العرب من الحجاز وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة، فخاف علماء اللغة أن تفسد تلك الملكة، فاستنبطوا قوانين يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الاشباه منها بالأشباه مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب والمبتدأ مرفوع، ورأوا تغير الدلالة بتغير هذه الحركات فاصطلحوا على تسميته اعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً، واصطلحوا على تسمية كل ذلك بعلم النحو[٥]. وقد عرف علم النحو بعض الباحثين فقالوا أنه يعني أول ما يعنى بالنظر

---

(١) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٥٣-٥٤؛ القرافي، توشيح الديباج؛ ص٤٩؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٦٠.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٠٧-٢٠٨؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٧٠.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٧٥.

(٤) المصدر نفسه، م١، ص١٨٠-١٨١.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، م٣، ص٢٧٩-٢٨٠.

في أواخر الكلم وما يعتريها من اعراب وبناء ويعتني أيضاً بأمور أخرى ذات أهمية كبيرة كالحذف والتقديم والتأخير وتفسير بعض التعبيرات غير أنه يولي العناية الأولى للإعراب[1].

وحفل عصر بني الأحمر في غرناطة بأعلام كبار برعوا في الدراسات النحوية وترك بعضهم العديد من المؤلفات التي توضح ثمرة جهودهم العلمية في مجال النحو فقد ساهم العالم ابن الناظر في الدراسات النحوية درساً وتأليفاً حيث درس على أبي علي الشلوبين أكثر كتاب سيبويه[2]، وألف "شرح الجمل الكبيرة للزجاجي" في النحو[3].

كما وصف النحوي واللغوي علي بن محمد الكتامي المعروف بابن الضائع المتوفى في غرناطة سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) بأنه نحوي ماهر[4] وأنه إمام في العربية[5] وله جهود كبيرة في هذا المجال منها تعليقاته على كتاب سيبويه، ومحاولته الجمع والتوفيق بين شرحي السيرافي (ت٣٦٨هـ/٩٧٩م) وابن خروف (ت٦٠٩هـ/١٢١٣م) لكتاب سيبويه. وكان له شرح على كتاب الجمل للزجاجي (ت٣٣٧هـ/٩٤٩م).وعد شرحه للجمل من باب النداء إلى آخر الكتاب في غاية الجودة. كما له نقود على كتاب المقرب لابن عصفور (ت٦٦٩هـ/١٢٧١م)[6].

وساهم أبو عبدالله الشامي (ت٧١٥هـ/١٣١٥م) في الدراسات النحوية وألف فيها كتباً منها شرح الجمل في النحو[7]، ذكر البغدادي منها كتابين هما "شرح

---

(١) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ٤جـ، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩، جـ١، ص٥، ابراهيم مصطفى، إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩، ص١.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٤٣٣-٤٤٢؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٨١-٨٢.

(٣) البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص٣١٣.

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٨.

(٥) اليماني، إشارة التعيين، ص٢٣٥.

(٦) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٨؛ اليماني، إشارة التعيين، ص٢٣٥.

(٧) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢١٤.

الجمل الصغيرة في النحو" و "شرح الجمل الكبيرة"[١].

وشارك شيخ الشيوخ الفقيه ابن لب في الدراسات النحوية من خلال قيامه على التدريس في المسجد الجامع والمدرسة النصرية بغرناطة، وتأليفه كتب في النحو مثل "شرح تصريف التسهيل في النحو" لابن مالك و "شرح جمل الزجاجي"، و كتاب "الباء الموحدة"[٢].

وقد سبقت الإشارة إلى أن كتاب "الافادات والانشادات" للشاطبي الغرناطي تناول عدة مواضيع منها ما يتعلق بالنحو واللغة العربية، مما يدل على نزعة المؤلف إلى علوم النحو واللغة بل ان الافادة الأولى الواردة في الكتاب تدور حول علم النحو[٣].

وساهم الفقيه المقرئ محمد بن محارب الصريحي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) في الدراسات النحوية وذلك من خلال شروحاته المفيدة على كتاب "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" في النحو للعلامة الكبير ابن مالك صاحب الألفية الشهيرة[٤].

وعرف عن الوليد اسماعيل بن هاني اللخمي الغرناطي تضلعه ومهارته باللغة العربية والنحو و الصرف فأصبح أستاذاً قائماً على تدريسها بعد أن كان قد درسها على النحوي الغرناطي أبي حيان. وتولى شرح بعض كتب النحو المشهورة مثل "التلقين" في النحو لأبي البقاء العكبري النحوي المتوفى عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م، و "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" لابن مالك النحوي[٥].

---

(١) البغدادي، هدية العارفين، جـ٦، ص١٤٣.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٥٣-٢٥٤؛ أوصاف الناس، ص٣٢-٣٣؛ ابن حجر، أنباء الغمر، جـ٢، ص٧٧؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥١٣؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٢٠؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص٨١٦.

(٣) الشاطبي، الافادات والانشادات، ص٨١-٨٤.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٧٨-٧٩.

(٥) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٨٧؛ ابن الجزري، غاية النهاية، جـ١، ص١٦٨؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٣، جـ٢، ص٣٦٨؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٤٠٦-٤٠٧؛ السخاوي، تراجم مغربية وأندلسية، ص٢٥٣؛ السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ص٤٥٦.

واهتم النحوي الفقيه أبو عبدالله الراعي اهتماماً كبيراً بالنحو واللغة العربية، وقد سبقت الإشارة عند الكلام عن الفقه والفتاوي أنه كان يطبق القواعد النحوية على الفتاوي الفقهية وكان يعد علم العربية من أعظم العلوم نفعاً فهو الذي يفرق بين الصحيح والسقيم من الكلام. وصنف كتباً في النحو منها شرحان للأجرومية لمؤلفها ابن أجروم الفاسي اسمى الشرح الأول "الافادة لاخوان الاستفادة" في باب النعت، والثاني "المستقل بالمفهومية بشرح ألفاظ الجرومية". كما شرح الراعي ألفية ابن مالك ويقال أن الراعي جمع اجاباته عما وجه إليه من الأسئلة المتعلقة من النحو والاعراب في كتاب سماه "الأجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية"(١) وقد ذكر المقري ان هذا الكتاب هو نفسه كتاب النوازل النحوية(٢).

وازدهرت الدراسات النحوية في غرناطة على يد محمد الخولاني المعروف بابن الفخار إذ درس عليه ابن الخطيب القرآن الكريم وكتاب الجمل والايضاح وصاحبه مدة ووصفه ابن الخطيب بأستاذ الجماعة وبسيبويه العصر و "إمام الأئمة من غير مدافع، مبرزاً إمام أعلام البصريين من النحاة. يتفجر بالعربية تفجر البحر ... قد خالطت دمه ولحمه ولا يشكل عليه مشكل....، جدد بالأندلس ما كان قد درس من لسان العرب"(٣).

وكان لأبي محمد بن عبد الله بن جزي وهو أحد الأخوة العلماء والأدباء الثلاثة الذين ساهموا في الدراسات العلمية والثقافية في غرناطة، مشاركة في علوم اللغة العربية ونحوها، إذ درس على الشريف قاضي الجماعة أبي القاسم كتاب سيبويه في النحو، وكتاب الإيضاح لأبي علي الفاسي، وكتاب التسهيل لابن مالك، وأجاز له شيخ النحاة أبو حيان الغرناطي(٤).

---

(١) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٢٩٠؛ السيوطي، نظم العقيان، ص١٦٦-١٦٧؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٦٩٤-٦٩٩؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣١٠؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٤٨.

(٢) المقري، نفح الطيب، م٢، ص٦٩٦.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٥-٣٨.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٩٣-٣٩٥؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥٤٠.

وعرف عن محمد بن علي الغافقي عناية كبيرة بالنحو حتى وصف بأنه إمام في النحو وله تحقيق فيه(١).

وكان لنحاة الأندلس الذين دخلوا غرناطة دور في نشاط الدراسات النحوية فيها منهم النحوي علي الخشني الأبدي (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م) نسبة إلى أبدة في وسط الأندلس. وكان نشاطه في الدراسات النحوية يتوضح من خلال تعليقاته على أمهات الكتب النحوية ومن خلال نشاطه التدريسي في مختلف المدن الأندلسية مثل اشبيلية ومالقة وغرناطة. فله ملاحظات على كتاب سيبويه، والايضاح، والجمل وممن درس عليه النحو في غرناطة شيخ الشيوخ ابن الزبير(٢).

وممن برع في النحو حتى فاق أقرانه أحمد بن محمد بن الحاج الاشبيلي، حتى كان يقول في كتاب سيبويه ما شاء لا يجد من يرد عليه، وله مؤلف شرح فيه كتاب سيبويه شرحاً فائقاً(٣).

أما العالم أبو عبد الله بن لب بن الضائع النحوي (ت٧٠٥هـ/١٣٠٦م) فقد درس في بلده المرية ثم انتقل إلى غرناطة ودرس اللغة العربية فيها على أبي الحسن القيجاطي لكن نشاطاته التدريسية كانت في المشرق بعد أن رحل إليه وخاصة في القاهرة إذ تولى تدريس اللغة العربية والنحو في المدرسة الصالحية*(٤). وممن درس عليه دروساً من كتاب سيبويه في غرناطة النحوي أبو حيان الغرناطي(٥).

---

(١) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٧٢.

(٢) اليماني، اشارة التعين، ص٢٣٣-٢٣٤.

(٣) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٢٦٢.

* الصالحية مدرسة في القاهرة يدرس فيها الفقه على المذاهب الأربعة بناها الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م وبدء العمل فيها سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م. تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية، ٢جـ، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، م٢، ص٣٧٤.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٤٣٣-٤٤٢؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٨١-٨٢.

(٥) اليماني، إشارة التعيين، ص٢٣٥.

ومن الجدير بالذكر أن بعض علماء سبتة قدموا غرناطة مع وفد أهل سبته المبايعين لسلطان بني الأحمر عندما الحقت سبتة بمملكة غرناطة، ومن هؤلاء الوافدين الجغرافي المعجمي الشهير محمد بن عبد المنعم الحميري الذي كانت له على ما يبدو اهتمامات لغوية ونحوية حتى وصف بأنه "لم يستظهر أحد من زمانه من اللغة ما استظهره" فكان يحفظ عن ظهر قلب معجم تاج الصحاح للجوهري، وكتاب سيبويه إضافة إلى مساهماته في علوم دينية وعقلية أخرى[1]. ولا بد أنه ساهم في النشاط اللغوي والنحوي في غرناطة.

ومن العلماء السبتيين أيضاً الذين وفدوا إلى مملكة غرناطة محمد بن هاني السبتي (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م) الذي وصف بأنه إمام في علم العربية وله مؤلفات كثيرة منها في النحو واللغة "شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" في النحو لابن مالك النحوي الأندلسي، و "أرشاد السؤال في لحن العامة" في اللغة[2].

ونجد أن مشاهير نحاة غرناطة الذين هاجروا خارجها اغنوا بنشاطهم الدراسات النحوية داخل غرناطة وكذلك المناطق التي هاجروا اليها ويأتي في مقدمتهم شيخ النحاة أبو حيان الغرناطي فقد سبقت الإشارة إليه عند الكلام في مجالات متعددة. ولعلو منزلة هذا العالم نقتطف بعض الصفات التي وصف بها من قبل المؤرخين فهذا اليماني يقول بأنه انتهت إليه رئاسة العربية في زمانه[3]. ويقول عنه الذهبي "وأما العربية فهو حامل لوائها، وقد سارت بذكره وتصانيفه ونظمه ونثره الركبان في أقطار البلدان، تخرج به أئمة"[4]. وقال عنه تلميذ الذهبي أبو المحاسن الحسني الدمشقي "الشيخ الامام العلامة المحدث البارع ترجمان العرب ولسان أهل الأدب أثير الدين الغرناطي المولد"[5]. ويقول عنه السبكي "شيخ

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٣٤-١٣٥.

(٢) المصدر نفسه، م٣، ص١٤٣-١٥٢.

(٣) اليماني، إشارة التعيين، ص٢٩٠.

(٤) الذهبي، ذيول العبر، جـ٤، ص١٣٤.

(٥) أبو المحاسن الدمشقي، ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص١٧٥.

النحاة، العلم الفرد، والبحر الذي لم يعرف الجزر، بل المد، سيبويه الزمان، والمبرد إذا حمى الوطيس بتشاجر الأقران ... ولسان العرب الذي لكل سمع لديه الإصغاء. كعبة علم تحج، ويقصد من كل فج"(١). وقال عنه الفيروز ابادي بأنه شيخ البلاد المصرية والشامية ورئيسها في علم العربية(٢). ووصفه السخاوي بأنه حامل لواء العربية(٣). كما وصفه العديد من العلماء بإمام النحاة(٤). كما أشاد تلاميذه بدوره المتميز في العديد من العلوم حيث يقول عنه تلميذه خالد بن عيسى البلوي في رحلته عند دخوله مصر "ولنطرز ذكر هذا القطر باسم سيده ووحيده شيخ الشيوخ، إمام الأئمة، قدوة الفقهاء، نخبة النحاة والأدباء ودرة العلماء الفضلاء، وحجة العرب العرباء أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي"(٥). وله مصنفات كثيرة في النحو وصل قسم منها وفقد القسم الآخر. وقد حقق قسم من الذي وصلنا وبقي الآخر مخطوطاً في خزانات الكتب. فقد حقق عبد الحسن الفتلي كتابه الموسوم بـ "النكت الحسان في شرح غاية الاحسان" وهو بمثابة شرح لكتابه الآخر الذي ألفه وسماه "غاية الاحسان في علم اللسان" وهي مقدمة في النحو والصرف للمبتدئين ضمنها أغلب أصول هذين العلمين على مذهب البصريين التي قال فيها "فقد اتحفتك أيها المبتدء في النحو بمقدمة لطيفة المنزع سهلة المشرع ضمنتها من هذا العلم أكثر أصوله

---

(١) السبكي، طبقات الشافعية، جـ٩، ص٢٧٦.

(٢) الفيروز ابادي، البلغة، ص١٨٥.

(٣) السخاوي، تراجم مغربية وأندلسية، ص٢٥٠.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤٣؛ الكتبي، فوات الوفيات، جـ٤، ص٧١-٧٢، عبد الرحيم الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢جـ، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، جـ١، ص٢١٨؛ المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٧، ص٥٠٥؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٢، جـ١، ص٤٣٩؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٧٠.

(٥) البلوي، تاج المفرق، جـ١، ص٢٢٧.

ومعظم فصوله محتذياً في ذلك ما عليه العمل من مذاهب أهل البصـرة"[١]. ويقـول في مقدمة كتاب النكت الحسان : أن هذه النكت كتبها ذيـلاً علـى مقدمتـه المسـماة "بغاية الاحسان في علـم اللسـان" وسـماها "النكـت الحسـان فـي شـرح غايـة الاحسان"[٢]. ويقول محقق الكتاب ويبدو أنه في هذا الشرح أي النكت الحسـان لـم يقتصر على آراء البصريين في النحو، أنما ذكر آراء الكوفيين البغداديين وأهل الأندلس ومصر، واعتمد كثيراً على آراء العلماء الأندلسيين وبخاصة أساتذته، وكأنه يريد أن يرد ديناً عليه من باب الوفاء والاخلاص للذين غرسوا في نفسه حب العلم أول مرة[٣].

ومن كتبه النحوية التي نشرت "تذكرة النحاة" وبدأه بـ "رُبَّ" حرف جر[٤]، وذكر من جمله ما ذكر من موضوعات : البدل، المفعول به، الحال، الاستثناء، الظرف، النداء، الممنوع من الصرف، المبتدأ والخبر...الخ[٥].

ومن المعروف أن ابن عصفور قد ألف كتاباً في النحو سماه "المقرب"، فقام أبو حيان باختصار هذا الكتاب، وأعاد ترتيب أبوابه حتى يتناسب مع منهج التأليف في النحو سماه "تقريب المقرب"[٦] ثم شرح "التقريب" بكتاب سماه "التدريب في تمثيل التقريب". وذكر المؤلف في مقدمة كتابه التدريب أنه لما اختصر كتاب المقرب في التقريب، فقدمه بهذه الصورة الموجزة للمبتدئ بدون غموض، فجاء شرحاً

---

(١) أبو حيان النحوي الغرناطي، النكت الحسان في شرح غاية الاحسان، تحقيق عبد الحسن الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨، ص٩. مقدمة المحقق.

(٢) المصدر نفسه، ص٣١، مقدمة المحقق.

(٣) المصدر نفسه، ص٩، مقدمة المحقق.

(٤) أبو حيان الغرناطي، تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبد الرحمن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ص٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٤، مقدمة المحقق.

(٦) ينظر، أبو حيان الغرناطي، تقريب المقرب، تحقيق عفيف عبد الرحمن، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢.

مختصراً للمقرب والتقريب وسماه "التدريب في تمثيل التقريب"[1] أي أن أبا حيان اختصر مرة المقرب لابن عصفور ثم قام مرة ثانية بشرح هذا المختصر.

ومن كتبه المنشورة أيضاً في النحو "المبدع في التصريف"[2] ويسمى أحيانا "المبدع الملخص من الممتع" وهو تلخيص لكتاب ابن عصفور "الممتع في التصريف"[3]. ولأبي حيان كتاب "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك"[4] في النحو و الصرف ويبدو أن أبا حيان قد استغرق مدة طويلة في تأليفه لأن الصفدي يقول أن أبا حيان نفسه كتب له في سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م بأنه لم يكمل هذا الكتاب[5]. ولكننا نجد أن أبا حيان يقول في نهاية السفر الأولى من الكتاب أنه أنجز السفر الأول سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م[6]. ومن كتب أبي حيان المطبوعة كتاب "الهداية في النحو" وهو مختصر في علم النحو ألفه مراعياً فيه ترتيب الكافية لابن مالك حيث ألفه على مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة[7].

ولأبي حيان في علم النحو ورقات بعنوان "اللمحة البدرية في علم العربية" لا تزال مخطوطة. وعلى الرغم من أنها سبع ورقات فقط إلا أن أبا حيان أودعها أبواب النحو كلها تقريباً[8]. وقد شرح كتاب ابن حيان هذا ابن هشام الأنصاري (كان حياً ٧٤٧هـ/١٣٤٦م) بعنوان "شرح اللمحة البدرية في علم العربية لأبي حيان

---

(١) أبو حيان النحوي الأندلسي، التدريب في تمثيل التقريب، تحقيق نهاد فليح حسن، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٧، ص٥٩.

(٢) انظر أبو حيان الغرناطي، المبدع في التصريف، تحقيق عبد الحميد السيد طلب، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢.

(٣) ابن هشام الأنصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٤٣، مقدمة المحقق.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٩-٥٠، مقدمة المحقق.

(٥) الصفدي، نكت الهميان، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٦) ابن هشام الأنصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٤٩، مقدمة المحقق.

(٧) ابن هشام الأنصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٥٥، مقدمة المحقق، أبو حيان، تحفة الأريب، ص٣٢، مقدمة المحقق.

(٨) ابن هشام الانصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٥٤، مقدمة المحقق.

الأندلسي"[١].

ومن الكتب النحوية التي وصلتنا، ولكنها لا تزال مخطوطة كتاب "الموفور في شرح ابن عصفور"، وهو أختصار لكتاب "الشرح الكبير" لابن عصفور وقد ألفه ابن عصفور كشرح لكتاب "المقرب" ليقربه إلى إفهام الدارسين ويكون واضحاً أمام الباحثين[٢].

ومن كتبه النحوية الأخرى "التذييل والتكميل في شرح التسهيل"[٣] وهو شرح لكتاب ابن مالك "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" وقد شرحه أبو حيان في عشر مجلدات كبيرة[٤] ويعد كتاب أبي حيان هذا أضخم كتب النحوية[٥]. وقام أبو حيان باختصار كتابه هذا التذييل والتكميل بكتاب سماه "ارتشاف الضرب من لسان العرب"[٦]. وقال عنه الفيروز ابادي أنه ن أحسن مصنفاته[٧].

ومن كتب أبي حيان النحوية التي وصلتنا، ولكنها لا تزال مخطوطة[٨] "غاية الاحسان في علم اللسان"[٩] وهو مقدمة في النحو بدأها أبو حيان بالكلام عن معنى النحو[١٠].

ولأبي حيان الغرناطي العديد من المؤلفات النحوية مفقودة ولم تصلنا منها

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥١.

(٢) ابن هشام الأنصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٤٤-٤٥، مقدمة المحقق، أبو حيان، ديوان، ص٣١، مقدمة المحقق.

(٣) الصفدي، نكت الهميان، ص٢٨٣؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٥٥٥.

(٤) ابن هشام الانصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٤٥-٤٦، مقدمة المحقق.

(٥) أبو حيان، ديوان، ص٣١، مقدمة المحقق.

(٦) ابن هشام الأنصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٥٠، مقدمة المحقق، البلوي، تاج المفرق، جـ١، ص٢٣٠.

(٧) الفيروز ابادي، البلغة، ص١٥٨.

(٨) ابن هشام الانصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٥٢-٥٣، مقدمة المحقق.

(٩) الصفدي، نكت الهميان، ص٢٨٣؛ المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٧، ص٥٠٦؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٥٥٢.

(١٠) ابن هشام الانصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٥١، مقدمة المحقق.

كتاب "فضل النحو" و "شرح كتاب سيبويه" و "التجريد لأحكام سيبويه" و "التكميل في شرح التسهيل"[١]. وقد تتلمذ على أبي حيان طائفة كبيرة من الطلبة الذي صاروا أئمة وأشياخاً في حياته، وخاصة في دراسة مصنفات ابن مالك، إذ رغبهم بدراستها، وشرح لهم غامضها وقد التزم ألا يقرئ أحداً إلا إذا ورد في كتاب سيبويه، أو في التسهيل لابن مالك، أو في تصانيفه هو نفسه[٢].

ومن علماء النحو في غرناطة الذين هاجروا أيضاً إلى خارجها النحويان الغرناطيان أبو عبدالله الهواري الضرير (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧) وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني (ت٧٨٠هـ/١٣٧٨م) المشهوران بالأعمى والبصير وكان لهما دور في النشاط النحوي والأدبي. وقد كانا رفيقين في حلهما وترحالهما وسافرا معاً إلى المشرق ودخلا القاهرة وسمعا من أبي حيان الغرناطي واستقرا أخيراً في البيرة من عمل حلب وانتفع بهما أهل تلك البلاد[٣]. ففي مجال النحو شرح الأعمى الألفية لابن مالك[٤]. وصنف الرعيني البصير في النحو وقد وصف بأنه كان عارفاً بالنحو وفنون اللسان كثير المؤلفات بالعربية[٥]. أما تعاونهما ونشاطهما الأدبي فسيأتي الحديث عنه لاحقاً.

---

(١) ابن هشام الانصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٤٨-٤٩، ٥٨، مقدمة المحقق، أبو حيان، ديوان، ص٣١-٣٤، مقدمة المحقق؛ أبو حيان، تحفة الأريب، ص٣٠-٣٣، مقدمة المحقق.

(٢) ريبيرا، التربية الاسلامية في الاندلس، ص١١١.

(٣) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٣٦١-٣٦٢، جـ٣، ص٤٢٩-٤٣٠؛ إنباء الغمر، جـ١، ص٢٤٤؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٢جـ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، جـ٢، ص٢٧٠. وسيشار له تالياً : ابن تغري بردي، المنهل الصافي؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٣، جـ٢، ص٥٥٦؛ السخاوي، تراجم مغربية وأندلسية، ص٢٥٤؛ أحمد، الأندلسيون والمغاربة، ص٢٠٧.

(٤) السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ص٤٠٣.

(٥) السخاوي، تراجم مغربية وأندلسية، ص٢٥٤.

٣- النثر:-

الأدب كما عرفه ابن خلدون هو الإجادة في فني المنظوم والمنثور. أما النثر فهو الكلام غير الموزون ومنه المسجع وهو الذي يلتزم فيه بقافية واحدة ومنه المرسل الذي لا يتقيد بقافية واحدة(١).

وأنجبت غرناطة في هذه الفترة نخبة رائعة من الأدباء الذين برعوا بنشاطاتهم ومؤلفاتهم الأدبية وتميزوا بأسلوبهم الرائع في التعبير ومن هؤلاء من برع في المجال الأدبي بفرعيه ومنهم من برع في النثر. والنثر في الأندلس عموماً أخذ صورتين الصورة الأولى ما يسمى بالنثر التأليفي مثل ذكر التراجم والأخبار والمختارات والحديث عن الشعر والشعراء وتأليف كتب في التاريخ الأدبي. والصورة الثانية ما يسمى بالنثر الفني ويقصد به إسلوب الرسائل الديوانية، والإخوانيات، والوصايا والمناظرات وغير ذلك من مواضيع النثر الفني(٢).

ومن الأدباء الذين برعوا في المجال الأول وهو النثر التأليفي لسان الدين بن الخطيب الذي تبقى السمة الأدبية أبرز سماته بالرغم من اختلاف بعض الدارسين في ذلك إذ أن بعضهم عده متصوفاً أو مؤرخاً أو طبيباً في المقام الأول.

وهو لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، أصل أسرته من قرطبة ثم انتقلت إلى طليطلة بعد وقعة الربض الشهيرة سنة (٢٠٢هـ/٨١٨م) في عهد الأمير الأموي الحكم الأول بن هشام. وبعد استيلاء الأسبان على طليطلة انتقلت الأسرة إلى لوشة وبعد أن ولد ابن الخطيب فيها سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م رحلت إلى غرناطة، فدخل والده عبدالله في خدمة السلطان أبي الحجاج يوسف الأول، لكنه قتل في معركة طريف التي وقعت بين بني الأحمر والأسبان في سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م، فقلد السلطان أبي الحجاج لسان الدين بن الخطيب كتابته قبل إكمال سن الشباب كما منحه صلاحيات واسعة أيضاً ومناصب

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، م٣، ص٢٩٤-٣٢٢.

(٢) أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩، ص٢٤٧-٢٤٨، ٢٥٤، عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦، ص٤٤٨-٤٤٩، ٤٦٩، البشري، الحياة العلمية، ص٣٣١.

كثيرة كالقيادة والوزارة والسفارة، وجعله نائباً عنه وقلده سيفه وسلمه خاتمه. ولما قُتل السلطان أبو الحجاج يوسف الأول عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، جاء بعده ابنه الخامس الغني بالله، فنال ابن الخطيب حظوه أكثر مما كان عند أبيه. لكن أخا السلطان اسماعيل الثاني قام بحركة على أخيه الغني بالله واستولى على السلطة وقام السلطان الجديد اسماعيل بالقبض على لسان الدين بن الخطيب وصادر أمواله[١]. وتوسط السلطان المريني أبو سالم لدى السلطان اسماعيل في محنة ابن الخطيب والسلطان الغني بالله المخلوع، وطلب السماح له بالعبور إليه فنجح في مسعاه، وعبر ابن الخطيب والغني بالله السلطان المخلوع من الأندلس إلى المغرب، حيث استقبلهما السلطان المريني استقبالاً منقطع النظير وبقي السلطان المخلوع ووزيره في المنفى بالمغرب سنتين. وعندما عاد الغني بالله إلى عرشه عاد معه وزيره ابن الخطيب وعلت منزلته عند السلطان ودفع إليه تدبير المملكة وخلا له الجو. لكن استئثاره بالسلطة وانفراده بالحل والعقد، جعلت بطانة السلطان يحسدوه فاتفقوا على السعاية به لدى السلطان ويبدو أن السلطان محمد الغني بالله قد تأثر بتلك السعايات وقبلها، ووصل خبر ذلك إلى ابن الخطيب واما شعر بتغير السلطان عليه استأذنه بحجة تفقد الثغور الغربية، فعبر من هناك إلى المغرب سنة ٧٧٣هـ/١٣٧٢م، حيث أكرمه السلطان المريني عبد العزيز[٢]. وكان في طليعة البطانة التي أوقعت بين السلطان ابن الأحمر ووزيره تلميذاه ابن زمرك الشاعر والنباهي قاضي الجماعة إلا أن أوضاع الدولة المرينية آلت إلى غير صالح ابن الخطيب، إذ تولى السلطنة أبو العباس أحمد بن أبي سالم نكبه ابن الخطيب بالاتفاق مع السلطان الغني بالله. ولما علم السلطان ابن الأحمر بخبر القبض على ابن الخطيب، أرسل ابن الاحمر وزيره بعد ابن الخطيب، ابن زمرك، ووصل الى السلطان المريني أبي العباس، وأحضر ابن الخطيب أمام مجلس للمحاكمة وعرضت عليه كلمات وردت في كتابه "روضة التعريف بالحب الشريف" نالت

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٣٩-٤٤٤.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٤٤؛ المقري، ازهار الرياض، جـ١، ص٢١١.

أستتكار أعضاء مجلس المحاكمة فوبخ ونكل به وامتحن بالعذاب وأعيد إلى محبسه. وتناقشوا في قتله بسبب تلك العبارات الواردة في كتابه. وأفتى بعض الفقهاء بقتله لكن أحد الوزراء المقربين للسلطان المريني أبي العباس وأسمه ابن داود دس إليه بعض الأوغاد من حاشية مع لفيف من خدم سفراء ابن الأحمر فهاجموه في سجنه ليلاً وقتلوه خنقاً، وأخرجوا جثمانه في الصباح فدفن في مقبرة باب المحروق خارج مدينة فاس. ولم يكتفوا بهذا بل أخرجوه من قبره، ومثلوا بجثمانه تمثيلاً مشيناً، حيث جمعوا أعواداً وأضرمت عليه النار، فاحترق شعره واسودت بشرته. ثم أعيد إلى حفرته. وهكذا كانت نهاية محنته[١]. وقد استنكر ابن خلدون هذا العمل بقوله "وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته. وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه، وأهل دولته، والله الغفال لما يريد وكان عفا الله عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت"[٢].

لم يتأس على ابن الخطيب العرب المسلمون فقط بل تجاوز ذلك إلى الأعداء من ملوك الفرنج، إذ يروي الشيخ محمد القصباني أن السلطان ابن الأحمر أرسله مبعوثاً إلى ملك الفرنج، فلما أراد الرجوع أخرج له كتاباً من ابن الخطيب بخطه يحتوي على نظم ونثر في غاية الحسن والبلاغة، فأقرأه إياه، فلما فرغ من قراءته قال له مثل هذا يقتل، وبكى حتى بل ثيابه[٣].

أما نشأته العلمية فنجدها في قوله عن نفسه بأنه تتلمذ المعارف المتنوعة على يد العديد من الشيوخ منهم : العواد وأبو القاسم بن جزي وابن الفخار وأبي عمرو بن الاستاذ ابن الزبير وابن بيبش وابن هذيل والشيخ الخطيب أبي الحسن القيجاطي الذي قال عنه "هو أول من انتفعت به" إضافة إلى طائفة كبيرة من علماء غرناطة والمغرب والمشرق حتى أنه قال عند استعراض شيوخه لو أنني تفرغت لذكرهم، لخرج هذا التقييد عما وضع له[٤].

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٤٥٢-٤٥٣.

(٢) المصدر نفسه، جـ٧، ص٤٥٣.

(٣) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٩١.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٥٧-٤٥٩.

أما تلامذته فمنهم أبو عبدالله الشربشي الذي كان مؤدب أولاد الملوك ومعلمهم القرآن وسنة رسول الله (ص)، وهو الذي قام بنقل الإحاطة من مبيضات ابن الخطيب وضبطها. وكان لسان الدين بن الخطيب أعطاه تلك المبيضات اعتماداً منه عليه وثقه به لانشغال ابن الخطيب بأمور المملكة[١]. ومن أشهر تلامذته : ابن زمرك والنباهي اللذان جحدا فضله واشتركا في محنته ونكبته.

نال ابن الخطيب شهرة ومدحاً من قبل معاصريه والذين جاءوا من بعده من المؤرخين، بل ان العبارات التي وصف فيها لم تقتصر على هؤلاء بل تعدتها إلى سلاطين غرناطة أنفسهم فابن الخطيب نفسه يذكر ما صدر له من التشريفات الملوكية بصورة ظهير من مولاه السلطان أبي عبدالله محمد الخامس الغني بالله إثر أحد انتصارات السلطان ومما جاء في هذا الظهير "من أمير المسلمين عبدالله (الغني بالله) بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ... إلى ولينا في الله تعالى... الفقيه الوزير الجليل، الصدر الأوحد المثيل، العالم العلم الأوحد، الرفيع الشهير، الحسيب الأصل.... إمام البلغاء، وصدر الخطباء، وعلم العلماء.... الأود الأصفى أبي عبدالله ابن الوزير الفقيه الجليل"[٢] وأصدر له السلطان نفسه ظهيراً آخر أشاد بقدرات ابن الخطيب في المجالات السياسية والأدبية[٣]. ولم تقتصر الإشادة بلسان الدين بن الخطيب على سلاطين غرناطة بل تجاوزتها إلى سلاطين بني مرين في المغرب فهناك ظهيران الأول للسلطان أبي سالم المريني[٤]، والثاني للسلطان المريني محمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسين[٥]، توضح مدى إعجاب سلاطين المغرب بمهارات ابن الخطيب وقدراته المتعددة.

أما ابن خلدون المعاصر لابن الخطيب فقد قال فيه بأنه كان آية من آيات الله في النظم والنثر، والمعارف والأدب لم يصل أحد مداه، ولا يهتدي فيها بمثل

---

(١) المقري، نفح الطيب، م٧، ص٢٨٢.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٤٧-٤٤٨.

(٣) المصدر نفسه، م٤، ص٤٥٠-٤٥١.

(٤) المصدر نفسه، م٤، ص٤٥٢-٤٥٣.

(٥) المصدر نفسه، م٤، ص٤٥٥-٤٥٦.

هواه[١]. وقال عنه ابن القاضي ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، الأديب البارع، الكاتب صاحب التصانيف الكثيرة[٢]. وأشاد التنبكتي بتعدد الفنون التي أجادها ومؤلفاته التي وصفها بأنها مؤلفات عجيبة[٣]. أما المقرى فقال عنه : هو الوزير الشهير الكبير، الطائر الصيت في المغرب والمشرق، الذي أشاد به الناس وأصبح المثل المضروب في الكتابة والشعر والطب وكثير من العلوم المختلفة ومؤلفاته تدل على ذلك[٤].

ترك ابن الخطيب تراثاً أدبياً واسعاً متمثلاً في كتبه الأدبية ورسائله السلطانية التي كانت تصدر من سلاطين بني الأحمر في غرناطة بقلمه. وفي الواقع إن كل رسائله الأخرى في المعارف المتنوعة مثل السياسة والتصوف والموسيقى وحتى مؤلفاته التاريخية والجغرافية والطبية لا تخلو من أسلوبه الأدبي. وأهم هذا التراث الأدبي هو : كتاب "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب" في مجلدين، ويأتي بعد كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" أهم كتبه التاريخية والأدبية[٥]. ويشرح ابن الخطيب في مقدمة الكتاب سبب التسمية ومحتوياته فيقول "وسميته لتنوع بساتينه المشوقة، وتعدد أفانينه المعشوقة "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب" وقسمته الى جد لة، وتهنئة أخوان، وتعزيه في حرب للدهر عوان، وأغراض ألوان، وفتوح يجليها سلون، ومخاطبات أخوان، ومقامات"[٦]. وضمّن ابن الخطيب كتابه هذا مقتطفات من مقدمات كتبه ورسائله مثل "بستان الدول"[٧] و "رقم الحلل في نظم الدول"[٨] و "تاريخ غرناطة"[٩] و "روضة التعريف بالحب الشريف"[١٠].

---

(١) ابن خلدون، الغبر، جـ٧، ص٥٩١.

(٢) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٢٧١.

(٣) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٦٤.

(٤) المقري، نفح الطيب، م٥، ص٧.

(٥) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، م١، ص٤، مقدمة المحقق.

(٦) المصدر نفسه، م١، ص٢٠.

(٧) المصدر نفسه، م١، ص٢١.

(٨) المصدر نفسه، م١، ص٢٦.

(٩) المصدر نفسه، م١، ص٣١.

(١٠) المصدر نفسه، م١، ص٣٨.

أما كتابه "كناسة الدكان بعد انتقال السكان" فيحتوي على ثلاثة أقسام : القسم الأول يحتوي على عقد زواج نصري جرت رسومه في قصر الحمراء في عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢م بين السلطان أبي الحجاج يوسف الأول ابن الأحمر بصفته ولياً على أخته وبين القائد الرئيس أبي الحسن بن نصر، والقسم الثاني والثالث رسائل سياسية تبلغ (٢٥) خمساً وعشرين رسالة ذات شؤون أندلسية ومغربية من إنشاء ابن الخطيب بعث بها كل من السلطان السابع لبني الأحمر أبو الحجاج يوسف الأول، ثم ابنه السلطان الثامن الغني بالله محمد الخامس إلى السلطان المريني أبي عنان. والكتاب – على حد قول المحقق – عبارة عن مجموعة من الوثائق الفريدة في تاريخ العلاقات بين مملكة غرناطة والمغرب، وهو إلى الوثائق أقرب منه إلى التاريخ(١).

ومن كتب ابن الخطيب الأخرى "التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى" وقد رفعه ابن الخطيب إلى خزانة أبي الحجاج يوسف الأول، وهو كتاب في تراجم أدباء الأندلس(٢). وقد ترجم لنفسه مع من ترجم لهم من أدباء غرناطة فقال "ولا اعتمدت أن أقرض نفسي وأزكيها، ولكني بأوت* نفسي عن مفارقة أبناء جنسي، فزاحمتهم في أبواب هذه الآداب(٣). واحتوت نسخة هذا الكتاب الواردة ضمن كتاب "ريحانة الكتاب" على (٩٢) اثنين وتسعين ترجمة بدأها بابن الزيان وأنهاها بأم الحسيني بنت أحمد الطنجالي(٤). أما كتاب لسان الدين بن الخطيب "الإكليل الزاهر

---

(١) ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص٣-٤، ٦، ١٢.

(٢) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، م١، ص٣٥؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٩١.

* أراد ألا ينسلخ عن قرنائه. ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٦٨، هامش (٦٩).

(٣) ابن الخطيب، التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى، (مخطوط بالاسكوريال رقم ٥٥٤ الغزيري – لوحة ١٩٣-١٩٤أ) نقلاً عن عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٣١١. ورد النص أعلاه أيضاً في ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٦٨؛ ريحانة الكتاب، م٢، ص٣٨٥.

(٤) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، م٢، ص٣٦١-٤١٠.

فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر". فهو تتمة لكتاب التاج المحلى وقسمه إلى قسمين أحدهما في أدباء الأندلس والثاني في الأدباء الاعلام الداخلين اليها[1].

أما كتاب "الإشارة إلى أدب الوزارة" فيمكن إدراجه ضمن كتبه الأدبية لأن كلامه عن الوزارة والسياسة كان بأسلوب أدبي[2].

ونلاحظ في كتاب ابن الخطيب "مقامة السياسة" أنه لم يترك باباً أدبياً إلا سلكه. وهنا يكتب في المقامات هذه المقامة، وهي مقامة على شكل وصايات بدأها بـ "سهر الرشيد ليلة، وقد مال في هجر النبيذ..." ثم تكلم عن الرعية والوزير والجند والعمال والولد والخدم والكرم والمال والحاشية ثم وصايا متفرقة[3].

وعن الدور الذي أداه لسان الدين بن الخطيب في الحركة الأدبية بغرناطة قال المقري "أما نثره فهو البحر الزخار، بل الدر الذي به الافتخار، وناهيك أن كتبه الآن في المغرب قبلة أرباب الأنشاء التي إليها يصلون وسوق دررهم النفسية التي يزينون بها صدور طروسهم ويحلون"[4].

ومما قاله ابن الخطيب في النثر "وأما النثر فبحر زاخر، ومدى طوله مستأخر، وأنك لم تفخر عليك كفاخر، وقد مر منه في تضاعيف هذا الديوان كثير"[5].

ومن الجدير بالذكر أن عبدالله بن سعد بن أحمد السلماني (ت٧٤١هـ/١٣٤١م) وهو والد بن الخطيب كانت له مشاركة في النشاط الأدبي والنثري[6]. ولكن المصادر لم تمدنا بشيء من مؤلفاته.

ولعلي بن موسى بن سعيد الغرناطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) مؤلفات في

---

(١) المصدر نفسه، م١، ص٣٦-٣٧.

(٢) لسان الدين بن الخطيب، الإشارة إلى أدب الوزارة، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة الساحل، الرباط، ١٩٨٠، ص٧٩-١١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢١-١٤٠.

(٤) المقري، نفح الطيب، م٦، ص١٦٤.

(٥) المصدر نفسه، م٦، ص١٦٤-١٦٥

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٨٦-٣٨٨؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص١٦-١٧.

تاريخ الأدب منها "رايات المبرزين وغايات المميزين" وهو كتاب منتقى من كتاب آخر له بعنوان "المُغرب في شعراء المغرب"[(١)]. و "الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة" الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام الأول في تراجم الذين تحقق سنو وفاتهم والثاني : في تراجم الذين لم يوفق منهم على ذلك. والثالث : فيمن استقر العلم على حياته عند انتهاء تأليف هذا الكتاب في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م[(٢)].

وكان الشاعر ابن شريف النفزي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) بارع التصرف في منثور الكلام، وله مقامات بديعة في أغراض شتى. وكلامه دون في الكتب على أيام ابن الخطيب المعاصر له وقد سرد ابن الخطيب بعضاً من نثره[(٣)].

وعاش أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل* الفزاري في غرناطة (كان حياً سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٥م) في وسط نبوغ طائفة من أهل العلم والأدب أمثال ابن الخطيب وابن الجياب وابن زمرك. وساهم بتآليفه في الحركة العلمية والأدبية الناشطة. وكان أديباً ملتزماً بمبادئه في الجهاد ودعوته للفروسية والشجاعة. كما يظهر ذلك من كتاب "تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس" الذي يقع في جزأين الأول في الجهاد والثاني في الخيل والسلاح، وهو الجزء الذي أطلق عليه فيما بعد "حلية الفرسان وشعار الشجعان". وبذلك كان أديباً واقعياً عملياً لا خيالياً حيث اتخذ من الأدب دعوة للجهاد في سبيل الله. ورفع ابن هذيل الجزء الأول من كتابه إلى

---

(١) ابن سعيد، رايات المبرزين، ص٣٨.

(٢) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٩٠، ص٤١ هاني العمد، كتب التراجم المغربية، مجلة أفكار، نشر وزارة الثقافة والشباب، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، (الرأي)، عمان، ١٩٨٠، العدد ٤٨، ص١٠.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٦٠، ٣٧٣-٣٧٤.

* ابن هذيل المذكور أعلاه هو غير العالم الاندلسي يحيى بن هذيل، وقد تعاصرا وعاشا في غرناطة. خليل أبو رحمة، علي بن هذيل الأندلسي وكتابه "تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مطبعة التوفيق، عمان، السنة الخامسة، تموز، كانون أول، العدد المزدوج، ١٧-١٨، ١٩٨٢، ص١٠٤-١٠٥.

سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله، وذكر والده السلطان أبا الحجاج يوسف الأول، وجده السلطان أبو الوليد اسماعيل الأول ابن فرج، وأفاض عليهم كثيراً من نعوت الفتح والجهاد والنسب الرفيع. أما الجزء الثاني فقد رفعه إلى السلطان الثاني عشر من سلاطين غرناطة محمد السابع المستعين (٧٩٤-٨١٠هـ/١٣٩٢-١٤٠٨م) ابن يوسف الثاني ابن محمد الخامس الغني بالله إلى أنه أهدى الجزء الأول للجد الغني بالله ولحفيده المستعين(١).

ولابن هذيل كتاب آخر عنوانه "عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة" والكتاب من عنوانه يبحث في الأدب والسياسة قدمه أيضاً إلى السلطان الثامن من سلاطين غرناطة محمد الخامس الغني بالله، ويحتوي على نبذ من الأحاديث والحكم والأمثال، في السؤدد والمروؤة ومكارم الأخلاق، وطرف من الحكايات والآداب الصادرة عن أولي الألباب والأحساب، وجمل من الوصايا والمواعظ الحسان العظيمة الفائدة والمنفعة لكل انسان(٢). وله كتاب بعنوان "مقالات الأدباء ومناظرات النجباء"(٣).

ومن الملفت للنظر أن السلطان الزياني أبو حمو الذي ولد بغرناطة عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م عرف بنبوغه الأدبي ألف كتاباً سماه "بواسطة السلوك في سياسة الملوك" ظهرت فيه براعته الأدبية(٤) ويبدو أن نشأته العلمية كانت في غرناطة وألا لما كان قد أفرد له ابن الخطيب ترجمة في كتاب الإحاطة الخاص بالتراجم الغرناطية.

وقد تبوأ بعض علماء غرناطة منزلة رفيعة كما ذكرت المصادر ولكن رغم الإشادة بدورهم في النشاط الأدبي لم يذكروا أسماء مؤلفاتهم ومنهم ابن هذيل

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٤، ١٠٨، ١٧-١٨.

(٢) أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل، عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ص٥، ١٢، فما بعد.

(٣) أشار المحقق أن الكتاب مخطوط في المتحف البريطاني برقم ١١٤٤. ينظر المصدر نفسه، ص٦، مقدمة المحقق.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٨٦-٢٨٧.

التجيبي الغرناطي الذي برع في الأدب كما برع في غيره فقد درسه على ابن الفخار[١]. ووصفه ابن الخطيب بقوله : "وله أدب ذهب في الإجادة كل مذهب، وارتدى من البلاغة في كل رداء مذهب، والأدب نقطة من حوضه وزهره من أزهار روضه"[٢]. وقد بالغ ابن الأحمر في علو منزلته بعلم البيان والأدب واللغة العربية وأوصله إلى مصاف الجاحظ والأخفش[٣].

وعرف عن علي القيجاطي براعته في الأدب ووصف بأنه أديب لوذعي[٤]. وقد تفوق في كتابة النثر حتى قيل عنه "نثر حسدت عقود الغانيات درره، وغارت النجوم الزهر لما اجتلت نحوره"[٥].

وقد أشاد سلاطين بني الأحمر وعلماء غرناطة ومؤلفيها بالعالم ابن مهيب اللخمي (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م) الذي درس على علماء في أكثر من مدينة أندلسية كشلب والمرية وإشبيلية. ثم دخل غرناطة مرتين. ويذكر ابن الخطيب أنه أطلع على نص ظهير سلطاني صادر من السلطان محمد الغالب بالله (ت٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣٢-١٢٧٣م) بحق ابن مهيب اللخمي يدل على جلالة قدره ومن جملة ما ورد في هذا الظهير السلطاني وصفه له بالعالم، الأوحد، العلم أما ما قاله العلماء فيه فابن الزبير قال عنه أنه كان أديباً شاعراً أما المراكشي فقال فيه كان شريفاً، عالماً راسخاً، خطيباً مصقعاً. ذكر ابن الخطيب ذلك كله عن ابن مهيب المذكور[٦].

ومن المساهمين بالحركة الأدبية في الأندلس ابن باق الأموي

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٩٠؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص١٧٨.

(٢) البشتكي، مركز الإحاطة، (مخطوط) ورقة ٢٣٩أ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٩١-٣٩٢؛ أوصاف الناس، ص٨٦.

(٣) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص٤٤.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٠٤؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥٠٧؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢٣٩ح ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٠٧.

(٥) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٢٤.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٤١٨-٤٢٦.

(ت٦٥٢هـ/١٢٥٤م) وهو غرناطي النشأة والدراسة وكان كاتباً أديباً، وبرع بصورة خاصة بالأدب الهزلي السائد في الأندلس انئذٍ بما يسمى بأدب الكدية. ثم انتقل إلى الأدب الجاد الذي أطلق عليه بعض المؤرخين الأدب المعرب وذلك بعد أن أثرى وكثر ماله. وقد لمع وبرع في هذين المجالين(١).

ووصف محمد البرجي الغرناطي الذي عرف بنشاطه العلمي في كل من غرناطة وفاس بأنه علم في الأدب(٢). صدر في الأدب متبحراً فيه. ولم تذكر المصادر مؤلفات له وكان حياً في أيام ابن الخطيب(٣).

وبلغ بعض الأدباء الغرناطيين مرتبة عالية في الأدب ومنهم حازم الغرناطي الذي وصل إلى مرتبة ابن الابار في ميدان الأدب، وقدم تونس مثلما قدم ابن الابار ومدح أميرها الحفصي المستنصر بالله (ت٦٧٥هـ/١٢٧٦م) بمقصورته الشهيرة ومدحه أيضاً بقصيدته الطائية وتتلمذ عليه رحالتا المغرب ابن رشيد والعبدري في رحلتيهما(٤).

وبرز فلاح غرناطي صار أديباً بعد أن خالط أهل الأدب هو أحمد بن عبد العظيم الجذامي. واتفق أهل الأندلس على مدحه وبراعة بديهيته وتحكمه في الكلام "يتدفق كتدفق الفرات... فيأتي بكل عجيبة". كما كان مستمعاً جيداً ومتلقفاً بليغ الكلام بنفس سميعه مجيبه على فطرته دون تكلف(٥). مات شهيداً عام ٧٦٣هـ/١٣٦٢م، قال ابن حجر فيه "لو امتد به طول العمر لأصبح مثلاً في الإجادة"(٦)، ولم تفصل لنا عن المصادر نشاطات له في التأليف أو التدريس.

وأنجبت أسرة حسان الخافقي الإشبيلي الغرناطي أديبين هما الأب محمد بن

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٣٣٨-٣٤٠؛ المقري، نفح الطيب، م٦، ص٢٦٣-٢٦٥.

(٢) المجاري، برنامج المجاري، ص٢٩.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٩٤؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٤) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص١٩٧.

(٥) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص١٣٩؛ ريحانة الكتاب، جـ٢، ص٤٢٤؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص١٤١-١٤٢.

(٦) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص١٤٢.

محمد بن حسان (ت٧١٣هـ/١٣١٣م) وابنه محمد المتوفى بعد السبعين والسبعماية فقد كان الأب أديباً والإبن متقدماً في الأدب كاتباً بليغ وشاعراً مجيد[١].

ووفد الأديب أبو بكر بن شبرين من سبتة إلى الأندلس الذي كان له باع طويل في الخطابة والنظم والنثر إلى الحد الذي أصبح قدوة للفصحاء والبلغاء متبعين منهجه في هذه الحقول[٢].

وفيما يخص الصورة الثانية من النثر وهو النثر الفني فقد برع عدد من أدباء غرناطة في هذه الفترة بهذا النوع من النثر وعلى رأسهم ابن الخطيب[٣].

ومن أبرز أدباء وعلماء غرناطة الذين أدوا دوراً كبيراً في الحياة الثقافية والسياسية في غرناطة في النصف الأول من القرن التاسع الهجري أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغرناطي (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م) كان يعرف بقاضي الجماعة[٤]، وقد مدحه العديد من المؤرخين، فمثلاً قال عنه المقري بأنه شاعر مجيد وناثر حجة وخاتمة رؤساء الأندلس بالإستحقاق ومنبع الآداب[٥]. أما التنبكتي فقال عنه "أبو يحيى العلامة الحافظ النضار الوزير الجليل الرئيس المعظم الكاتب الخطيب البليغ الشاعر الفصيح الجامع الكامل"[٦].

درس ابن عاصم على شيوخ غرناطة كابن سراج والمنتوري والبياني والشريف السبتي وابن سمعه[٧]. وتتلمذ عليه طائفة كبيرة من العلماء مثل ابن

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٠٧؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٩٠، ٣٣٩.

(٢) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٣٧-٣٩.

(٣) انظر ص١٦٧-١٦٨ من هذه الرسالة.

(٤) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٨٥.

(٥) المقري، نفح الطيب، م٦، ص١٤٨؛ أزهار الرياض، جـ١، ص١٤٥.

(٦) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣١٣.

(٧) المقري، نفح الطيب، م٦، ص١٤٨؛ أزهار الرياض، جـ١، ص١٤٥.

الأزرق (ت٨٩٥هـ/١٤٩٠) [(١)] ومحمد الجعدالة (ت٨٩٧هـ/١٤٩٢م) [(٢)].

ووصف أحد الباحثين نثر ابن عاصم بأنه أعلى درجة وأرقى منزلة من شعره ويعتقد بأن خصائص الأسلوب الانشائي لابن عاصم يمكن معرفتها من خلال الرسائل الثلاث التي وصلتنا الأولى عن طريق ابن عاصم نفسه في كتابه "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى" والثانية والثالثة عن طريق المقري في كتابه نفح الطيب وأزهار الرياض، إذ يمتاز أسلوبه الإنشائي بالأصالة المفرطة والإسهاب بالمقدمات والتحميدات والتصلية والدعاء، كما يتسم بالتزام السجع والاغراق في المحسنات البديعية ومختلف صور التلاعب اللفظي[(٣)]. وأن المتأمل لأسلوب ابن عاصم في النثر الفني يلاحظ أنه لا يكاد يختلف عن أسلوب لسان الدين بن الخطيب[(٤)]. ويقول المقري – الذي ذكر له نموذجاً من نثره [(٥)]– أن "ابن عاصم أبو يحيى كان يسميه أهل زمانه ابن الخطيب الثاني"[(٦)].

وحفلت غرناطة بنخبة من أدباء النثر الفني ولكن لم تذكر المصادر لهم مؤلفات فقد برز من بني عاصم* علماء أدوا دوراً كبيراً في النشاطات الثقافية في

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، ص٢١، المقري، ازهار الرياض، جـ٣، ص٣١٩.

(٢) أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق عبدالله العمراني، ط١، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٠٠. وسيشار له تالياً : البلوي، ثبت.

(٣) ابن عاصم، جنة الرضا، جـ١، ص٦٥-٦٦، مقدمة المحقق، تنظر الرسائل الثلاث في جنة الرضا، جـ٢، ص٢٨٨-٣١١؛ المقري، نفح الطيب، م٦، ص١٥٣-١٥٤؛ أزهار الرياض، جـ١، ٥٦-٥٨.

(٤) ابن عاصم، جنة الرضا، جـ١، ص٦٦، مقدمة المحقق.

(٥) المقري، نفح الطيب، جـ٦، ص١٤٩.

(٦) المقري، أزهار الرياض، جـ١، ص١٨٦، نفح الطيب، م٥، ص٢٢.

* ألف أحد المستشرقين بحثاً بعنوان عائلة بنو عاصم، سياسيون ومثقفون في غرناطة خلال القرن الخامس عشر الميلادي، ينظر Seco De Lucena Paredes Luis "Los Banu 'Asim, intelectuules y Politicos granadinos del siglo XV", Meah, II, 1953, 5-14, Escuela de estudios arabes de Granada, Catalogo de La exposicion celebrada con motivo del cincuentenario, 1932-1982.

غرناطة في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. ويشيد ظهير سلطاني صدر من سلطان غرناطة برسوخ قدم هذه العائلة بالعلوم وظهور أعلام علماء منها خلدتهم الكتب، فهذا ظهير سلطاني لأبي يحيى بن عاصم بتقديمه النظر في أمور الفقهاء وغيرهم سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م يظهر الأشادة بهذه العائلة، ونصه "ألا وإن بيته هو البيت الذي طلع في أفقه كل كوكب وقاد ممن رسخ به العلوم اتقاء واتقاد، وترامى به للمدارك ذكاء، واتقاد، فأعظم بها أعلاماً وصدوراً، وأهله وبروراً، خلدت ذكرهم الدواوين المسطرة، وسرت في محامدهم الأنفاس المعطر"[1].

فمن أعلام عائلة بني عاصم أبو عبدالله محمد بن محمد بن عاصم (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) الذي تقلد عدة مناصب في مملكة غرناطة منها الكتابة بالديار السلطانية والنيابة عن صاحب القلم الأعلى[2]. وأنجبت كذلك هذه العائلة عالماً فقيهاً آخر وهو من عمومة أبي يحيى محمد بن عاصم، ويحمل الكنية والإسم واللقب نفسه أي أنه أبا يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم المعروف الشهيد (ت٨١٣هـ/١٤١٠م) [3] كذلك كان والد أبي يحيى ابن عاصم (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م) وهو أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم (ت٨٢٩هـ/١٤٢٦م) كاتباً وعالماً في النحو والفقه والقراءات[4].

ومن الرواد الكتاب الأوائل في مملكة بني الأحمر في عهد مؤسس الدولة محمد الأول الغالب ابن يوسف بن نصر (٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣٢-١٢٧٣م) الكاتب البليغ علي بن محمد بن هيضم الرعيني (ت٦٦٦هـ/١٢٦٨م) [5]. ومن أدباء

---

(١) المقري، نفح الطيب، م٦، ص١٥٨.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٩٨.

(٣) المجاري، برنامج المجاري، ص١٢٦؛ ابن عاصم، جنة الرضا، جـ١، ص٣٩-٤٠، مقدمة المحقق.

(٤) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٥) البشتكي، مركز الإحاطة، "مخطوط" ورقة رقم ٢٠٢أ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٦٣.

غرناطة عبد العزيز بن بشت المكنى بأبي سلطان الذي تـأثر بـأبي بكـر عتيق بـن مقدم - وهو من مشيخة الصوفية بالعاصمة غرناطة - تـأثراً ظهـرت عليـه فـي أدبه(١). ونبغ الكاتب والفقيه ابن الجياب الأنصاري الغرناطي في أكثر مـن مجـال فقد وصفه التنبكتي بأنه شيخ الكتبة ورئيسها وكبير الطبقة وعالمها العالم والفـاضل الأديب البليغ الشهير(٢). له قلم فصيح وباع في الكتابة والخطابة(٣). وممن كـان لـه شأن في الأدب محمد بن عيسون اللخمي الغرنـاطي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) وبسـبب ذلك نال استحسان سلاطين بنـي الأحمـر(٤). ومنهـم أيضـاً الكـاتب أبـو العـلاء بـن سـماك الغرنـاطي(٥). ومنهـم محمـد بـن شـبرين الجذامـي الغرنـاطي (ت٧٤٧هـ/١٣٤٦م) الذي وصف بأنه لوذعياً فـي كتابتـه مليحـاً سباقاً فـي ميدانهـا نثره يرجح على شعره، كما اشتهر ببراعة الخط(٦). ومنهم الأديب البارع والكـاتب البليغ وفصيح القلم ابن فضيلة المعافري(٧).

وأشاد المؤلفون بعلو منزلة الرحالة ابن الحاج النميري في الكتابة حيث قـال فيه ابن الأحمر "هو فحل النثار والنظـام ورأس أهـل البلاغـة العظـام، امتطـى مـن ديوان الانشاء جواداً تقدم مجلياً، وغدا له من كل منتم لهذه الطريقة لـه مصلياً"(٨). وأشاد ابن الخطيب بجودة أدبه(٩).

---

(١) المقري، نفح الطيب، م٦، ص١١٥.

(٢) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٠٤.

(٣) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢٣٥.

(٤) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٢٣٧.

(٥) المصدر نفسه، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٩٨.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٤؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٥٣؛ ابن حجـر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٤٣٩.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٥٦.

(٨) أبو الوليد ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق محمد التركي التونسي، مراجعة محمد بن تاويت التطواني، مطبعة المهدية، تطوان، ١٩٦٤، ص٦٩. وسيشـار لـه تالياً : ابن الأحمر، مستودع العلامة.

(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٣٤٣.

ومن أشهر أدباء غرناطة الكاتب الفقيه ذو الوزارتين ابن الجياب الغرناطي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) [١] الذي تقلد الكتابة في دولة بني الأحمر حوالي خمسين سنة وكان استاذاً لابن الخطيب الذي ورث عنه خطة الكتابة برضى منه[٢]. وقال فيه ابن الخطيب : شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ. ثم يقول وهو شيخي الذي كانت بداية تأدبي على يديه[٣]. وفي الحقيقة أن ابن الجياب هو أحد الأمثلة الواضحة على أدباء وعلماء غرناطة حاملي راية الموسوعية والمشاركة في كثير من العلوم، شأنه شأن تلميذه ابن الخطيب وفي هذا الصدد يقول ابن الخطيب فيه "إنه بلغ الإمامة في البلاغة .. والإستيلاء على غاية الأدب... شيخ طلبة الأندلس... ومشاركة في كثير العلوم، قائما على العربية واللغة، إماماً في الفرايض والحساب، عارفاً بالقراءات والحديث، متبحراً في الأدب والتاريخ، مشاركاً في علم التصوف، فذاً في المسائل الأدبية البيانية، حامل راية المنظور والمنثور... شيخ الكتابة وبانيها"[٤]. كما أشاد ابن الأحمر كذلك بقدراته الأدبية[٥].

وهناك طائفة من الأدباء الغرناطيين لم يذكر لهم نتاج أدبي معين منهم عبد الحق بن عطية المحاربي المعاصر للسان الدين بن الخطيب، فبعد أن درس على يد أدباء وعلماء غرناطة ومالقة ووادي آش وتوليه عدة مناصب قضائية وخطابية في المساجد انتقل الى غرناطة سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م. وقد مدحته المصادر وذكرت له نصوصاً نثرية وشعرية[٦]. ومنهم الأديب ابراهيم بن عبد العزيز الغرناطي (ت٧٦٥هـ/١٣٦٤م) الذي أفاد الناس من علمه الجم لنشاطه[٧]. ومنهم حسن بن عبد السلام الغرناطي والذي وصف بأنه بارعاً في كتابة الكتب[٨] ومنهم الكاتب

---

(١) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص٥٥

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٢٥-١٢٦؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٠٨.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٢٥.

(٤) المصدر نفسه، م٤، ص١٢٥-١٢٦.

(٥) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص٥٥

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٥٥٥-٥٦٩؛ المقري، نفح الطيب، م٧، ص٢٨٢-٢٨٧.

(٧) ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٣، جـ٢، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٨) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٢٩.

الخضر بن أبي العافية الذي عرف ببراعة أدبه حيث قال عنه ابن الخطيب بأنه ظريف الخطاب بارع الأدب[1]، كما أشاد كل من النباهي والتنبكتي ببراعة أدبه[2]. ومن أشهر أدباء غرناطة أحمد بن فركون وهو من بيت علم وأدب تتلمذ على أدباء بلده غرناطة وخاصة الوزير ابن الخطيب الذي نمى فيه الملكة الأدبية وجعله ناسخاً لكتبه بين يديه بعد أن أسكنه في بيته. فنشأ أديباً بارعاً تميز بين بقية الكتاب بخط أنيق مما دفع ابن الخطيب إلى ترشيحه للكتابة في الديوان السلطاني على حداثة سنه والعجب من أمر ابن فركون أنه أساء إلى أستاذه وصاحب الفضل عليه ابن الخطيب إساءة صارت مثلاً يضرب في جحود النعم كان حياً سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م[3]. وسلك أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي مسلك أبيه أبي القاسم محمد وأخيه أبي عبدالله محمد في توجهاته العلمية والأدبية وبرز في مجال الكتابة والشعر[4]. وقال عنه ابن الخطيب "أدبه ساطع وكلامه حسن المقاطع"[5]. ومن أدباء غرناطة أيضاً محمد بن الجنان الغرناطي[6].

شهدت غرناطة وفود عدد كبير من الأدباء الكتاب الأندلسيين الذين اسهموا بشكل فعال في النشاطات الأدبية داخل غرناطة منهم يوسف بن محمد اليحصبي اللوشي خطيب مملكة غرناطة وصاحب قلمها الأعلى الذي عرف ببراعته في الكتابة ومهارة خطه وقد بلغ شأناً كبيراً عند سلطان غرناطة الأول الغالب بالله حتى كان من متقدمي الحضور لجنازته عند وفاته سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م[7]. ومنهم الأديب الكاتب أبو القاسم عبدالله بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري من أهل قرطبة (ت٦٦٦هـ/١٢٦٨م) الذي تولى التدريس في غرناطة وانتفع به عدد كبير

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٤٩٤.

(٢) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٤٩؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٠-١١.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٢٠-٢٢١؛ الكتيبة الكامنة، ص٣٠٥-٣٠٧؛ المقري، نفح الطيب، م٧، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٥٨؛ المقري، أزهار الرياض، جـ٣، ص١٨٧-١٨٨.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٥٩.

(٦) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٥٧.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٢١.

من طلبة غرناطة[١]. ومنهم ذو الوزارتين الكاتب أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الذي توجه من مدينة رندة الأندلسية إلى غرناطة وذلك عندما أوقع السلطان محمد الثاني الفقيه بالوزراء من بني حبيب وقعة وصفت بأنها وقعة برمكية، فمدح ابن الحكيم السلطان وهنأه بقصيدة طويلة في مدينة رندة نالت إعجابه، فاستدعاه إلى غرناطة فوفد إليها آخر عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م وأصبح من خواص دولته واستمر في حظوته حتى وفاة السلطان المذكور عام ٧٠١هـ/١٣٠٢م. وتولى ابنه محمد الثالث المخلوع، فزاد من تقريبه وجمع له ما بين الكتابة والوزارة ولقبه ذي الوزارتين وكانت معرفته في الكتابة تفوق مستوى معرفته بالشعر وقد أورد له ابن الخطيب نموذجين من رسائله الأولى كتبها عن السلطان في فتح مدينة قيجاطة والثانية بصورة إجازة لأحد طلبته[٢]. وشد الناس إلى ذي الوزارتين بن الحكيم الرحال ومدحوه وألفوا له كتباً، فقد ألف له الشيخ الفقيه المحدث عبد الرحمن بن أبي طالب العزفي (ت٧١٧هـ/١٣١٧م) كتاب "الإشادة بذكر المشتهرين من المتأخرين بالأفادة"[٣]. وقد انتهت حياته بمأساة فقد قتل يوم خلع سلطانه في صبيحة عيد الفطر عام ٧٠٨هـ/١٣٠٩م ومثل بجسمه ولم يدفن ونهبت له كتب لا تقدر بثمن[٤]. وعرف عن ابنه أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم اللخمي بأنه كان كاتباً بليغاً[٥]. كما أنجب ذو الوزارتين محمد بن الحكيم كاتباً آخر هو أبو القاسم يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي الذي كان في كتابته هو الآخر بليغاً رفيعاً شأنه شأن أبوه وأخوه[٦].

---

(١) المصدر نفسه، م٣، ص٤١٧-٤١٨.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٤٤٦-٤٤٧؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٩٣؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٤٩٨.

(٣) المقري، أزهار الرياض، جـ٣، ص٣٥٦.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٤٧٤؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٩٦؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥٦.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٧٢-٢٧٤.

(٦) المصدر نفسه، م٢، ص٢٦٦.

ومن أدباء مالقة الذين انتقلوا إلى غرناطة أحمد بن محمد بن خلف المتوفى عام (٧٣٠هـ/١٣٣٠م) والذي وصف باتقان الخط وأصبح من كتاب الإنشاء بها[١]. ومنهم محمد بن أبي بكر القرشي المالقي الذي سكن غرناطة وتردد عليها وعرف ببراعته في الكتابة والخط[٢]. ومنهم ابن قرال الذي عرف ببراعة خطه الذي بلغ فيه أعلى درجات الإجادة فمكنه ذلك من استنساخ العديد من الدواوين[٣]. ومن أدباء الأندلس أيضاً ابن عميرة المخزومي ولم تقتصر اهتمامات هذا العالم بعلم الحديث بل كانت الكتابة أيضاً من أهتماماته وفي هذا المضمار قيل فيه "أما الكتابة فهو علمها المشهور، وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدهور، ولا سيما في مخاطبة الاخوان"[٤]. ومن مهرة كتاب الأندلس الذين استقروا في غرناطة ابراهيم بن جابر الجذامي الوادي آشي (ت٧٤١هـ/١٣٤١م) فقد كان كاتباً بليغاً تتلمذ على يد العديد من مشاهير علماء غرناطة منهم ابن الزبير وابن رشيد[٥].

ودخل غرناطة العديد من علماء المغرب وشاركوا في النشاطات الأدبية فيها ومن أشهر هؤلاء العلامة ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) الذي حدثت له جفوة مع سلطان تونس فشفع له الوزير مسعود على أن يترك تلمسان إلى أي مكان يريد فاختار ابن خلدون الأندلس وأرسل زوجته وإبنه إلى أخوالهم بقسنطينة سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م ودخل غرناطة في عهد سلطانها محمد الخامس الغني بالله في عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م وقد تعرف سابقاً على السلطان الغرناطي الغني بالله في منفاه بفاس في عهد السلطان المريني أبي سالم. بواسطة صديقه لسان الدين بن الخطيب وكان ابن خلدون يقوم بخدمة الغني بالله ويعمل على قضاء حاجاته في الدولة المرينية[٦]. وعندما دخل غرناطة احتفى به سلطانها حفاوة عظيمة وأرسل

---

(١) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٥١٥؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٤٦٠.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٧٥.

(٤) المصدر نفسه، م١، ص١٧٣.

(٥) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٦١

(٦) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص٨٢-٨٣.

كبار رجال دولته لتلقيه وأكرم وفادته، وخلع عليه وأجلسه بمجلسه الخاص، وبره في أكله وسمره. ويقول ابن الخطيب أن ابن خلدون أرسل إليه خطاباً وهو على أبواب غرناطة، فأجاب ابن الخطيب على ذلك. وعندما استقر فيها جرت بينهما مكاتبات بانت من خلالهما براعتهما الأدبية. وذكر ابن الخطيب له عدة تآليف منها شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحاً بديعاً يدل على طول باعه وعمق ادراكه وغزارة حفظه. ولخص كثيراً من كتب ابن رشيد. وكتب لسلطان غرناطة بناء على طلبه كتاباً مفيداً في المنطق، وكان ابن خلدون عندئذٍ مهتماً بالعلوم العقلية ولخص محصل الامام فخر الدين بن الخطيب الرازي. أما نثره ورسائله السلطانية فقد اتصفت بالبراعة والشجاعة والبلاغة مما يدل على انفتاح قريحته واسترسال طبعه[1].

ويعلق المقري على ما ذكره ابن الخطيب حول ابن خلدون فيقول هذا كلام لسان الدين في حق ابن خلدون في بداية سيرته وأوسطها فكيف لو أطلع على تاريخه الكبير الذي سماه بالعبر والذي ألفه بعد وفاة ابن الخطيب[2]. أما ابن حجر فقال عنه : اعتنى بالأدب وأمور الكتابة والخط حتى مهر بجميع ذلك[3]. ويقول ابن خلدون أن السلطان الغني بالله أرسله سفيرا سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م إلى ملك قشتالة بطره الأول الملقب القاسي (Pedro1 El Cruel) (٧٥١-٧٦٩هـ/١٣٥٠-١٣٦٩م) في مهمة لعقد صلح بين الأسبان والسلطان المريني، ثم عاد إلى غرناطة. ولكن أعداء ابن خلدون وأصحاب السعايات وشوا به عند صديقه الوزير ابن الخطيب وحركوه عليه، وذلك لحظوته عند السلطان وزيادة اهتمامه به، فأحس ابن خلدون بنفور ابن الخطيب، وكان عندئذ هو الوزير المتمكن في الدولة. ولما استدعى ابن خلدون من قبل سلطان المغرب إلى بجاية، استأذن سلطان بني

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤٩٩-٥٠٨.

(٢) المقري، نفح الطيب، م٦، ص١٩١.

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رفع الأصر عن قضاة مصر، ثلاثة أقسام، تحقيق حامد عبد المجيد، مراجعة ابراهيم الايباري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦١، ق٢، ص٣٤٣. وسيشار له تالياً : ابن حجر، رفع الأصر.

الأحمر محمد الخامس بالرحيل، وأخفى عنه تغير موقف لسان الدين بن الخطيب تجاهه حفظاً للمودة، فانزعج ابن الأحمر لذلك، لكنه لم يسعه إلا الموافقة[1]. فودعه وداعاً حسناً وأكرمه وكتب له مرسوماً عند توديعه تضمن تكريماً له وأشاد به بخط صديقه ابن الخطيب، وموقعاً بخط السلطان في عام ٧٦٦هـ/١٣٦٥م[2]. ويبدو أن ابن خلدون كان ينوي الإقامة الدائمة في غرناطة، ولكن نفره ابن الخطيب خشية من أن يحل محله في منصب الوزارة لما يتمتع به ابن خلدون من قدرات، وما عرف عنه من حب الرئاسة[3] هي التي حملته على مغادرة غرناطة.

ويبدو أن ابن خلدون دخل غرناطة مرة ثانية قادما من فاس[4]. ولكن لم تشر المصادر إلى مدة إقامته في غرناطة ولا إلى نشاطه السياسي أو الثقافي فيها.

ومن الجدير بالذكر أن هنالك بعضاً من أدباء غرناطة ممن شاركوا في نشاطها الأدبي هاجروا إلى المغرب منهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت٧٥٧هـ/١٣٥٦م) الذي يعد من أشهر أدباء غرناطة وكتابها تتلمذ في غرناطة على أبيه أبي القاسم محمد بن جزي، وقاضي الجماعة الشريف السبتي، وابن لب وابن سلمون وابن شبرين وأبي حيان[5]. وأثنى عليه لسان الدين بن الخطيب ببراعة أدبه حيث قال عنه بأنه أديب قرع في الأدب كل شاهق وأصبح من الأدباء النادرين في زمانه[6]. وقد اختلف ابن جزي مع السلطان أبي الحجاج يوسف الأول فاتجه نتيجة ذلك إلى المغرب وتولى الكتابة للسلطان المريني أبي عنان[7]. ولأن معرفة ابن بطوطة كانت مقتصرة على الجانب العلمي مما

---

(١) ابن خلدون التعريف بابن خلدون، ص٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٦-٩٩.

(٣) أبو القاسم بن رضوان المالقي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٤، ص٢٧.

(٤) ابن حجر، رفع الأصر، ق٢، ص٣٤٤.

(٥) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٥٤.

(٦) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٦٦-٦٧.

(٧) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١١٦؛ المقري، أزهار الرياض، جـ٣، ص١٨٩.

دعى السلطان المريني إلى إصدار أمره إلى ابن جزي لكتابة الرحلة. ويكفيه فخراً أنه عرض بأسلوبه الأدبي المتميز أشهر رحلة لأشهر رحالة عربي مسلم هي رحلة ابن بطوطة، فهو إذن الذي طبع رحلة ابن بطوطة بطابع الأدب في كثير من فصولها، وجعلها بعيدة عن الإسفاف في التعبير، فأصبحت الرحلة نموذجاً أدبياً يصور عصراً من عصور الازدهار الأدبي(١). ومنهم أيضاً علي بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي (ت٧٠٦هـ/١٣٠٧م) الذي وصف بأنه أديب مجيد وناقد حاذق ومحاضر ممتع(٢).

٤- الشعر :-

الشعر هو الكلام الموزون المقفّى وهو يشتمل على أغراض متعددة فمنه المدح والشجاعة والرثاء(٣). ويمثل الشعر الظاهرة المصاحبة لمختلف مراحل الوجود الاجتماعي. وهذه الظاهرة التعبيرية تتأثر بشكل كبير في المناخ السياسي والاجتماعي التي تعيش فيها البلاد(٤).

ولم يترك شعراء مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر فناً من فنون الشعر أو غرضاً إلا وتطرقوا له(٥). وقد حفلت مملكة غرناطة بطائفة كبيرة من الشعراء ممن أغنوا التراث الشعري العربي، ومنهم ابن زمرك الذي يعد من أبرز شعراء غرناطة في القرن الثامن الهجري، وهو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي. وهو التلميذ البارع للسان الدين بن الخطيب الذي أخذ عنه العلم والأدب، وتولى مرتبة الوزارة من بعده، لكنه جحده وكاد له المكائد وشارك مشاركة فعلية في قتله(٦).

---

(١) الدباغ، من أعلام الفكر، ص١٩٤-١٩٦.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٢٢-١٢٤؛ المقري، نفح الطيب، م٦، ص٢٥٧-٢٦٠.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، م٣، ص٣٢٢.

(٤) قاسم الحسني، الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري (موضوعاته وخصائصه)، ط١، الدار العالمية للكتاب، المغرب، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦، ص١٥، وسيشار له تالياً : الحسني، الشعر الأندلسي.

(٥) المرجع نفسه، ص٦٥.

(٦) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص٣١٤؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥٠.

وقد انبرى لدراسة سيرة ابن زمرك وشعره عدد كثير من المؤرخين والباحثين القدامى منهم والمحدثين بصورة تفصيلية. ومن الغريب أن أستاذه ابن الخطيب قد أفرد له ترجمة أشاد فيها به، فبعد أن يذكر ولادته ونشأته في ربض البيازين يقول عنه بأنه صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نجبائها وذات ذكاء مستقر حتى عده شغله من شتل الذكاء عرف برقته وحيائه وحشمته وكرمه، نشأ عفاً طاهراً، متكلماً فوق الكرسي المنصوب، وبين الحفل الجموع، اعتنى بالأدب، فكان أمْلَك به، واهتم بالرحلة في طلب العلم والازدياد[١] ولما خلع محمد الخامس سلطان بني الأحمر، واستقر بالمغرب، قربه وخصه بوظيفة كتاب السر. واستمر بهذه الوظيفة عندما عاد محمد الخامس الغني بالله إلى سلطنة غرناطة، فظهرت كفاءته خطاً وإنشاءً ولغةً ونقداً، وازداد رضى السلطان عنه، ومدح السلطان في قصائد كثيرة[٢].

وكان ابن زمرك قد درس على أعلام علماء غرناطة وغيرهم مثل ابن الفخار وأبي القاسم الحسني والاستاذ ابن لب ودرس العلوم العقلية بمدينة فاس على الشريف أبي عبدالله العلوي التلمساني وغيرهم كثير[٣]. ودرس الأدب على لسان الدين بن الخطيب[٤].

أما شعر ابن زمرك فقد أسهب المؤلفون والقدامى والمحدثون فيه درساً ونقداً. بل أن منزلته الشعرية أدت بأحد سلاطين غرناطة وهو أبو الحجاج يوسف الثالث بن يوسف الثاني بن محمد الخامس الغني بالله إلى جمع ديوان شعره في

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٣٠١-٣٠٢.

(٢) المصدر نفسه، م٢، ص٣٠٢.

(٣) المصدر نفسه، م٢، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٤) المقري، نفح الطيب، م٧، ص١٦٦.

كتاب سماه "البقية والمدرك من شعرء ابن زمرك"[١]. وهو سفر ضخم ليس فيه الا نظمة فقط[٢].

وقال ابن الخطيب بأن شعره مترام إلى حد الإجادة، خفاجي النزعة، غزيـر المادة[٣]. وعن ابن زمرك قال ابن الأحمر بأنه تقلد سيف الشعر المحلى[٤]. وانتقى له المقري قصائد كثيرة في نفح الطيب[٥]، وأزهار الرياض[٦].

وقد أحصى أحد الباحثين شعر ابن زمرك فقال اني جمعت لها ألفين وستمائة وأربعة عشرة بيتاً من الشعر، وهذا يبلغ نصف انتاجه الشعري، وجرى إحصاء يتعلق بأغراض ابن زمرك في شعره، فوجد أن المدح الصرف تجاوز نصف ما بقي من شعره، وأن الوصف بلغ الخمس، والنسيب قارب العشر[٧].

ويقول باحث آخر : لو اقتصر ابن زمرك على المدح لما استحق إلا قليل من اهتمام الباحثين، ولكن لحسن الحظ أن ابن زمرك ترك شعراً من طراز آخر اهتم فيه بوصف الطبيعة برهن فيه على براعته وتفننه وإحساسه اللطيف، وهو وإن كان مقتدياً بالشاعر ابن خفاجة الأندلسي فإنه قد وفق مراراً إلى أصله، ولا سيما في أسلوبه السلمي الغني بالصور الرائعة العذبة، ويبدو ذلك جلياً في موشحاته الشيقة وكثيراً ما يقوم المؤرخون والنقاد بالإستشهاد عن ابن زمرك بهذا

---

(١) المقري، ازهار الرياض، جـ٢، ص١١؛ سرميني، خصائص الشعر الأندلسي، ص١٣٣؛ هرامة، القصيدة الأندلسية، جـ١، ص٣٩؛ صالح عبد السلام البغدادي، ابن زمرك الاندلسي حياته وأدبه، منشورات جامعة سبها، مطبعة الثورة العربية، طرابلس، ١٩٨٨، ص٤٧. وسيشار له تالياً : البغدادي، ابن زمرك الاندلسي؛ حمدان حجاجي، ابن زمرك شاعر الحمراء، حوليات جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة الجزائر، ١٩٨٧-١٩٨٨، العدد ٢، ص٤٤. وسيشار له تالياً : حجاجي، ابن زمرك.

(٢) البغدادي، ابن زمرك الأندلسي، ص٤٧.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٣٠٣.

(٤) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٥١.

(٥) المقري، نفح الطيب، م٧، ص١٤٧-١٨٥.

(٦) المقري، أزهار الرياض، جـ٢، ص١٠-٢٣.

(٧) الحمصي، ابن زمرك الغرناطي، ص١٢٣.

اللون من شعره[1] فقد برع ابن زمرك في مجال الموشحات كما سيشار إلى ذلك تالياً.

ومن الجدير بالذكر أن لابن زمرك قصائد يصف فيها قصور الحمراء في مجموعها وحدائقها، وشعره فيها كأنه أنغام راقصة ترقص على وقعها الزهور والنجوم. وأن من يعرف هذه القصور ليجد في ذلك الشعر تصويراً بديعاً رائعاً لها[2]. فمثلاً قال في وصفه حدائق قصر شِنِّيل وقد خرج السلطان محمد الخامس الغني بالله للنزهة فيها :-

يا قصر شنيل وربعك آهل   والروض منك على الجمال قد اقتصر
لله بحرُك والصبا قد سردت   منه دروعاً تحت أعلام الشجر[3]

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن المرء يجد بعض الأبيات المنتقاة من تلك القصائد ضمن نقوش الحمراء وذلك دليل شاهد على ما كان يوليه السلطان محمد الخامس الغني بالله من عنايته لشعر ابن زمرك، بل أن هناك ما يؤكد أن ابن زمرك قد قدم نص جميع الرسوم المنقوشة على أجزاء الحمراء التي أمر السلطان محمد الخامس بتشييدها أو ترميمها، وهناك شبه كبير بين أسلوب ابن زمرك وبين نقائش الحمراء التي قام بإحصائها علماء الآثار[4]. فقد نقشت بعض أبيات ابن زمرك على جدر الحمراء وهي تكون جزءاً لا ينفصل من زخارف قصور بني الأحمر. ويعطينا بعض الباحثين نموذجاً منها أبيات كان بعضها قد نقش على جدر بهو الأختين وهي قصيدته التي قالها في وصف دار الملك التي ابتناها السلطان محمد الخامس الغني بالله ومطلعها :

سل الأفق بالزهر الكوكب حالياً   فإني قد أودعته شرح حاليا
وحمّلتُ معتل النسيم أمانه   قطعت بها عمر الزمان أمانيا

---

(١) حجاجي، ابن زمرك، ص٤٧.

(٢) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص١٤١.

(٣) البغدادي، ابن زمرك الأندلسي، ص١١٠؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص١٤٠.

(٤) ريجيسي بلاشير، الوزير الشاعر ابن زمرك وآثاره، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٨٦، العدد، ٢٥، ص١٣٩، وحاشيتها. وسيشار له تالياً : بلاشير، الوزير الشاعر ابن زمرك.

إلى أن يقول :

ولله منـــاك الجميـــــــل فإنه يفوق على حكم السعود المبانيا

به البهو قد حاز البهـــاء وغدا به القصر أفاق السمــــاء مباهيا

به المرمر المجلو قد شف نوره فيجلو من الظلمـــاء ما كان داجيا

إذا ما أضاءت بالشعـــاع تخلها على عظم الأجـــرام منها لآليا

به البخر دفاع العبـــاب تخـاله إذا ماانبرى وفد النسيــــم مباريا[1]

لكن أحد الباحثين المعاصرين الذي رحل إلى الأندلس وشاهد بنفسه مـا كتـب علـى الجدران يحدد أبيات ابن زمرك التي كتبت في قاعة الأختين وهي :

تبيت لــه خنسـى الثريــا معيذه ويصبـح معتل النسيــم رواقيا

فبيــن يدي مولانـا قامـــت لخدمــه ومن خدم الأعلى استفاد المعاليا

به المرمــر المجلـــو قد شـف نوره فيجلـو من الظلماء ما كنا داجيا

والقصيدة التي يبلغ عدد أبياتها ما يقارب المئة والخمسين بيتاً قد نقش معظمها في الأماكن المناسبة لها، إلا أن الترميمات التي تمت من قبل الأسبان قد شوهت بعض الكلمات وحرفتها[2].

ومن قصائد ابن زمرك التي يصف فيها روعة غرناطة قوله :

يامــن يحــن إلى نجـــد وناديها غرناطـــة قد ثوت نجد بواديـهـا

تقلـدت بوشـاح النهر وابتسمـت أزهارهـــا وهي حلى في تراقيها

فإن حمراءها واللـــــه يكلؤهـا ياقوتـــه فوق ذاك التاج يعليهـــا

بروجهـا لبروج الأفــق مخجلــة فشهبـهـا في الجمـال لا تضاهيها

تلك القصور التي راقت مظاهرها تهوى النجوم قصوراً عن معاليها[3]

---

(1) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص١٤١-١٤٢؛ عبدالله أنيس الطباع، القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية، ط١، دار زيدون، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٥٢-٢٥٣. وسيشار له تالياً : الطباع، القطوف اليانعة.

(2) أحمد عبدالرحمن السماوي، رحلة إلى الفردوس المفقود الأندلس، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨، ص١٣٧.

(3) المقري، نفح الطيب، م٧، ص١٧١-١٧٢؛ أزهار الرياض، جـ٢، ص٢١-٢٢.

برع ابن الخطيب بالشعر وقال عنه ابن خلدون "آية من آيات الله في النظم والنثر"[١] وقال آخرون تولع ابن الخطيب بالشعر فبرع فيه فجاد وفاق أقرانه. واتصل بالسلطان ابن الأحمر أبي الحجاج يوسف الأول فمدحه وتقرب منه[٢]. وأطلق ابن الأحمر عليه شاعر الدنيا[٣]. ويقول المقري عن شعره بأنه من النهاية في الحسن[٤]. ويقول محمد عبدالله عنان : ان ابن الخطيب في النظم يرتفع إلى مراتب سامية وأنه من الصعوبة بمكان أن نفاضل بين ابن الخطيب الكاتب وابن الخطيب الشاعر، إذ أنه بلغ القمة في النثر والشعر معاً. ويمكن عده أعظم كاتب وأعظم شاعر في الغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري[٥].

ومن أبرع ما صدر عن لسان الدين من قصائد شعرية لاميته المشهورة التي خاطب بها السلطان الغني بالله عند عودته من المغرب إلى غرناطة واستعادته لملكه الذي فقده. ويقال أن السلطان أمر بكتابة هذه القصيدة على قصوره في الحمراء اعجاباً بها، وأنها كانت لا تزال - حتى عهد المقري - مكتوبة على الرغم من استيلاء الأسبان عليها وأول هذه القصيدة :-

الحق يعلو والأباطل تسفل   والله عن أحكامه لا يُسأل[٦]

وقال في غرناطة :-

أحييك يا معنى الكمال بواجب   وأقطع في أوصافك العز أوقاتي

تقسم منك الترب قومي وجيرتي   ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي[٧]

وله قصيدة بالمدرسة التي بناها السلطان بن الأحمر أبو الحجاج يوسف الأول وهي منقوشه على المدرسة نفسها كما ذكر المقري ومنها :-

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٥٩١.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٨٩؛ الشوكاني، البدر الطالع، جـ٢، ص١٩١.

(٣) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص٥٨.

(٤) المقري، نفح الطيب، م٦، ص٤٤٩.

(٥) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٠٥.

(٦) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، جـ٢، ص٢٨٧-٢٩٧؛ المقري، نفح الطيب، م٦، ص٤٧٨.

(٧) المقري، نفح الطيب، م٦، ص٥٠٣.

إلا هكـــذا تبنـى لمــدارس للعلـم — وتبقى عهود المجد ثابتة الرســم
ويُقصــد وجــه الله بالعمل الرضى — وتجني ثمار العز من شجر العزم
يفاخر منــي حضــرة الملــك كلما — تقدم خصم في الفخار إلى خصـم
فياظاً عنـاً للعلـــم يطلـــب رحلــةً — كفيت اعتراض البيد أو لجج اليم
جزى الله عني يوسفاً خير ما جرى — ملوك بني نصر عن الدين والعلم(١)

واحتفل السلطان المريني أبو سالم إبراهيم في محـرم عـام ٧٦١هـ/١٣٦٠م بقدوم السلطان المخلوع الغني بالله بحفل حضره جمع من أعلام المغرب وعلمائها فقام ابن الخطيب بإنشاء قصيدة رائعـة يدعـو فيهـا السلطان المرينـي إلـى نصـرة سلطان بني الأحمر المخلوع منها :

زجرنـا بإبراهيـم بـرء همومنـــا — فلما رأينا وجهـه صـــدق الزجــرُ
تناقلـت الركبـان طيـب حديثــه — فلما رأيتـه صـدق الخبــر الخبــر
قصدناك ياخير الملوك على النوى — لتنصفنا ممـا جني عبـدك الدهــرُ
وأنت إذا جــار الزمــانُ محكــم — لك النقض والإبرام والنهي والأمرُ
وهذا ابن نصر قد أتتى وجناحــه — مهيض ومن علياك يلتمس الجبــرُ
غريب يرجى منك مــا أنــت أهلــه — فإن كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخرُ
أعده إلى أوطانـــه عنــك راضيــاً — وطوقه نعماك التي ما لها حصر(٢)

ومن جمل الأغراض التي كتبت فيها هي المدائح النبوية ومنها قصيدة قـال فيها :

هل كنت تعلم في هبوب الريــح — نفساً يؤجــح لاعــج التبريـــح
أهدتك من مشج الحجـاز تحيـــة — غاضب لها عرض الفجاج الفيح
فكأنــما ليلــى نسيــب قصيدتــي — والصبح في تخلـــص لمديـــح
لما حططت لخير من وطأ الثرى — بعنان كــل مولــد وصريـــح(٣)

---

(١) المقري، ازهار الرياض، جـ١، ص٢٧٢؛ نفح الطيب، م٦، ص٤٨٢.

(٢) المقري، نفح الطيب، م٥، ص٨٦-٨٩.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٦٢-٤٦٣.

ولابن الخطيب أربعة دواوين هي : ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، وأبيات الأبيات، وفتات الأخوان ولقط الصوان، والخالي والعاطل والمسعف والماطل[1].

وديوان "الصيب والجهام والماضي والكهام" اختاره ابن الخطيب بنفسه أو اختار له بعض تلاميذه ما يتضمنه من الشعر، ومعظم القصائد الواردة فيه قيلت في مناسبات في زمن أبي الحجاج يوسف الأول وابنه محمد الخامس الغني بالله مثل القصيدة التي قالها في بلاء أبي الحجاج في معركة طريف والقصيدة التي هنأ بها الغني بالله يوم اعتلائه العرش عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م[2].

ولابن الخطيب كتاب بعنوان "السحر والشعر"[3] وهو عبارة عن مجموعة شعرية اختارها بمناسبة ترعرع ولده عبدالله تشمل طائفة من القصائد في أغراض مختلفة تتعلق بالوصايا والمبادئ من شعراء مشارقة ومغاربة من مختلف العصور والبلدان فمن المشارقة أبو العتاهية، وابن الرومي، والشريف الرضي، والبحتري، وابن المعتز، والمعري، وأبو نواس، ومن المغاربة : ابن رشيق، والمعتمد بن عباد، وابن عمار كما أورد بن الخطيب نماذج من شعره في العديد من صفحات الكتاب[4].

وأضافة إلى كون عبدالله بن ابراهيم بن الزبير – وهو أخ الأستاذ ابن الزبير – طبيباً ماهراً فقد كان كاتباً شاعراً[5]. وكذلك كان ابن الزبير الابن – وهو محمد بن أحمد – شاعراً مجيداً[6] وكان أبوه قد استجاز له شيوخ عصره من

---

(١) ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام، ص١١٩-١٢٠، مقدمة لمحقق؛ مرامة، القصيدة الأندلسية، جـ١، ص٤٥-٤٦.

(٢) ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام، ص١٦١-١٧٣.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٥٩.

(٤) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، جـ٢، ص١٨٩؛ ريحانة الكتاب، م١، ص٢٦-٣٠؛ ديوان الصيب والجهام، ص١٠٧-١٠٨، مقدمة المحقق؛ عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٧٢.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤١٩.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٥٦-١٥٧؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٣٩٣.

الشرق والغرب[1].

ومن الأمثلة عن الشعراء والعلماء متعددي المواهب ابن هذيل الذي وصفه المقري بقوله "ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى الشيخ الحكيم العلامة التعاليمي الشاعر البليغ أعجوبة زمانه في الاطلاع على علوم الأوائل أبو زكريا يحيى بن هذيل"[2]. وله ديوان يسمى "بالسليمانيات والعربيات"[3]. أما ابن الأحمر فقد قال فيه "هو من الشعر ابن واصله،...ويتكلم فيه بالعذب الزّلال كاد أن يكون أشعر من حبيب"[4].

وممن له شعر رائق أبو عبدالله الشامي[5] في مدائح النبي المصطفى (ص) تزيد على ألفي بيت، ومن نظمه قصيدة نبوية أولها :

أ أخاف من ذنبي وأنت شفيعي
وأخاف من جذب وأنت ربيعي[6]

ومن شعره أيضاً :

إذا كنت جاراً للنبي وصحبه ... ومكة بيت الله مني على قرب
فماضرني إن فاتني رغد عيشةٍ ... وحسبي الذي أوتيته نعمة حبي[7]

ومن المكثرين في شعرهم ابن شبرين الغرناطي حتى عظم حجم ديوانه

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٥٧؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، م١، جـ١، ض٧٠١-٧٠٢، ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٣٩٣.

(٢) المقري، نفح الطيب، م٥، ص٤٨٧.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٩١؛ البشتكي، مركز الإحاطة، (مخطوط)، ورقة رقم ٢٣٨ب-٢٣٩جـ وردت الكلمة الأخير في أعلاه بمخطوط مركز الإحاطة الغرفيات بدلاً من العربيات..

(٤) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٤٤.

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية، جـ٢، ص٢١٢؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢١٤؛ المقريزي، كتاب المقفى الكبير،جـ٧، ص٣٨٨؛ المقري، نفح الطيب، جـ٢، ص٥٩.

(٦) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢١٤.

(٧) المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٦، ص٣٨٨.

وأصبح في عدة أسفار وشعره متعدد الأغراض(١).

ومن شعراء غرناطة الشاعر الأديب علي الخزرجي الساعدي الذي اتسم شعره بطابع الزهد والوجد. وجمع قسماً من شعره في ديوان سماه "المواجد الخزرجية" ومن نظمه :

بأمر دنياك لا تغفل فكـــن حذراً   فقد أبانت لأرباب النهي عبتراً
فابعدتها ولا تلهج بزخرفهـــــا   وغض طرفك عنه قل أو كثرا
وأصبحت وصل وواصل كل أوانه   على النبي سلاماً طيباً عطــــراً(٢)

وكان لمحمد النمري الضرير تبحراً في خطب العرب وأشعارها مستشهداً بها عند قيامه بتدريس اللغة العربية، حافظاً للأناشيد والقصائد الشعرية الطويلة. وله قصيدة على هيئة مقدمة لرسالة كتبها لزوجته عندما رحل من غرناطة إلى غيرها من البلدان(٣).

ومن الشعراء المكثرين الخضر بن أبي العافية الأنصاري (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م) وبلغ شعره منزلة الجودة والاتقان(٤).

وكان الكاتب والفقيه ابن الجياب الأنصاري الغرناطي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي نبغ بأكثر من مجال شاعراً وذكر أبو القاسم بن جزي كنا معشر الكتاب مجتمعين فخرج علينا شيخنا الرئيس ابن الجياب فأنشدنا بديهه مخاطباً الجميع :

أ أصحابنا يا صاحب الأدبـــاء   ويا نخبة الكتاب والشعـــراء
لأعطيتم فصل الخطاب ووصله   فيحجز عنكم واصل بن عطاء(٥)

وعرف عن الشاعر أحمد بن إبراهيم الأوسي الغرناطي المعروف بابن

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٤٠-٢٤٢؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٤٣٩-٤٤٠.

(٢) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢١٤.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣١-٣٣.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٤٩٤؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١١٥، ابن القاضي، درة الحجال، جـ١، ص٢٦١؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١١٠-١١١.

(٥) ابن القاضي، درة الحجال، ص٢٣٤-٢٣٨.

جعفر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) ذكائه المتألق ذهنه الثاقب وقد أورد له ابن حجر بعضاً من شعره[1].

أما الشاعر العبدري المعروف بالوراد الغرناطي (ت٧٦١هـ/١٣٦٠م) اشتهر بشعر الهزل وأصبح بارعاً فيه[2]. وقد وصف بأنه أديب حاذق الذكاء، وأديب لا يعترض كلامه ولا ينتقد[3].

وقد وصف ذو الوزارتين الكاتب الشاعر أبو عبدالله محمد بن الحكيم بأن صناعته في الشعر مجزاة. وكان أعلم الناس بنقد الشعر[4].

وأثنى ابن الأحمر على الشاعر الغرناطي محمد بن محمد ابن العريف فوصفه بأنه شاعر اتصف بالإصابة في شعره لذلك اتخذ قدوة لشعراء آخرين، وأنه ماهر ومطبوع في شعره وذكر له شعراً قاله لما زاره ابن الخطيب في مرضه الذي أدى إلى وفاته، واقترح عليه دواء[5].

وأشاد ابن الأحمر ببراعة صاحبه ابن عبد العظيم الأوسي الغرناطي في شعره حيث يذكر أن أهل الأندلس قامت بمدحه لجودته مع اتصافه ببديهة بارعة كما عرف عنه بأنه "قائد أعنة الكلام الصادر منه وارده كالكلام"[6].

وكان محمد بن محمد بن محمد بن حسان الغافقي (ت٧٧٠هـ/١٣٦٩م) الكاتب البليغ والمتقدم في الحساب شاعراً مجيداً وله قصيدة طويلة أولها :

برق أضاء بحاجز ما يهدأ   وسناه في جنح الدجى يتلألأ[7]

وقد عرف غن العالم والفقيه والمحدث سعيد الغساني (الذي كان حياً زمن ابن الخطيب) بأنه كان حافظاً وناظماً للشعر، وقد وصفه معاصره ابن الخطيب

---

(١) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٩١-٩٤.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٦٩-١٧٠؛ ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٤٨.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٧٠.

(٤) المصدر نفسه، م٢، ص٤٥٧.

(٥) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٥٠-١٥١.

(٦) المصدر نفسه، ص١٤٨.

(٧) ابن حجر، الدرر طبعة القاهرة، جـ٤، ص٣٣٩.

بأنه رقيق الشعر، ويدل شعره على نبله وذكر له بعضاً من شعره(١).

وكان للحالة الحربية التي كانت عليها مملكة غرناطة مع الممالك الأسبانية أثر في ظاهرة الحماسة التي اتسم بها شعراء وأدباء غرناطة. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك القصائد التي نظمها أبو العلاء محمد بن سماك الغرناطي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) المعاصر لابن الخطيب فمن قصيدة له جاء في أولها :

فتح قضاه المالك الديان ذلت لعزة نصرة الصلبان

ومن قصيدة أخرى جاء في أولها :

أما الفتوح فهذا بابها انفرجا لقد تفجر فجر النصر وانبلجا

كما كان لابن سماك هذا باع طويل في علم العروض فاق غيره فيه(٢).

ومن متأخري شعراء غرناطة أبي الحسين بن فركون (ت بعد ٨٢٠هـ/١٤١٧م) الذي برع في الشعر وكان له ديوان شعري يتضمن العديد من القصائد التي قالها في مدح وتهنئة السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث في عدة مناسبات وهذا الديوان بمثابة سجل مفصل لتاريخ حياة السلطان يوسف الثالث والعصر الذي عاش فيه(٣).

وشاءت الصدف أن يكون الشاعر عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم البسطي الغرناطي الأندلسي آخر شعراء الأندلس الذي أدرك غرناطة عشية سقوطها ومن المحتمل أن يكون شاهد عيان على سقوطها بيد الأسبان عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م إذ أن هناك بعض الدلائل التي تشير إلى أنه كان حياً عام ٨٩٠هـ/١٤٨٥م(٤) وتتلمذ على بعض علماء غرناطة مثل البياني(٥) واتصل ببعض

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣١١.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٣) ابن فركون، ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق محمد بن شريفة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٧، ص١٨، مقدمة المحقق.

(٤) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، تحقيق جمعة شيخة ومحمد عبد الهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس، ١٩٨٨، ص٧، ١٤. وسيشار له تالياً : القيسي؛ ديوان، محمد كامل حسن المحامي، سطور مع العظماء، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٦٩، ص٢٤٦. وسيشار له تالياً : المحامي، سطور مع العظماء.

(٥) بنشريفة، البسطي، ص١٦.

رجالات غرناطة ومشاهير علمائها مثل ابن عاصم القيسي الملقب بالخطيب الثاني الذي تولى قضاء الجماعة في غرناطة سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م وابن الأزرق الذي تولى قضاء الجماعة أيضاً بغرناطة الذي رثاه الشاعر عبد الكريم القيسي[١]، ومن المعروف أن ابن الأزرق قد توفي سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م[٢]. والشاعر المذكور أدرك محنة غرناطة الأخيرة وكان من أشد الناس إحساساً بمحنة وطنه لذا لا نراه يقف بمعزل عما يجري ببلده من أحداث سياسية وعسكرية، بل يرى المرء في شعره صدى لما أصاب بلده من كوارث متوالية[٣]، كان أولها سقوط حصن اللقون وهو من حصون مدينة وادي آش بأيدي الأسبان عام ٨٣٦هـ/١٤٣٣م إذ يقول :

يا أهل وادي الآش لا در دركم

ولا برحتم لقًى للكرب والكمد

ضيعتم سفهاً حصون اللقون ولم   تراقبوا فيه حق الواحد الصمد[٤]

وله قصيدة حين استولى الأسبان على مدينة لورقة عام ٨٥٦هـ/١٤٥٢م، وهي قصيدة مخمسة أي كل جزء من القصيدة على هيئة خمس أشطر. وفيما يأتي الجزء الأول والثالث منها إذ يقول، وقلت أيضاً في كائنة لورقة :

لمصاب أندلسي تصوب الأدمع   ولما جرى فيها تذوب الأضلع

فلها مع الأعتداء حالٌ تفزع   تقضي بحسر من يرى أو يسمعُ

وتكاد مهجته لها تتصدع

فلقد أحال عددها أحوالها   جبن الخطوب أذاقها أهوالها

وأفاض في أقطارها إذلالها   لما أباد بلورقٍ أبطالها

يوم العَروبةِ كان فيه المَصْدع[٥]

وله قصيدة يشير فيها إلى حالة الشتات التي تعرض إليها الأندلسيون،

---

(١) محمود علي مكي، عبد الكريم محمد القيسي الغرناطي، مجلة العربي، الكويت، ١٩٦٧، العدد ١٠٧، ص٥٩. وسيشار له تالياً : مكي، عبد الكريم محمد القيسي.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، م٥، جـ٩، ص٢١.

(٣) مكي، عبد الكريم محمد القيسي، ص٦٠.

(٤) القيسي، ديوان، ص٣٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١٧٨.

ويستنهض الهمم من أجل إعادة حصن أرشدونة الذي استولى عليه الأسبان منها :

ونحن على نهج الشتات مسيرنا لإدراك مـــال المسلمين اوالملك
أفيقوا أفيقوا واهجروا النوم إنه حديث صحيح ما أقول وما أحكي[١]

وعرف عن بعض سلاطين بني الأحمر في غرناطة اهتمامهم بالشعر والشعراء وتقريب الشعراء إليهم وإكرامهم كما كان بعضهم شعراء فقد عرف عن السلطان الثاني محمد بن محمد الملقب بالفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٣-١٣٠٢م) إغداقه العطايا على العلماء والأطباء والعدول والحكماء والكتاب والشعراء وتقريبه إياهم. كما عرف عنه نظم الشعر، ورغم أن شعره مستظرف لأنه مقدم من قبل ملك، لكنه لا يرتقي إلى مستوى أعلام الشعراء[٢]. وقد أورد له كل من ابن الخطيب[٣]وابن القاضي شعراً[٤]. وعرف عن ثالث سلاطين بني الأحمر محمد بن محمد بن محمد المخلوع (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩م) أنه كان يقرض الشعر ويصغي إليه ويكرم الشعراء بالجوائز[٥]. وكان السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) من جلة الملوك فضلاً وعقلاً واعتدالاً[٦]. تتلمذ على علماء الدين ورجال الحرب والسياسة الذي كان يغص بها بلاط والده وبلاط أخيه من أمثال ابن الحاجب أبي النعيم رضوان والشيخ الريس ابن الجياب والوزير لسان الدين بن الخطيب. وقد وصفه أحد الباحثين بأنه كان شخصية فنانة تتمتع بروح شاعرية، عمل ما استطاع في سبيل حماية العلوم والآداب والفنون. ويتضح ذلك من تشجيعه للحركة العلمية وتشييده المدارس بالمملكة، وفي مقدمتها المدرسة اليوسفية، ورصد لها الأوقاف لمساعدة قصادها من العلماء والطلاب[٧].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٦٣-٣٦٤.
(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ٥٥٦-٥٥٨.
(٣) المصدر نفسه، م١، ص٥٥٨.
(٤) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص١٢٧.
(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص ٥٤٤؛ اللمحة البدرية، ص٦١.
(٦) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ق٢، ص٣٠٥.
(٧) شبانة، يوسف الأول، ص٤١-٤٣.

وحرص سلاطين بني الأحمر على أن يضم بلاط كل منهم فحول الشعراء ونال بعضهم حظوة في البلاط النصري ومن هؤلاء محمد بن عبدالله اللوشي الغرناطي (٧٥٢هـ/١٣٥١م) الذي نشأ مدللاً في كنف الدولة النصرية وقد وصفه ابن الأحمر بأنه شاعر فحل* (١) أما ابن الخطيب فقال عنه شاعر مفلق** (٢). وكان شاعراً مداحاً(٣)، فاتصل بالغالب بالله وهو أمير قبل أن يكون سلطاناً(٤)، واتصل كذلك بالسلطان أبي الوليد اسماعيل. وله قصيدة يهنئه بانتصاره على الأسبان ويصف المعركة بمدح غرناطة سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م منها :

سجدت رؤوسهم لسيفك هيبة

إذا يسرتها للسجود رقاب(٥)

وأجاد الشاعر الغرناطي محمد بن علي القيسي العرادي في نظم الشعر وبرع فيه خاصة فيما يتعلق بالمطولات منه وبلغ في ذلك شأناً كبيراً قاده إلى التقرب من السلاطين فازدادت براعته وأوشك أن يستولي على الأمر ويصبح من عظماء الشعراء ولكن وفاته شاباً حالت دون ذلك فتوفى عن سن قريب من العشرين عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م(٦).

وهناك طائفة من شعراء الأندلس الذين وفدوا إلى غرناطة منهم أحمد بن خاتمة الأنصاري المري (ت٧٧٠هـ/١٣٦٩م) من المرية الذي كان ينشد الشعر في

---

* فَحْل :- يضرب فيمن قوته على الضعيف. أما الفحولة في الشعر هو من قبيل المجاز، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩، ص٤٦٥. وسيشار له تالياً : الزمخشري، أساس البلاغة.

(١) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٥٤.

** شاعر مُفْلِق : يأتي بالفِلْق وهو العَجَبُ . الزمخشري، أساس البلاغة، ص٤٨١.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٧٠.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه، م٢، ص٢٦٩.

(٥) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٥٥.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٨٦-٢٨٧؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٠٨.

حضرة سلاطين غرناطة[1] فقد كانت أشعاره ضرباً من السمر تستأثر سامعها[2]. ووصف ابن الأحمر الشاعر المذكور بأنه "فارس الكتيبة الشعرية......ورب المدح المبدأ من القدح"[3].

ومن شعراء الأندلس أبو البقاء صالح بن شريف النفزي الرندي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) ووصف شعره بأنه عذب اللفظ رائق المعنى. وأغراض شعره كثيرة منها : المدح في السلطانيات والغزل وله قول في الليل والسهر. أصل هذا الشاعر من مدينة رندة ثم انتقل إلى مالقة. كان كثير الوفادة على غرناطة والتردد عليها مادحاً سلاطينها الذين أغدقوا عليه العطايا ونال حظوة عندهم، حتى أن قصيدته التي أولها :
"أواصلتي يوماً وهاجرتي ألفاً" نظمها بناءً على اقتراح سلطان غرناطة الذي أوعز إليه أن لا يخرج عن بعض بساتين السلطان حتى يكملها معارضاً فيها قصيدة محمد بن هاني الأليبري[4]. وصنف كتاباً في العروض وآخر في صناعة الشعر سماه "الوافي في علم القوافي"[5]. وقد اشتهر أبو البقاء الرندي في قصيدته النونية الخالدة في رثاء الأندلس ومطلعها :

لكل شيء إذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيب العيش انسان[6]

وتردد الشاعر مالك بن المرحل المالقي الاندلسي الولادة والسبتي الدار (٦٩٩هـ/١٣٠٠م) إلى غرناطة مرات كثيرة وقيل أقام بها كما تولى القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها من الأندلس وكان شاعراً رقيقاً مطبوعاً، أنشد بمجلس سلطان بني الأحمر الغالب بالله (٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣٢-١٢٧٣م) قصيدة في المقصورة بإزاء قصر الحمراء موجهاً إياها إلى الناس وكان مكثراً من نظم الشعر سريع البديهة لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، واشتهر نظمه وذاع شعره بين الناس فلهجت به ألسنة الخاصة والعامة وخصوصاً المغنين، وغدا وسيلة للمكدين

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٣٩-٢٥٩.
(٢) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٧٠.
(٣) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٥٦.
(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٦٠-٣٦١.
(٥) المصدر نفسه، م٣، ص٣٦١.
(٦) المقري، أزهار الرياض، جـ١، ص٤٧-٥٠؛ عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص٣٢٥-٣٢٦؛ محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦، ص٣٣.

حضرة سلاطين غرناطة(١) فقد كانت أشعاره ضرباً من السمر تستأثر سامعها(٢). ووصف ابن الأحمر الشاعر المذكور بأنه "فارس الكتيبة الشعرية.....وربّ المدح المبدأ من القدح"(٣).

ومن شعراء الأندلس أبو البقاء صالح بن شريف النفزي الرندي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) ووصف شعره بأنه عذب اللفظ رائق المعنى. وأغراض شعره كثيرة منها : المدح في السلطانيات والغزل وله قول في الليل والسهر. أصل هذا الشاعر من مدينة رندة ثم انتقل إلى مالقة. كان كثير الوفادة على غرناطة والتردد عليها مادحاً سلاطينها الذين أغدقوا عليه العطايا ونال حظوة عندهم، حتى أن قصيدته التي أولها :

"أواصلتي يوماً وهاجرتي ألفاً" نظمها بناءً على اقتراح سلطان غرناطة الذي أوعز إليه أن لا يخرج عن بعض بساتين السلطان حتى يكملها معارضاً فيها قصيدة محمد بن هاني الألبيري(٤). وصنف كتاباً في العروض وآخر في صناعة الشعر سماه "الوافي في علم القوافي"(٥). وقد اشتهر أبو البقاء الرندي في قصيدته النونية الخالدة في رثاء الأندلس ومطلعها :

لكل شيء إذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيب العيش انسان(٦)

وتردد الشاعر مالك بن المرحل المالقي الاندلسي الولادة والسبتي الدار (٦٩٩هـ/١٣٠٠م) إلى غرناطة مرات كثيرة وقيل أقام بها كما تولى القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها من الأندلس وكان شاعراً رقيقاً مطبوعاً، أنشد بمجلس سلطان بني الأحمر الغالب بالله (٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣٢-١٢٧٣م) قصيدة في المقصورة بازاء قصر الحمراء موجهاً إياها إلى الناس وكان مكثراً من نظم الشعر سريع البديهة لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، واشتهر نظمه وذاع شعره بين الناس فلهجت به ألسنة الخاصة والعامة وخصوصاً المغنين، وغدا وسيلة للمكدين

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٣٩-٢٥٩.

(٢) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص٧٠.

(٣) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٥٦.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٦٠-٣٦١.

(٥) المصدر نفسه، م٣، ص٣٦١.

(٦) المقري، أزهار الرياض، جـ١، ص٤٧-٥٠؛ عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص٣٢٥-٣٢٦؛ محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦، ص٣٣.

والبطالين[1].

ومن شعراء الأندلس الوافدين إلى غرناطة أيضاً الشاعر المالقي محمد بن عبدالله بن الحاج (ت بعد ٧٤٠هـ/١٣٣٩م) الذي كان ينشد قصائده بين يدي سلاطين غرناطة في مناسباتهم الهامة[2].

سبقت الإشارة إلى ذكر أحمد بن صفوان المالقي عند الكلام عن التصوف وكان هذا الصوفي شاعراً تظهر في شعره اغراض التصوف وقد أورد تلميذه ابن الخطيب شعراً في هذا المجال. إضافة إلى أن ابن الخطيب جمع شعره سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م في ديوان سماه "الدرر الفاخرة، واللجج الزاخرة"، وكتب له مقدمة ثم عرض هذا الديوان على استاذه، فأجازه، خطياً بالكتابة على ظهر هذا الديوان المجموع[3]. وله قصيدة شعرية عارض بها الرئيس أبا علي بن سينا في قصيدته الشهيرة في النفس التي مطلعها "هبطت إليك من المحلّ الأرفع"، أولها : "أهلاً بمسراك المحب الموضع" وأول القصيدة :

لمعناك في الافهام سر مكتم　　　عليه نفوس العارفين تحوم[4]

ومن شعراء مالقة الذين وفدوا أيضاً إلى غرناطة علي بن أحمد الخشني المالقي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) الذي عرف بنشاطه العلمي ومثابرته على المطالعة درس على كبار علماء غرناطة كابن الزيات وابن الكماد. دخل الخشني المالقي غرناطة ومدح سلاطينها وتردد إليها مراراً. وقد وصف شعره بالاجادة في تحقيق القصد[5]، ومنهم كذلك الكاتب والشاعر محمد بن أبي بكر القرشي المالقي

---

(١) المراكشي، الذيل والتكملة، ق٢، ص٥٢٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٠٣-٣٢٤؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص٣٢٧، ٣٢٨، السيوطي، بغية الوعاة، جـ٢، ص٢٧١.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٨٦.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٢٧-٢٢٨؛ المقري، نفح الطيب، م٦، ص٤٠.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٢٩.

(٥) المصدر نفسه، م٤، ص١٧٧.

(ت٧٥٧هـ/١٣٥٦م) [١].

وقدم من استجة الأندلسية إلى غرناطة الشاعر ابن غالب الاستجي، وقد استفاد ابن سعيد من نظمه وعلمه إذ يقول : "وافادني من نظمه وكتبه ومجالسته أحسن إفادة" وذكر له شعراً رقيقاً[٢]. وقد ذكر له البغدادي كثيراً من الكتب منها : رقم الحلل في نظم الدول والروحينيات في القصائد[٣].

ووفد من المرية إلى غرناطة الشاعر محمد بن أحمد العطار المتوفى بالطاعون عام (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) وقد ذكر له ابن الخطيب قصيدة من شعره كما ألف العطار في مجال الأدب[٤].

ودخل غرناطة الشاعر موسى بن علي الهنتاني وهو من شعراء أشبيلية وقد برع في نظم الشعر إضافة إلى كونه أديباً[٥].

يلاحظ الباحث في التاريخ الأندلسي تكرار عملية نزوح علماء أندلسيين وأسر بكاملها من مدن سلخت عن جسم الدولة العربية الاسلامية في الأندلس وأصبحت تحت السيطرة الاسبانية إلى غرناطة العاصمة، وربما تركوها هي الأخرى وتوجهوا إلى مصر والمغرب أو المشرق. ومن هؤلاء الشيخ الشاعر أبي عبدالله الطرطوشي نسبة إلى مدينة طرطوش الأسبانية التي سقطت في أيدي الأسبان عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م الذي لقي إكراماً من دولة بني الأحمر، حتى حدث خلاف بينه وبين وزيرها ابن محروق الذي أوغر صدره عليه فأبعده بعد أن قربه مما اضطر إلى الرحيل، إلى البلاد الأفريقية. أما مجال معارفه فقد كان شاعراً لا ينتحل الشعر بصناعة، مصيباً في غرضه إضافة إلى أنه كان ينظر في العلوم العقلية والنقلية[٦].

---

(١) المصدر نفسه، م٣، ص٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ص١٢٨.

(٣) البغدادي، هدية العارفين، جـ٦، ص١٢١.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٨٦-١٨٧.

(٥) المصدر نفسه، م٣، ص٢٧٥-٢٧٦.

(٦) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص١٢٠-١٢١.

كما دخل غرناطة عدد كبير من علماء المغرب ممن برعوا في مجال الشعر ويأتي في مقدمتهم العلامة ابن خلدون وقد تكلم ابن الخطيب عن دخوله غرناطة وما جرى بينهما وإمكانياته المتعددة ومؤلفاته. وتطرق أيضاً إلى نظمه وأثنى عليه فقال : "فنهض لهذا العهد قدماً في ميدان الشعر"، إضافة إلى امتلاكه ملكة النقد وتفتحت قريحته فيه وأصبح صعبه سهل عليه، فاتى منه بكل غريبة[1]. وقد اتهم ابن خلدون بعدم مهارته بالشعر وكان سبب ذلك هو ابن خلدون نفسه إذ أنه كان يبالغ في كتمان ذلك[2]، ويبدو أن ذلك تواضعاً منه. أما كفاءته في نقد الشعر فلا غبار عليه، وفي ذلك يقول ابن حجر : "مع أنه كان جيداً لنقد الشعر"[3].

وكان للفقيه الأديب الشاعر أبي القاسم السبتي الشهير بالشريف الغرناطي شعر مدون سماه "جهد مقل"[4]. ومن أعماله شرحه القصيدة الخزرجية المعروفة بالرامزة في علم العروض التي استعصت على كثير ممن أراد شرحها مثله، وسماه "رياضة الأبي من قصيدة الخزرجي"[5]. وقد وصفه ابن الأحمر بشاعر العدوة الأندلسية في ذلك الفريق[6]. وللشاعر ابن كان شاعراً أيضاً ولما توفي والده عين كاتباً لدى الوزير لسان الدين بن الخطيب إكراماً له. وهذا الابن الشاعر هو أحمد بن محمد الشريف الغرناطي (كان حياً ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)[7].

ومن شعراء سبتة الموهوبين الذين دخلوا غرناطة يوم ضم سلطان غرناطة

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٥٠٨.

(٢) ابن حجر، رفع الأصر، ق٢، ص٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) ابن قنفذ، الوفيات، ص٣٦٢.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٨٥؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٧٦؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص٣٦٢؛ الونشريسي، الوفيات، ص١٢٣؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٢٦٨؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص١٨٩؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٦، ص١٦١، عبدالله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط٣، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص٢٠٧، ٢٢١.

(٦) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص٤٥.

(٧) المقري، نفح الطيب، م٥، ص١٩٨-١٩٩؛ ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص٣٠١.

محمد الثالث سبتة إلى مملكته سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٦م أحمد بن عبدالله العزفي (ت٧٠٧هـ/١٣٠٨م) ولازم حكام غرناطة، واستعطفهم وأصبح من المقربين إلى ذي الوزارتين ابن الحكم، فمدحه مستعطفاً بقصيدة أولها :

تملكت رقى بالجمال فأجمل وحكمت قلبي بجورك فاعدل

وقد أشاد ابن الخطيب ببراعته في نظم الشعر(١).

وورد من سبتة أيضاً إلى غرناطة عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤م الأديب والشاعر المتصوف أبو عبدالله محمد بن خميس التلمساني ونال حظوة كبيرة من ذي الوزارتين ابن الحكيم إلى أن قتل الإثنان صبيحة يوم عيد الأضحى من عام ٧٠٨هـ/١٣٠٩م. وقد وصف بأنه من فحول الشعراء الذي مزج الجزالة بالسلاسة ووضع الألفاظ البيانية مواضعها. وجمع شعره محمد الحضرمي وسماه "الدر النفيس من شعر ابن خميس"(٢) وحصر أحد الباحثين أغراض شعره في المدح والفخر والحنين والوصف والزهد والتصوف(٣).

وهناك صفوة من شعراء غرناطة ممن هاجروا إلى خارجها وقد اغنوا من خلال نشاطهم التراث الشعري في غرناطة وفي المناطق التي هاجروا اليها ومنهم أبو حيان الغرناطي الذي لم تقتصر معارفه على النحو والقراءات والتفسير واللغة بل كان له دور في مجال الشعر، فله ديوان عرف بديوان أبي حيان(٤). وشعر أبي حيان تصوير لحياته وتعبير عما في قلبه(٥). وله أيضاً إضافة للديوان مؤلفات في الشعر هي "منظومة في علم القافية" و "نوافث السحر في دمائث الشعر" و "نثير

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٧٨-٢٨٤.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٥٢٩؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٢٨؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٣٥٩-٣٦١؛ ازهار الرياض، جـ٢، ص٣٠١-٣٠٣.

(٣) فرحات الشريف خوالد، أبو عبدالله بن خميس التلمساني، (٦٥٠-٧٠٨هـ)، حياته وأدبه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢، ص٣.

(٤) حققه أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٩. وكان المحققان قد جمعا أيضاً شعر أبي حيان وحققاه ونشراه في بغداد، ١٩٦٦.

(٥) أبو حيان، ديوان، ص٣٩، مقدمة المحقق.

الزهر في نظم الشعر"[1] ويولي أبو حيان أهمية لأساليب الشعر العربي وكلام العرب في إدراك ما في القرآن من معاني وروعة وجمال، فيقول أن معرفة النحو واللغة لا تجدي كثيراً في إدراك ما في القرآن من معان، بل يجب الاطلاع على كلام العرب وأساليبهم في الشعر[2].

وكان للأعمى والبصير سابقي الذكر دور في نظم الشعر إذ نظم الأعمى الحلة السيراء في مدح خير الورى على قافية الميم سميت "البديعية" على طريقة صفي الدين الحلي وشرحها صاحبه البصير[3].

ومن الشعراء المهاجرين أيضاً خارج غرناطة أبو عبدالله بن يحيى بن سلمة الأنصاري الغرناطي وقد رحل هذا الشاعر إلى مكة والمدينة ثم انتهى به المطاف إلى مصر وهناك توفى عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤م[4]. ومنهم أيضاً الشاعر أبو عبدالله بن علي الغرناطي الذي هاجر إلى المدينة المنورة وكانت وفاته عام ٧١٥هـ/١٣١٥م ودفن بالبقيع ومن شعره ما أنشده لنفسه على قبر سيدنا حمزة (رض) :-

يا سيد الشهداء بعـــد محمد	ورضيع ذي المجد المرفع أحمد
يابن الأعزة من خلاصة هاشم	سرج المعالي والكرام المجـــد
يا أيها البطل الشجاع المحتمى	دين الإله ببأسه المتأســـــد[5]

ومنهم أيضاً ابن رمان الغرناطي الذي درس في غرناطة على ابن الزبير فرحل إلى القاهرة سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م ثم انتقل إلى المدينة المنورة وهناك توفي

---

(١) المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٧، ص٥٠٥؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٥٥٢؛ ابن هشام الأنصاري، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٦١، مقدمة المحقق.

(٢) مصطفى ابراهيم المشيني، مدرسة التفسير في الأندلس، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ص١٠٤.

(٣) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٣٦١-٣٦٢؛ السخاوي، تراجم مغربية وأندلسية، ص٢٥٤؛ السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ص٤٠٣.

(٤) المقري، نفح الطيب، م٢، ص٦٦١.

(٥) المصدر نفسه، م٢، ص٦٦١-٦٦٢.

سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م وذكر له كل من المقريزي[١] والمقري[٢] شيئاً من شعره.

ومن شعراء الأندلس الذين سكنوا وادي آش وغرناطة يحيى البطوي (ت٧٣٥هـ/١٣٣٥م) وكانت له مجموعة رائعة من الشعر منها قصيدة مزدوجة في الفخر. وقد تقلد الشاعر البطوي هذا منصب الوزارة للسلطان أبي الحسن المريني[٣].

وممن برع من شعراء غرناطة في المدح أبو اسحاق الساحلي المعروف بالطويجن الذي مدح أبا الحسن المريني وحرضه على قتال ابن تاشفين أمير عبد الواد في تلمسان[٤]. وقد وصفه ابن الخطيب بأنه نسيج وحده في الأدب نظماً ونثراً لا يشق له فيه غبار، أنيق الديباجة جامع بين الجزالة والرقة[٥]. وقد رحل الطويجن إلى بلاد المغرب، والمشرق حتى استقر أخيراً في السودان فكانت وفاته فيها عام ٧٣٩هـ/١٣٣٩م[٦].

ومن الجدير بالذكر شيوع الموشحات في غرناطة شأنها في ذلك شأن بقيةالمدن الأندلسية الأخرى. والوشح "كلام منظوم على وزن مخصوص وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع. فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال والأقرع ما ابتدئ فيه بالإبيات"[٧]. وفيما يخص الموشحات الأندلسية عموماً والموشحات الأندلسية في عصر مملكة غرناطة نجد أن ابن خلدون يقول في هذا : "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية،

---

(١) المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٦، ص٥٣٨-٥٣٩.

(٢) المقري، نفح الطيب، م٢، ص٦٣.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٦٣-٣٦٤؛ المقري، نفح الطيب، م٦، ص١١٣.

(٤) ابن الاحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٣١-١٣٢.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٣٢٩.

(٦) المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ١، ص٢٧٧.

(٧) أبو القاسم هبة الله بن جعفر ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودت الركابي، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠، ص٣٢.

استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح ينظمونه اسماطاً اسماطاً وأغصاناً أغصاناً، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذهب، وينسبون فيها ويمدحون كما يُفعل في القصائد"[١].

ولم تكن الموشحات الأندلسية في عصر غرناطة إلا امتداداً أصيلاً لموشحات العصر الذهبي في الأندلس، وأن موشحات الغرناطيين قد حافظت على مستواها الفني، واحتلت مكانة مرموقة بين الفنون الشعرية في غرناطة واستطاعت أن تشق طريقها نحو التطور على يد فحول شعراء العصر، ومما ساعد على استمرار فن التوشيح عند الغرناطيين، شيوع الموسيقى والغناء في احتفالاتهم[٢]. ويبدو أن الحاجة الماسة إلى نمط من الشعر يستطيع من خلاله أن يواكب الأسلوب الغنائي الجديد أدى إلى ظهور هذا اللون المميز[٣].

ومن أعلام فن التوشيح في الأندلس العلامة ابن الخطيب حيث كان له عدد كبير من الموشحات[٤] وترك كتاباً يدل على براعته في هذا الفن واضطلاعه به سماه "جيش التوشيح" الذي يعد أضخم مجموع من الموشحات عرفت حتى زمانه، إذ ضمت (١٦٥) موشحة لستة عشر وشاحاً من أعلام التوشيح إضافة إلى كثير من الموشحات الأخرى التي وردت له عند المقري في كتابيه المشهورين نفح

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، م٣، ص٣٩٠.

(٢) سرميني، خصائص الشعر الأندلسي، ص١٢٠.

(٣) يوسف عيد، التوشيح في الموشحات الأندلسية، باب جديد في أوزان الموشح ونغماته، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣، ص١١؛ محمد مهدي البصير، الموشح في الأندلس وفي المشرق، ط١، دار المعارف، بغداد، ١٩٤٨، ص٢٥.

(٤) محمد زكريا عناني، من أعلام فن التوشيح بالأندلس لسان الدين بن لخطيب، دراسة وتوثيق، بحوث ندوة الأندلس، ١٣-١٥ أبريل، ١٩٩٤، ص٤٤١.

الطيب، وأزهار الرياض[1].

وقد قيل في ابن الخطيب وكتابه جيش التوشيح أن "مصنفه وشاح كبير وانتهت إليه رئاسة التوشيح في زمانه، فهو ذواقه له وزنه الكبير فيما اختاره وانتقاه، وكما كانت حماسة أبي تمام مصدراً ثراً خالداً لمختارات الشعر العربي لمكانة أبي تمام الشعرية في زمنه ولسلامة ذوقه وحسن اختياره ورهافة حسه، كذلك أمر جيش التوشيح هذا... بالنسبة للموشحات الأندلسية"[2]. والكتاب عبارة عن مجموعة مختارة من موشحات آئمة التوشيح في الأندلس مثل ابن بقي (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م) وابن اللبانه (ت ٥٠٧هـ/١١١٤م) وابن ينق (ت٥٤٧هـ/١١٥٢م) وأحمد بن مالك السرقسطي (ت٥٦٧هـ/١١٧٢م) وابن زهر (ت٥٩٥هـ/١١٩٩م) وغيرهم والكتاب مرفوع للسلطان أبي الحجاج يوسف الأول[3].

ومن أشهر موشحات ابن الخطيب المعروفة على نطاق واسع هو موشحه الشهير الذي مطلعه :

جادكَ الغيثُ إذا الغيث همى   يازمان الوصل بالأندلس[4]

ومن أعلام التوشيح في غرناطة أيضاً الشاعر ابن زمرك حيث قال أحد الباحثين فيه : أنه أجاد في فن التوشيح إلى جانب تفوقه في الشعر، وأورد له السلطان يوسف الثالث ابن الأحمر كثيراً من موشحاته البديعة والتي كان بعضها يعرف بـ "الصبوحيات" ونقل المقري كثيراً منها. وأول هذه الموشحات قيلت في التشوق إلى غرناطة ومدح الغني بالله وهي موشحة طويلة واستطاع ابن زمرك

---

(١) لسان الدين بن الخطيب، حبيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي، أعد أصلاً من أصلية محمد ماضور، مطبعة المنار، تونس، د.ت، ص ق، مقدمة المحقق. وسيشار له تالياً : ابن الخطيب، حبيش التوشيح.

(٢) المصدر نفسه، ص ص، مقدمة المحقق.

(٣) ابن الخطيب، جيش التوشيح، ص ك، مقدمة المحقق، ريحانة الكتاب، م١، ص٢٣-٢٤، عنان، لسان الدين الخطيب، ص٢٧٣.

(٤) المقري، نفح الطيب، م٧، ص١١.

في موشحاته ان يبرهن على علو منزلته في فن التوشيح[1]. فكتب موشحاته في الغزل ووصف الطبيعة والمدح كما استخدمها في التهنئة بالمناسبات ووصف القصور والصيد وغير ذلك من الأغراض[2].

إضافة إلى ذلك كان في غرناطة عدد من الموشحين منهم أحمد بن علي الغرناطي (ت بعد ٨٤٩هـ/١٤٤٥م) الذي برع في فن التوشيح وله موشحة رائعة قالها عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م عند رجوعه من الحج[3].

ولم يقتصر الاهتمام بفن الموشحات على أعلام غرناطة وإنما كان لسلاطين بني الأحمر اهتمام في ذلك أيضاً حيث شارك السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (ت٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) شعراء عصره بنظم هذا اللون الشعري الخاص المعروف بالموشحات الأندلسية إذ يقول عنه القلقشندي "أنه له يداً في الموشحات"[4].

ومن الجدير بالذكر بروز ظاهرة نظم قصائد على هيئة أراجيز في علوم متنوعة، وغالباً ما تكون هذه الأرجوزة من ألف بيت، فقد نظم ابن الخطيب أرجوزة من ألف بيت في الفقه سماها "الحلل المرقومة في اللمع المنظومة" وله أراجيز في الطب والتاريخ والسياسة[5] سيأتي الكلام عنها عند الحديث عنها تالياً. وقد قيل في ابن الخطيب موشحاته وأزجاله كثيرة وانتهت إليه رياسة هذا الفن[6].

ومن علماء غرناطة الذين برعوا في المجال الشعري إضافة إلى نظمهم للأرجاز الرحالة الكاتب ابن الحاج النميري الذي أشاد المؤلفون ببراعته في

---

(١) سرميني، خصائص الشعر الأندلسي، ص١٣٣-١٣٥، تنظر الموشحات في المقري، نفح الطيب، جـ٧، ص٢٤٠-٢٦٦.

(٢) البغدادي، ابن زمرك الأندلسي، ص١٥٣.

(٣) بنمنصور، أعلام المغرب، جـ٥، ص٣٦، ديوان الموشحات الأندلسية، ٢جـ، تحقيق سيد غازي، مطبعة الأسكندرية، ١٩٧٩، جـ٢، ص٥٧٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٧، ص٤٤١.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٦٢؛ نفاضة الجراب، جـ٢، ص١٨٧.

(٦) المقري، نفح الطيب، م٣، ص٥.

الشعر[١]. ويقول فيه ابن الخطيب "وشعره من النمط الذي يؤنس في الأسحار"[٢] وقال فيه ابن الأحمر أنه شاعر حاطم[٣]. ووصفه ابن حجر بفائق النظم[٤] وقال فيه ابن تغري بردي "إمام فاضل عالم أديب شاعر" وله شعر أجاد فيه وبلغ فيه غاية من البديع[٥]. وله أرجاز في مواضع متعددة منها رجز في الفرائض والحجب والسلاح وفي الجدل والأحكام الشرعية سماه بـ "الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة"[٦].

ونظم الأديب الشاعر أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي رجزاً في الفرائض[٧] وكانت له رسائل شعرية موجهة إلى معاصره الشهير ابن الخطيب[٨]، ومن بديع نظمه ما نظمه على منوال امرئ القيس في قصيدته الشهيرة، إذ يذكر صدر البيت ويأتي بإعجازه ومن قصيدة امرئ القيس مثل قوله :

أقول لعزمي أو لصالح أعمالي "إلا عم صباحاً أيها الطلل البالي"[٩]

وكان عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي ينظم الشعر على هيئة أراجيز ويلاحظ عليه في هذا الشأن ملاحظتان الأولى أنه كان يستخدم أراجيزه ليتوصل إلى أغراضه الشخصية بخبث ومراهنة والثانية أنه له رجز في الزجر والفال، وهذه الطريقة قد أحياها بعد أن غفلت[١٠].

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٣٤٥.

(٢) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص١٤٣.

(٣) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٣٦.

(٤) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٨٦.

(٥) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، جـ١، ص٨٦.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٣٤٧؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص٩٢؛ المقري، نفح الطيب، م٧، ص١٠٨.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٦٢؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤١-٤٢؛ المقري، ازهار الرياض، جـ٣، ص١٨٨.

(٨) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٥٩.

(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٥٩؛ المقري، نفح الطيب، جـ٣، ص١٨٨.

(١٠) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٥٢٧-٥٢٩.

وفيما يخص دور علماء المغرب في نظم الإرجاز نجد أن العلامة ابن خلدون قد بدأ في غرناطة بشرح الرجز في أصول الفقه للسان الدين بن الخطيب قال عنه ابن الخطيب "بشيئ لا غاية وراءه في الكمال"(١).

ورحل الشاعر المغربي عبد العزيز الملزوزي المعروف بعزوز (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) إلى غرناطة وسكن بظاهرها مع من رحل مع أمير المسلمين السلطان المريني أبي يعقوب وأبيه السلطان أبو يوسف. وله هناك في الأندلس وبالذات بالجزيرة الخضراء أرجوزة نظمها ورفعها إلى الأب أمير المسلمين أبو يوسف بن عبد الحق سماها بـ "نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك" وقد أجاد فيها(٢).

يتضح مما سبق أن العلوم اللغوية والأدب قد ازدهرت وتطورت في عصر مملكة غرناطة فقد حفل هذا العصر باعلام كبار قدموا لنا دراسات ومؤلفات وساهموا في الحركة اللغوية والأدبية.

---

(١) المصدر نفسه، م٣، ص٥٠٧.

(٢) المصدر نفسه، م٤، ص٢٠-٢٦.

الفصل السادس

العلوم الاجتماعية

١-التاريـــخ

٢- الجغرافية

١- التاريخ

لم يكن ظهورعلم التاريخ في الأندلس منفصلاً عن جذوره التي نشأ فيها وتطور عنها في المشرق العربي، فهو لم يخرج عن الخط العام لسير الحركة التاريخية التي انطلقت من المدارس التاريخية الكبرى كمدرسة المدينة المنورة والمدرسة العراقية[١]. وقد اهتم الاندلسيون بكتابة تاريخهم فكتبوا تواريخ سياسية على السنين وأولوا عناية خاصة بكتب التراجم. واستمرت عناية مؤرخي غرناطة بالتاريخ عامة وتاريخ مملكة غرناطة خاصة.

وبذر الغالب بالله محمد الأول ابن الأحمر (٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣٢-١٢٧٣م) مؤسس المملكة البذرة الأولى للاهتمام بالعلوم وخاصة التاريخ قراءة وسماعاً وتعليماً، فقد روي عنه أنه كان يقضي معظم وقته في حدائق قصر الحمراء، فيجلس يمتع نفسه بقراءة كتب التاريخ بنفسه أو يحضر من يقرأها أو يقص عليه محتواها[٢].

وتشير الباحثة فيجورا مولنيس (Vigura Molins) إلى أن عتيق بن يحيى الفراء الغساني (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م) قد كتب حوليات ملوك غرناطة التي فقدت ولم تصل إلينا[٣]. كما أن لابن الفراء نشاطاً في حركة التأليف المتعلقة بالأنساب والتاريخ حين صنف كتاباً سماه " نزهة الأبصار في نسب الأنصار"[٤]. وتشير الباحثة نفسها إلى أنه قد نسب إلى الوزير ابن الحكيم كتاب "تاريخ الأندلس" والذي يمدنا بمعلومات قيمة حول عائلة بني الأحمر وبدايات حكمها الأول[٥].

وأشهر مؤرخي غرناطة في هذه الفترة العلامة الوزير لسان الدين بن الخطيب. الذي كان له العديد من المؤلفات التاريخية أشهرها كتاب "الإحاطة في

---

(١) عبد الواحد ذنون، نشأة تدوين التاريخ العربي الأندلسي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨، ص٥، ٧.

(٢) ايرفينج، قصر الحمراء، ص٩٦.

(٣) Vigura Molins, La Caltura Nazari, P. 172.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٨١.

(٥) Vigura Molins, La Caltura Nazari, P. 172.

أخبار غرناطة" وهو عبارة عن موسوعة شاملة بكل ما يتعلق بهذه المدينة الأندلسية من الأخبار والأوصاف والمعالم فيتناول وصفها وجغرافيتها وخططها وتاريخها منذ أن نزل بها العرب وأخبار من كان ومن وفد إليها من الأدباء والشعراء والوزراء كما يتضمن خلاصة لتاريخ دولة بني الأحمر منذ عصر مؤسسها محمد بن الأحمر حتى عصر المؤلف وهو لا يلتزم في كتابة الترتيب التاريخي ولكنه يلتزم الترتيب الأبجدي لأصحاب التراجم.

وذكر ابن الخطيب قسماً من مصادره في مقدمة الكتاب والقسم الآخر في سياق الكتاب مثل تواريخ ابن القوطية، والمقتبس لابن حيان، وقلائد العقيان للفتح ابن خاقان، والذخيرة لابن بسام، وتاريخ مالقة لابن عسكر، وكتاب البيان المغرب لابن عذاري، والصلة لابن بشكوال، والحله السيراء لابن الابار، وصلة الصلة لابن الزبير. ورجع فيما يتعلق بسلاطين الدولة النصرية ووزرائها وكبار رجالها إلى الوثائق والمخطوطات السلطانية والديوانية.

وينقل ابن الخطيب أيضاً في كتاب الإحاطة نبذاً من كتبه السابقة مثل عائد الصلة، وطرفة العصر في دولة بني نصر، واللمحة البدرية في الدولة النصرية، ونفاضة الجراب، والكتيبة الكامنة والتاريخ المحلى. وقد بدأ في كتابته قبيل محنته الأولى سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م وأتمه سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٨م ويبدو أن ابن الخطيب استمر بتدوين وتنقيح تراجم الاحاطة حتى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧١م[١]. وقد وصفه روزنثال بأنه كتاب نفيس[٢].

ويذكر ابن الخطيب أن الدافع الذي دفعه لتأليف كتابه الإحاطة هو اطلاعه على كثير من تواريخ المدن التي ألفها أبناؤها تكريماً ووفاءً لها فيقول "فداخلتني عصبية...وحمية لا يذم في مثلها.... ورأيت أن هذه الحضرة لإخفاء بما وفر الله من أسباب أيثارها، وأراده من جلال مقدارها، جعلها ثغر الإسلام ومتبوء العرب

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٣-٥، مقدمة المحقق؛ عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٣٠-٢٣٢.

(٢) روزنثال، فرانز، التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص٦٣٦.

الأعلام"[1]. وقد أورد عنوان كتاب كل مدينة واسم مؤلفها مع ماعرف عنه من سعة الاطلاع للدرجة التي يمكن عده فهرساً لتاريخ المدن حتى وقته ومن الأمثلة على هذه تاريخ مدينة بخارى للفخار، وتاريخ أصبهان لأبي نعيم، وتاريخ نيسابور لابن اليسع، وتاريخ همذان لأبي شجاع، وتاريخ هراة للكتبي، وتاريخ سمرقند للأدريسي، وتاريخ جرجان السهمي، وتاريخ الرقة للقشيري، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ مكة للأزرقي، وتاريخ الاسكندرية لابن سليم الشافعي، وتاريخ سبته للقاضي عياض، وتاريخ بلنسيه لابن علقمه، وتاريخ البيرة للغافقي الملاحي، وتاريخ مالقة لابن عسكر، وتاريخ الجزيرة الخضراء لابن خمسين، وتاريخ المرية وباجة لأبي البركات ابن الحاج وغيرها[2]. وقد نشر كتاب الاحاطة بأربع مجلدات كما نشر أحد الباحثين ما لم ينشر من إحاطة ابن الخطيب[3].

أما كتاب ابن الخطيب الثاني فهو كتاب "أعمال الأعلام في من بويِعَ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام". وهذا الكتاب هو آخر ما ألفه ابن الخطيب قبل اغتياله في سجنه في فاس سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، أي أن تأليف الكتاب كان في الفترة القصيرة التي مرت بين تقليد السلطان المريني الطفل أبي زيان محمد السعيد وبين خلعه أي بين سنتي ٧٧٤هـ/١٣٧٣م و ٧٧٦هـ/١٣٧٤م فابن الخطيب بعد أن فر من الاندلس سنة ٧٧٣هـ/١٣٧٢م لجأ إلى السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز الذي أحسن ضيافته وأبى تسليمه إلى سلطان غرناطة لكن السلطان المريني أبا فارس مات سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م، وبويِعَ مكانُه ابنه أبو زيان محمد السعيد ولم يبلغ الرابعة من عمره، وكان الوصي على العرش المريني الوزير غازي بن يحيى بن

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٨٣-٨٤.

(٢) المصدر نفسه، م١، ص٨١-٨٣.

(٣) عبد السلام شفور، ما لم ينشر من إحاطة ابن الخطيب، مجلة دعوة الحق تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد ٢٥٩، أكتوبر، ١٩٨٦، ص٨٣ وما بعدها.

الكاس[١]، فاتهمه خصومه السياسيون بأنه لم يراع مصلحة الأمة وأن مبايعة الصبي لا تصلح شرعاً، وهنا قدم الوزير الوصي ابن الكاس سؤالاً لابن الخطيب هل تعلم أنه ذهب هذا المذهب من قبلنا دولة من دول الإسلام، مشتملة على الاعلام، وحملة السيوف والأقلام فأجابه ابن الخطيب : كثير وشهير وقد اختبرت ذلك فألفيته ثمانية وأربعين شخصاً، كلها ثابت الرسم، معروف العبر في دول الإسلام[٢]. وعنوان الكتاب نفسه يدل على الهدف الذي ابتغاه ابن الخطيب من تأليفه هذا وهو أن يثبت أن لهذا الحادث أشباهاً كثيرة في التاريخ الإسلامي، وأنه تصرف سليم لا يخالف الدين[٣]. فأهداه إلى حامية السلطان أبي زيان ووزيره الوصي، فأراد أن يخصص كتاباً لذكر ولاية جميع ملوك المسلمين الذين بويعوا قبل سن الاحتلام لكن ابن الخطيب لم يقتصر كتابه على هؤلاء بل تجاوز من أول وهلة ذلك الإطار التاريخي الضيق وأخذ يجمع المواد لتاريخ عام كبير يشمل دول الإسلام، ويعده محقق الكتاب بروفنسال بأنه يمكن أن يكون شبه مقابل لتاريخ معاصره ابن خلدون، بل أنه يعد فيما يخص تاريخ الأندلس والمغرب أهم[٤].

وكتاب اعمال الاعلام تاريخ شامل للدولة الاسلامية في المشرق والأندلس والمغرب. ويشتمل على ثلاثة أقسام : القسم الأول المتعلق بالمشرق لا يزال مخطوطاً. والقسم الثاني المتعلق بتاريخ الأندلس وهو أهم أقسام الكتاب ويحتوي على ذكر دولة بني أمية ومن جاء من بعدها من دول الطوائف، وتارخ المرابطين والموحدين وثوار الأندلس وقيام ابن هود ثم تأسيس دولة بني الأحمر حتى عصر السلطان محمد الخامس الغني بالله وهو عصر المؤلف، وفيه شرح ابن الخطيب عن حياته الوزارية وأخيراً نبذة عن تاريخ ملوك قشتالة الاسبانية[٥]. وقد حققه

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ز-ح، مقدمة المحقق.

(٢) ابن الخطيب، مقدمة أعمال الأعلام، (مخطوط) ق١، نقلاً عن ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام، ص١٢، مقدمة المحقق.

(٣) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٤٨.

(٤) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ق٢، ص ح، مقدمة المحقق.

(٥) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٤٨.

ليفي بروفنسال. أما القسم الثالث والأخير وهو الذي حققه أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني الذي نشر بعنوان "تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط"(١). ويتعلق بتاريخ المغرب العربي منذ أيام الأغالبة وملوك صنهاجة وبني حماد والأدارسة ثم المرابطين وبداية الموحدين حتى عهد عبد المؤمن بن علي وهذا القسم يقصد عما كان يهدف إليه المؤلف من إكمال الكلام عن دولة الموحدين حتى نهايتها ودولة بني حفص في أفريقيا، وبني زيان بتلمسان، والدولة المرينية وذلك بناءً على ما تكلم في مقدمته. ويبدو أن محنة ابن الخطيب التي انتهت بمقتله المأساوي هي التي حالت دون إكماله للكتاب(٢).

وكتابه التاريخي الآخر هو "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" وقد أثنى محققوا الكتاب عليه وقالوا، وهو من أجود ما كتبه المسلمون في التاريخ لتوخي مؤلفه الصدق في رواياته، وبعد نظره في إدراك الحقائق(٣). والكتاب كما يظهر من عنوانه خاص بتاريخ الدولة النصرية منذ نشأتها إلى آخر عام ٧٦٥هـ/١٣٦٤م، كتبه بصورة مختصرة وقسمه إلى خمسة أقسام : الأول تكلم فيه عن مدينة غرناطة، والثاني ما يتبعها من الأقاليم وعددها ثلاثة وثلاثون إقليماً على حد قوله، والثالث يتكلم فيه عن أمرائها بدءاً من عصر الطوائف مروراً بالمرابطين فالموحدين حتى قيام دولة بني الأحمر علىيد الغالب بالله محمد الأول ويتناول القسم الرابع الحياة الاقتصادية والإجتماعية لسكان المدينة، أما القسم الخامس وهو الذي يغطي غالبية الكتاب فيبدأ بتاريخ بني نصر ابتداءاً من أول أمرائهم ومؤسس دولتهم محمد بن يوسف وينهيه بسلطنة محمد بن يوسف للمرة الثانية وهو الذي توفي ابن الخطيب في عهده ذاكراً سيرة كل واحد من هؤلاء وأولاده ووزرائه وكتابه وقضاته ومعاصريه من الملوك المسلمين والنصارى وأهم

---

(١) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤.

(٢) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١٣، مقدمة المحقق.

أحداث عصره وجهاده[1].

ولكتاب ابن الخطيب "كناسة الدكان بعد انتقال السكان" الذي هو عبارة عن خمس وعشرين رسالة موجه من السلطانين السابع والثامن من سلاطين بني الأحمر في غرناطة إلى السلطان المريني أبي عنان أهمية من الوجهة التاريخية لأنها تعتبر وثائق هامة للباحثين في أحداث تاريخ الأندلس والمغرب لما تكشف عنه من حقائق تاريخية ذات أهمية بالغة[2]. إضافة إلى فائدة القسم الأول من الكتاب في التاريخ الاجتماعي الغرناطي، إذ تضمن وثيقة عقد زواج نصري جرت رسومه في قصر الحمراء بغرناطة سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م[3].

ولكتاب "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب " أهمية تاريخية بالغة للفترة ٧٦٠-٧٦٣هـ/١٣٥٩-١٣٦٢م بالذات. وبصورة خاصة الفصل المتعلق بتاريخ الأندلس الذي سماه "فصل في إدالة الدولة بالأندلس ثانية"[4] وفصل "عبور السلطان محمد الخامس المخلوع إلى الأندلس"[5] وفصل "سياسة البزميخو المغتصب لعرش غرناطة بعد عبور السلطان الشرعي محمد الخامس إلى الأندلس"[6]. والكتاب بمثابة مذكرات شخصية للمؤلف من خلال رحلة قام بها في الفترة التي قضاها منفياً عند بني مرين في المغرب قبل عودته ثانيةً إلى غرناطة[7].

ولكتاب ابن الخطيب "الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة" الذي ترجم فيه لثلاثة أشخاص ومائة أهمية تاريخية أيضاً إضافة إلى أهميته الشعرية . ويبدو أن محقق الكتاب كان مصيباً عندما قال أن الكتاب المذكور لقيامه على السجع، قليل الفائدة من الناحية التاريخية الإخبارية إذا ما

---

(١) المصدر نفسه، ص٢١-١٣١.

(٢) ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص١٣، مقدمة المحقق.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٦-٥٣.

(٤) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص١٠٣-١١٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٨٥-٢٩٧.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٩٩-٣٠٢.

(٧) المصدر نفسه، ص٤، ٩.، مقدمة المحقق.

قوزن بكتاب الإحاطة. وقد قسم المؤلف المترجمين في الكتاب حسب ما غلب على كل واحد منهم فجاء وافي الطبقات الآتية : ١- طبقة الخطباء والصوفية. ٢- طبقة المقرئين والمدرسين. ٣- طبقة القضاة. ٤- طبقة الكتاب والشعراء[١].

ومن الكتب التاريخية كتاب "رقم الحلل في نظم الدول[٢]، وهو عبارة عن تاريخ منظوم بصورة رجز للدولة الاسلامية : الخلفاء الأوائل وبنو العباس وبنوالأغلب والعبيذيون وبنو أمية في الأندلس والطوائف والمرابطون والموحدون وبنو مرين وبنو الأحمر[٣] . ألفه ابن الخطيب بين سنة (٧٦٠-٧٦٣هـ/١٣٥٩-١٣٦٢م) [٤] وقال عنه ابن الخطيب "الرجز المسمى برقم الحلل في نظم الدول"، يشتمل على الدول الإسلامية كلها من غير حشو ولا كُلفة إلى زماننا هذا ورفعته إلى السلطان أبي سالم المريني فورد الأمر بأضعاف الجراية"[٥].

ومن الكتب التاريخية لابن الخطيب "التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى" أهداه إلى سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف الأول[٦] وهو مختصر لتاريخ مملكة غرناطة منذ نشأتها على أيدي بني الأحمر، وتراجم أعيانها من القرن الثامن الهجري ويترجم فيه ابن الخطيب لنفسه ولوالده. والكتاب مفقود كلياً وتوجد منه قطعة متعلقة بترجمة ابن الخطيب لنفسه بمخطوط الأوسكوريال رقم ٥٥٤ الغزيري[٧].

ومن الكتب التاريخية لابن الخطيب المفقودة "طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر"؛ وهو تاريخ آخر لدولة بني الأحمر غير كتاب "اللمحة البدرية في

---

(١) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص٣٠٩-٣١٣.

(٢) الكتاب مطبوع في تونس من جزء واحد سنة ١٣١٦-١٣١٧م، ينظر ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص١٢١، حاشية المحقق، عنان ، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٤٢

(٣) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٤١.

(٤) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص١٢١، حاشية المحقق.

(٥) المصدر نفسه، ص١٢١-١٢٢.

(٦) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، م١، ص٥٣٥.

(٧) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٣٨، ٣١٢.

الدولة النصرية". وقد عثر على أوراق قديمة بخزانة القرويين تحتوي على مقدمة يصف فيها ابن الخطيب كتابه طرفة العصر فيقول بأنه ذكر فيه الحوادث التي وقعت في دولة بني الأحمر من أول الدولة التي استتب ملكها من عام تسعة وعشرين ويستمر في القول بأنه أمرٌ أغفله أهل زمانه ومن قبله[1].

ولابن الخطيب كتاب تاريخي مفقود آخر بعنوان "عائد الصلة" وهو ذيل لكتاب "صلة الصلة" لأستاذه ابن الزبير ذكر فيه طائفة من تراجم الاعلام اللاحقين لتراجم ابن الزبير[2].

وله أيضاً كتاب فريد في بابه يمكن عده من كتب النظم والحضارة سماه "بستان الدول" وقسم هذا البستان إلى عشر شجرات مثل شجرة السلطان ثم شجرة الوزارة ثم شجرة الكتاب... الخ[3] ويقول ابن الخطيب عن هذا الكتاب أن تعداده وصل إلى ما يقارب ثلاثين مجلداً لكنها ضاعت عند حادثة خلع السلطان محمد الغني بالله، والقبض على ابن الخطيب ومصادرة أملاكه ثم إطلاق سراحه وعبوره مع سلطانه منفياً إلى المغرب ولم يبق "إلا ما لا عبرة به"[4].

حاول ابن الخطيب تفسير الأحداث التاريخية بدراسة المظاهر الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس ويبدو أن أحد الباحثين كان مصيباً حيث قال أن منصبه كوزير سهل عليه مهمة الاطلاع على الوثائق الرسمية بديوان الانشاء في القصور السلطانية[5]. وتظهر نظرية ابن الخطيب في مفهومه للتاريخ أو فلسفة ابن الخطيب التاريخية إن صح التعبير من خلال الفصل الذي أورده في شرف التاريخ، وسماه فعلاً "فصل في شرف التاريخ" والذي ورد بعد مقدمة المؤلف في القسم الأول الذي لا يزال مخطوطاً من كتاب "اعمال الاعلام". وفي هذا الفصل يسمى التاريخ

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٥٨، مقدمة المحقق.

(٣) المصدر نفسه، م٤، ص٤٦٠.

(٤) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، م١، ص٢٢؛ الإحاطة، م٤، ص٤٦٠.

(٥) أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص٣٣٦. وسيشار له تالياً : العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس.

بالمنقول الذي يقام عليه صلاح الدنيا والآخرة. ويعرف التاريخ بحقيقته أو مضمونه وهو نقل الاخبار وتثبيتها بعد التحقيق بعد مقارنتها بالأخبار الزمانية والمصادر الأخرى السابقة، ككتب السيرة النبوية المعروفة منذ بداية الاسلام، وأحوال رسول الله (ص) وبداية التاريخ منذ أن خلق الله الخلق. وما جرى بين الرسول (ص) وبين العرب من أحداث، وما جاء به الرسول (ص) من معجزات، وأخبار هجرته إلى المدينة، وغزواته، ووفود العرب إليه وسيرته من أهله وأصحابه، وتكون شخصيته من خلال نشأته ومشاركته مجتمعه إلى وفاته (ص). وهكذا يظهر البعد الإسلامي وأثره في مفهوم ابن الخطيب للتاريخ من خلال التأكيد على عصر الرسالة وسيرة الرسول (ص). كما يظهر أيضاً هذا البعد الإسلامي من خلال ما جاء في هذا الفصل في شرف التاريخ إذ يقول وينبغي أن يتضمن التاريخ معرفة حديث الرسول (ص) الذي أصبح فيما بعد أحد الأصول والأسس التي قامت عليها الشريعة الإسلامية من بعده، ومعرفته تاريخ رجال الحديث، ومعرفة نصوص الصلاة، والتعديل والتجريح. وإذا لم يكن لعلم التاريخ من الشرف إلا هذا لكفى، إذ ثبت أن التاريخ هو الأصل وهو الذي حفظ لنا تفسير الكتاب والسنة، والتنبيه على ناسخها ومنسوخها وغريبها ومعرفة رجالها وما تفرع عنها من أحكام، وأقسام حلالها وحرامها، بهدف أخذ العبرة والتبصر والاتعاظ وردع النفس والتأسي على أحداث الزمان في ليله ونهاره. فمن زاول من الناس هذا العلم، علم التاريخ، وحظي بطول العمر، وأطلع على ما كتبه الآخرون واستحضر من خلال ذلك أصحاب الجاه والثروة في الماضي لم يبطره الثراء ولم يتأثر بالدنيا وزهوها، لأنها دار فناء وطريق إلى مستقر ثان هي الآخرة. وما هذه الدنيا وكاسبها إلا زخرف فان وحلم زائل، من تمسك به يجد نفسه في حسرة، فشكر هذا المؤرخ بالله ما ناله من فضله ولم تلهه الدنيا عن الآخرة، وتصرف وفق أحكام الشريعة العادلة وأن من أعطاه الإرشاد فإنه صاحب فضل عليه وأنه أحسن كما أحسن الله عليه وقد استوعب دروس الدنيا، وخروجهم منها كما دخلوها. وذكر الآية القرآنية "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول

مـرة"(*) . أمـا الذيـن لا يؤمنـون بـالآخرة فقد زعمـوا أن ليـس لهـم موعـداً أو لا يؤمنون بالبعث. أما المؤمن الذي لا يستعجل الحظ والمكاسـب فإنـه مـن الشـاكرين والمتعظيـن الواعيـن وإذا أصابتـه مصـائب الزمـان وعدم الأمـان وضيـق العيـش والعوز، تذكر ثقاة النـاس الذيـن لـم تغرهـم الدنيـا ومـا فيهـا مـن غـرور، وتحملـوا شدائدها ومنغصاتها وأضرارهـا. ولـم ينقطـع بهـم الأمـل، وأدركـوا أن كـل ظلمـة ورائها ضياء، وبعد كل شدة فرج وتوقع المرء قيام القيامة فرأى كل ألـم بعده لـذه وكل تعب بعده راحة، وتعويض الله له بعد انتقاله من هذه الحياة إلى الآخرة لذلـك كان من الراضين الصـابرين، والمسرعين العابدين. ومطالعة التاريخ في نظـر ابـن الخطيـب تمكـن الانسـان الاطـلاع علـى ذوي الأخـلاق الفاضلـة والسير الحسـنة، ومسارات الناس وأصحاب الأمر والنهي، وذلك كله بهدف إتيـان الفضيلـة وتجنب الرذيلة، والتأدب فـي المجـالس ومعرفـة أسـاليب النقـاش وإبـداء الحجـج، والتـأدب بالأدب، والسعي للوصول نحو الكمال. وهذا ما ورد في كتاب الله جل جلالـه فـي مدح وإطراء لعلم التاريخ وما فيه من مفخرة لأصحابه، وشرف لمـن نهـج سـبيله. قال تعالى "نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنـت من قبله لمن الغافلين"(**). وقال تعالى "أو لـم يسـيروا فـي الأرض فينظـروا كيـف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قـوة، وأثـاروا الأرض وعمروهـا أكـثر مما عمروهـا"(***). ومطـالع التـاريخ كمـن يسير فـي الأرض ويجـول فيهـا طـولا وعرضاً، ويطلع على تاريخ الأمم الخالية، والأجيال الماضية، والرسل المبعوثيـن. وهكذا يكون المطلع على التاريخ قد اتخـذ موعظـة كذلـك يكـون متمكنـاً مـن علـوم الدين، ومتخذاً قدوة للمهتدين وأخيراً يقول ابن الخطيب : وكدنا نخـرج عـن صلـب الموضوع فلا بد مـن الرجـوع إلـى الغـرض المطلـوب وهـو كتابـة تـاريخ اعمـال

(*) سورة الانعام آية : ٩٤.

(**) سورة يوسف آية : ٣.

(***) سورة الروم آية : ٩.

الاعلام[1].

وينحو ابن الخطيب هذا المنحى الإسلامي في نظريته التاريخية فبدأها بصلاته على الرسول (ص) "أعلى الأنام يداً، وأشرف الخلق ذاتاً، وأكرمهم محتداً، الذي انجز الله به من نصر دينه الحق" حتى بلغت دعوته الإسلامية كل زاوية في الأندلس، والمغرب، فارتفع في كل هضبة من هضابها معلماً ومسجداً. ويرى أنه لولا الكتاب أو السجل لم يشعر الآتي من الخلق بما مضى منهم، ولا اتصل الحاضر بالغائب فماتت الفضائل بموت أصحابها، ولا كان بالمستطاع الرجوع إلى الأخبار المنقولة، ولا الأدلة العقلية ولا السياسية المكتسبة، ولا الأنساب الأصلية. ويؤكد على أهمية العلم وخاصة التواريخ. وبالذات تواريخ السير، والتي طبقها فعلاً في كتاباته السياسية فأبرز تراجم تاريخية لصلتها بتاريخ غرناطة في كتابه الإحاطة، إضافة إلى تركيزه على تراجم السلاطين والوزراء والقضاة. وبهذا يقول أن الله " ألهم، وعلم الإنسان بالقلم على مالم يعلم حتى ألفينا المراسم قائده، والمراشد هادية، والأخبار المنقولة، والأسانيد موصولة، والأصول محررة، والتواريخ مقررة، والسير مذكورة"[2].

ويعتبر علم التاريخ عقل البشر، ووسيلة إلى جمع الأخبار، يعرف به الناس أنسابهم ويكسبون به التجربة ويستدلون به ببعض ما يظهر الدهر وما يخفيه، ويرى الإنسان العاقل ما فيه من نهايات الجبابرة فيتخذ موعظة كافية، وكتاب الله ما فيه من القصص ما يؤيد هذا القول وذكر بعض الآيات في هذا الخصوص. كما أن القول التاريخي يحتاج إلى عقل ودين. وهذا ما ذكره أيضاً "ولما كان الفن التاريخي مأرب البشر، ووسيلة إلى ضم النثر، يعرفون به أنسابهم في ذلك شرعاً وطبعاً ما فيه، ويكتسبون به عقل التجربة في حال السكون والرفيه، ويستدلون ببعض ما يُبدى به الدهر وما يخفيه، ويرى العاقل من تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره بالايمان وتشفيه، ويمر على مصارع الجبابرة فيحسبه بذلك واعظاً

---

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم ٨٠٤ لوحة ٣ و ٤)، نقلا عن عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٣٧٥.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٧٩-٨٠.

ويكفيه، وكتاب الله يتخلله من القصص ما يتمم هذا الشاهد لهذا الفن ويوفيه. وقال تعالى "وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"(*). وقال عز من قائل: "نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت من قبله لمن الغافلين"(**). فوضح سبيل مبين. وظهر أن القول بفضله يقتضيه عقل ودين"(١).

وانبرى لدراسة تراث ابن الخطيب وفكره التاريخي كثير من الباحثين سواء أكانت تلك الدراسة عن هذا التراث والفكر بصورة منفردة أو من خلال الكتب والدراسات التي ألفت عن لسان الدين بن الخطيب بصورة عامة التي تضمنت حياته وتراثه المتنوع. وقد أشار أحد الباحثين إلى دراسات ثلاث تتعلق بالجانب التاريخي في تراث ابن الخطيب : الأولى باللغة الفرنسية والثانية بالأسبانية والثالثة بالعربية، وقد عرضها مرتبة حسب تواريخ نشرها، فأولها الدراسة التي كتبها محمد زنيبر وعنوانها "ابن الخطيب والتجديد في المنهج التاريخي" تناول فيها بالبحث طريقة ابن الخطيب في معالجة الكتابة التاريخية والروح التي كان يفهم بها التاريخ، وذلك من خلال دراسة تحليلية للعوامل الذاتية والموضوعية التي دفعت بأبن الخطيب إلى الإهتمام بالكتابة التاريخية. والدراسة الثانية هي التي كتبها المستشرق الألماني ولهلم هانرباخ بعنوان "ابن الخطيب المؤرخ : الشعب – الحكم – الدولة" وهي دراسة كسابقتها تقوم بتحليل نصوص ابن الخطيب التاريخية وخاصة في كتابه "اعمال الاعلام" للكشف عن فكره السياسي والاجتماعي، أي عن فكر ابن الخطيب بوصفه فيلسوفاً للتاريخ وليس مجرد واصف للأحداث. وتعد هذه الدراسة بما اعتمدت من منهج تحليلي وما انتهت إليه من نتائج هامة، رائدة في وسط الاستشراق الذي ظل مدة ينظر الي كتب ابن الخطيب بأعتبارها مجرد حوليات تاريخية عادية ومدونات ولم يجرؤ الإستشراق أن يدرس ابن الخطيب

(*) سورة هود آية : ١٢٠.

(**) سورة يوسف آية : ٣.

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٨٠-٨١.

بوصفه فيلسوفاً للتاريخ. والدراسة الثالثة هي التي كتبها أحمد مختار العبادي بعنوان "لسان الدين بن الخطيب وكتاباته التاريخية" التي تعرض - فيما تعرض - عن حياة ابن الخطيب وعلاقته بمعاصره ابن خلدون ثم عرض لمؤلفاته التاريخية وخاصة "نفاضة الجراب". ويستمر صاحب بحث "لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين" فيقول : وعلى الرغم مما في هذه الدراسة الثالثة مما يدل على سعة إطلاع ومعرفة بشخص ابن الخطيب وتراثه التاريخي إلا أنها لم تكشف عن جديد في الفكر التاريخي[1].

ومن الدراسات التي تعرض للتراث التاريخي لابن الخطيب بحث بعنوان "محاولة لقراءة جديدة في التراث التاريخي للسان الدين بن الخطيب"[2] و "ابن الخطيب مؤرخاً للأندلس في عهد دول الطوائف"[3].

ومن الكتب التي تناولت دراسة ابن الخطيب عموماً وتطرقت إليه مؤرخاً "لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري" لمحمد عبدالله عنان[4]. و "مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس" لأحمد مختار العبادي[5].

---

(١) حسن الوراكلي، "لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين"، مجلة عالم الفكر، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٨، عدد يناير، فبراير، مارس، ص١٤٩-١٥٠. وسيشار له تالياً : الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب.

(٢) ينظر محمد المنوني، محاولة لقراءة جديدة في التراث التاريخي للسان الدين بن الخطيب، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، السنة ١٩٨٦، العدد ٢٥٩، ص٦٤. وسيشار له تالياً : المنوني، محاولة لقراءة جديدة في التراث التاريخي.

(٣) إمحمد بن عبود، ابن الخطيب مؤرخاً للأندلس في عهد دول الطوائف، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية، السنة ١٩٨٦، العدد ٢٥٩، ص٦٨. وسيشار له تالياً : إمحمد بن عبود، ابن الخطيب مؤرخاً.

(٤) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٢٩-٢٥٢.

(٥) أحمد مختار العبادي، مشاهدات لسان الدين الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٨٣، ص٥-٢١. وسيشار له تالياً: العبادي، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب.

وتناول الباحثون بالدراسة والتحليل منهجية ابن الخطيب وفكره التاريخي وتراثه. فوصف البعض دقة معلوماته التاريخية وذلك لأنه كان من عليه القوم وهذه التجربة السياسية كان لها الأثر في هذه الدقة، خاصة لمن يريد الاطلاع على الصورة التاريخية الواضحة للعصر الذي عاش فيه ولحد جزء من عهد السلطان الغني بالله محمد الخامس*. أما مكانته العلمية التاريخية بين كبارمؤرخي الأندلس والمغرب، فإنه لم يصل إلى مرتبة ابن حيان القرطبي المؤرخ الأندلسي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ولا إلى عمق تفكير صديقه ابن خلدون في النواحي الاجتماعية لكن مع هذا فإن أعمال ابن الخطيب التاريخية مهمة جداً لتاريخ غرناطة، حيث لم نحصل على مادة توازيها لتاريخ المدنية(١).

ومما يؤخذ على منهجية ابن الخطيب في كتاباته التاريخية هو عدم حياده والتناقض الذي ظهر في تلك الكتابات، فمما يلفت الانتباه تناقضه في أوصاف بعض الناس فأحياناً يمدح مترجمه ويثني عليه بالعلم والفضل، ولكنه عندما يعاود ترجمته في كتاب آخر، يجرده من كل علم وفضيلة، ويستبدلها بكيل من الشتم والسخرية. وهناك نماذج ليست قليلة عند ابن الخطيب من هذا النوع وردت في الإحاطة في أخبار غرناطة ثم في الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، فتأتي تراجمهم في الكتاب الأول بما يتناسب ومركزهم العلمي والأدبي والسياسي، لكنه عندما يترجم لهم في الكتيبة تتغير رؤيته لهم إلى حد وصفه لهم بأقبح النعوت(٢). وهذه الظاهرة عند ابن الخطيب عرضته إلى انتقادات مرة من قبل القدامى والمحدثين فهو يقول في سلطانه ابن الأحمر محمد الخامس الغني بالله "أمير المسلمين لهذا العهد بالأندلس....، علم الأعلام، وخليفة الله وعماد الإسلام وقدوة هذا البيت الأصيل... ولا توفي العبارة حقه.... ولا تنتهي

---

* تولى الغني بالله محمد الخامس الحكم مرتين الأولى (٧٥٥-٧٦٠هـ/١٣٥٤-١٣٥٩م)، والثانية (٧٦٣-٧٩٣هـ/١٣٦٢-١٣٩١م).

(١) Vigura Molins, La Cultura Nazari, P. 179.

(٢) المنوني، محاولة لقراءة جديدة في التراث التاريخي، ص٦٤.

المدائح عليه"[1]. لكننا نجد الأمير أبا الوليد ابن الأحمر يقول كما أورد المقري "لكن صل لسانه في الهجاء لسع، ونجاد نظافه في ذلك اتسع، حتى صدمني، وعلى القول فيه أقدمني، بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصقع الأندلسي"[2]. ويقول المقري حول الموضوع نفسه "واعلم أن للسان ابن الخطيب رحمه اله تعالى الغاية في المدح والقدح، فتارة على طريق الترسل، وطوراً على غيرها، وقد أقذع وبالغ رحمه الله تعالى في هجو أعدائه بما لا تحتمله الجبال، وهو أشد من وقع النبال"[3].

وهناك العديد من النصوص عن أوصاف بعض الرجال تدل على ابن الخطيب وتأثير التغيرات السياسية التي مرت بها مملكة غرناطة، وما مر به ابن الخطيب نفسه من تقلبات في علاقاته الشخصية مع هؤلاء، فبعدما كانت علاقات طيبة انقلبت إلى علاقات عدائية كل ذلك ظهر في كتبه التي كتبها قبل ذلك الانقلاب في العلاقات وبعده، فقد ذكر ابن الخطيب في كتابه الإحاطة عن ابن زمرك ما يلي : "أسند (السلطان محمد الخامس) الكتابة إلى الفقيه المدرك المبرز في كثير من الخلال ....أبي عبدالله ابن زمرك"[4]. لكنه نراه يستبدل هذا المدح بكيل من الشتائم والسخرية فيقول عنه "هذا الرجّيل ... مخلوق من مكيده وحذر، ومفطور اللسان على هذيان وهذر، خبيث ان شكر، خدع ومكر ودس في الصف العكر"[5] . كذلك نجد أن ابن الخطيب يصف العالم ابن لب في كتابه الإحاطة بأحسن الأوصاف حيث يقول عنه : أنه من أهل خير ومرجع للإستشارة وبارع في العديد من العلوم[6]. ثم نراه يناقض كلامه في الكتيبة الكامنة فيقول عنه "هذا الرجل توكئ عليه لما عدم الزمان الوساد، وخلت الديار فساد، وخلف ثعلبانه الأساد، لم يستند إلى أبوه ترعى، ولا ناظر عن أصل الأصالة فدعا...وليس بأول

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٣.

(٢) المقري، أزهار الرياض، حـ١، ص١٩١.

(٣) المقري، نفح الطيب، م٥، ص١٣٨.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٣٧-٣٨.

(٥) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص٢٨٢.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٥٣-٢٥٤.

من أبق*، وفك الربق**، وأعجبه أصيل العمر فاغتبق***"[1]. وكذلك كان الحال مع أحمد بن فركون الذي وصفه في كتابه الإحاطة بأنه شعلة من شعل الذكاء وجامع للعديد من الخلال الحميدة[2]. ثم يصفه بالكتيبة الكامنة بأدنى الأوصاف[3]. بل يذكر المقري أن ابن الخطيب نفسه كتب على حاشية اسمه في الإحاطة "يسقط هذا الساقط من الديوان"[4]. وتظهر صورة هذا الاتجاه عند ابن الخطيب واضحة فيما أورده بحق عدوه اللدود القاضي النباهي، فقد أثنى عليه في الإحاطة ولكنه ما فتئ أن هاجمه في الكتيبة الكامنة، بل أنه أسقط ترجمته من الإحاطة، ولم يصل إلينا ما كتبه من ثناء عليه في أول الأمر إلا عن طريق المقري الذي قال "وقد أثنى لسان الدين في الاحاطة على القاضي ابن الحسن" إذ وصفه بالنزاهة وسمو معرفته ورجاحة عقله وذلك من خلال ترجمته للسلطان ابن الأحمر[5]. كما أثنى عليه في كتابه اللمحة البدرية فقال عنه "الفقيه الفاضل قريع الأصالة وخدن السداد أبو الحسن علي بن عبدالله بن الحسن"[6]. ثم نجده يذمه في كتابه الكتيبة الكامنة ويلقبه بالجعسوس كما ذكر سابقاً[7] أما في كتابه الآخر أعمال الاعلام فيصفه فيه بضعف العقل، بل أنه ألف كتاباً خاصاً عنه يسخر فيه بالنباهي ويذكر النوادر الغريبة جداً المتعلقة به في كتابه سماه " خلع الرسن في التعريف بأحوال ابن الحسن". ويقول ابن الخطيب نفسه عن هذا الكتاب : "لا شيء فوقه في الطرف،

---

* أبق أي هرب، ابن منظور، لسان العرب، م١، ص٧.

** الربق بالكسر حبل فيه عدة عرى تشد به البهم، ابن منظور، لسان العرب، م١، ص١١١٤.

*** غبق (الغَبوق) الشرب بالعشي، ابن منظور، لسان العرب، م٢، ص٩٥٦.

(١) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص٦٧-٦٨.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٢٠-٢٢١.

(٣) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٤) المقري، نفح الطيب، م٧، ص٢٨٨.

(٥) المصدر نفسه، م٥، ص١٢١.

(٦) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١٣٠.

(٧) أنظر ص١٢٦ من هذه الرسالة.

والاستطراف يسلي الثكالى ونستغفر الله تعالى"[١]. ومن الجدير بالذكر أن للقاضي النباهي هذا رسالة وجهها إلى لسان الدين بن الخطيب يعدد فيها عيوبه[٢]. كما أن للنباهي كتاب بعنوان المرقبة العليا في تاريخ قضاة الأندلس. ويعلق احسان عباس محقق الكتيبة الكامنة فيقول "ومن كتب تلك الرسالة وألف المرقبة لا يمكن أن يكون على مثل هذه الجهالة التي وصفها ابن الخطيب"[٣]. ويبدو أن هذا الرأي صحيح فمن يطلع على كتاب النباهي المرقبة العليا* يتضح لديه قدرة ومكانة هذا العالم العلمية وإن ما ذكره ابن الخطيب عنه كان متأثراً بالعداءات الشخصية بينهم. ومما ورد في تلك الرسالة التي وجهها النباهي لابن الخطيب ذاكراً فيها عيوبه ومنها أنه يعيب عليه ما ورد في كتبه التاريخية ما وقع من الغيبة المحرمة للأحياء والأموات التي هي صفة خاسرة بعيدة عن الدين والعقل[٤].

وبالرغم مما سبق ذكره فإن بعض الباحثين تطرقوا إلى ابن الخطيب مؤرخاً وأوضحوا منهجيته التاريخية وإبداعاته في ميدان التاريخ والمآخذ المأخوذة عليه، فهذا الباحث امحمد بن عبود يقول إن ابن الخطيب لم يتأثر بصديقه ابن خلدون وفلسفته التاريخية في تصوره التاريخي عموماً[٥]. ويبدو أن الباحث المذكور قد نسي أن ابن الخطيب مات ولم يكن ابن خلدون قد ألف كتابه العبر ولا مقدمته ويرى الباحث المذكور ان ابن الخطيب قد تأثر بأبرز المؤرخين المسلمين وخاصة الأندلسيين والمغاربة منهم. كما أنه لم يهتم بفلسفة التاريخ ولم يتعامل مع التاريخ بكيفية شمولية بل اهتم بجوانب معينة من التاريخ الأندلسي وعلى رأسها التاريخ السياسي. وقد اهتم بالتاريخ المحلي كما يتجلى ذلك باهتمامه

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص٧٨-٨٠.

(٢) المقري، ازهار الرياض، جـ١، ص٢١٢-٢١٣.

(٣) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، حاشية ص١٤٦.

* انظر كتاب النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، على سبيل المثال ص٢ عن القضاء وما صارعه، ص١٧١، عن القاضي الشريف الغرناطي، ص٢٠٧، عن صفات كملاء القضاة.

(٤) المقري، أزهار الرياض، جـ١، ص٢١٣.

(٥) أمحمد بن عبود، ابن الخطيب مؤرخاً، ص٦٩.

بتاريخ غرناطة. ومن مميزات كتاباته التاريخية طغيان البعد الإسلامي عليها. كما يعد رصيد ابن الخطيب الثقافي من اطلاعه الواسع في ميدان التاريخ، وبراعته في الأدب والسياسة والتصوف والجغرافية والطب من أهم المؤثرات في كتاباته التاريخية. وكان أكثر تعمقاً ودقة وإبداعاً في تاريخه لغرناطة. كما يلاحظ عند ابن الخطيب طريقة توثيق لكتاباته التاريخية وخاصة في كتابيه الإحاطة وأعمال الاعلام كما تظهر على ابن الخطيب الدقة والضبط في ضبطه للتواريخ خلافاً لبعض المؤرخين[١].

أما المآخذ عليه التي ذكرها الباحث المذكور فهي تأثره بالمنهج السردي والترتيب الزمني، وعلى الرغم من أهمية المعلومات التاريخية الهامة التي قدمها ابن الخطيب فإنه لم يستغلها في قالب تحليلي فهو ضعيف في هذه الناحية بالمقارنة مع بعض المؤرخين الأندلسيين[٢].

ومن مؤرخي غرناطة في هذه الفترة ابن الزبير الذي ألف كتاب "صلة الصلة" وهو من أشهر كتبه التاريخية ويضم تراجم علماء الأندلس في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وهو صلة أو ذيل لكتاب الصلة لابن بشكوال[٣]. وتسمى صلة الصلة البشكوالية[٤]. ومن مؤلفاته في التراجم "كتاب الأعلام فيمن ختم به القطر الأندلسي من الاعلام"[٥].

ومن أبرز مؤرخي عصر مملكة غرناطة، بل من أبرز مؤرخي الأندلس قاطبة علي موسى بن سعيد الغرناطي المتوفى سنة (٦٨٥هـ/١٢٨٦م) الذي كان من بيت علم ووصفه ابن الخطيب بأنه أديب رحالة اخباري كثير الترحال ومداخلة

---

(١) المرجع نفسه، ص٦٩-٧٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٧٥.

(٣) انظر ابن الزبير، صلة الصلة، مكتبة خياط، بيروت، د.ت، ونسخة أخرى، بتحقيق رضا هادي عباس مكتوبة على الآلة الطابعة، ١٩٨٩.

(٤) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤٢.

(٥) الشوكاني، البدر الطالع، جـ١، ص٣٤؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، م١، ص٢٨٦؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص١٠٣.

الأعيان والتمتع بالخزاين العلمية. وله مؤلفات تاريخية كثيرة منها "المغرب في حلى المغرب"* و "المشرق في حلى المشرق"** و "الطالع السعيد" في تاريخ بيته وبلده وله كتاب يسمى "المرزمة" يشتمل على وقر بعير لا يعلم فيه من الفوائد الأدبية والاخبارية إلا الله على حد تعبير الوزير ابن الحكيم[١].

ولابن سعيد كتاب "القدح المعلّى في التاريخ المحلّى" ويحتوي القسم الأول منه على تاريخ الأمم القديمة كتاريخ العمالقة وتاريخ القبط وتاريخ اليهود وتاريخ ملوك بابل وتاريخ ملوك الفرس وتاريخ اليونان وتاريخ الروم وتاريخ النبط. أما القسم الثاني من القدح المعلى فيختص بالأمة العربية. وأطلق عليه ابن سعيد نفسه اسم "تاريخ الأمة العربية". والعنوان يلفت النظر وكأنه كتب في العصر الحديث مع ظهور فكرة القومية العربية.وقسم ابن سعيد تاريخ الأمة العربية هذا إلى تاريخ العرب قبل الإسلام وسماه "نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب" وهو مطبوع، وتاريخ العرب بعد الإسلام وسماه "مصابيح الظلام في تاريخ ملة الإسلام" وهو مفقود[٢].

---

* كان ابن سعيد آخر أفراد أسرة بني سعيد الستة الذي أكمل كتاب "المغرب في حلي المغرب" وأخرجه في صورته النهائية، ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٢جـ، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠، جـ٢، ص هـ، مقدمة المحقق؛ محمد النيفر، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، ٢جـ، تذييل واستدراك علي النيفر، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦، جـ١، ص٤٠٤؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٣١.

** يقول بركلمان أن كتاب المشرق في حلى المشرق قد ضاع. ينظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٦، ص٩٦. وأشار إلى هذا الكتاب إضافة إلى ابن الخطيب، الكتبي، فوات الوفيات، جـ٣، ص١٠٣؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٠٩؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٢٧١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، م١، ص١٦٩٣؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص٧١٥.

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٥٢–١٥٨.

(٢) ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ٢جـ، تحقيق نصرت عبد الرحمن، نشر مكتبة الأقصى، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، د.ت، جـ١، ص١٤–١٦، مقدمة المحقق . وسيشار له تالياً : ابن سعيد، نشوة الطرب.

وقد اختصر "القدح المعلى في التاريخ المحلى" أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن خليل ونشره بعنوان "اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى"(١).

ولابن سعيد مؤلفات تاريخية كثيرة منها "رقم الحلل في معرفة الملل والدول" و "السمر المذاب في طبقات الخطباء والكتاب" و "الشجرة المثمرة بالاعلام المشتهرة" و "كنوز المطالب في آل أبي طالب" و "لذة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام" و" المغرب عن تاريخ سيرة أهل المغرب"(٢).

وذكر كل من حاجي خليفة والبغدادي أن هنالك مؤرخاً غرناطياً اسمه أحمد بن علي بن سعيد الغرناطي قد ألف كتاباً في تاريخ اليمن وآخر في تاريخ غرناطة(٣). ويبدو أن أحمد هذا هو ابن الجغرافي والمؤرخ ابن سعيد سابق الذكر.

وكان شيخ المحدثين أبو البركات محمد بن محمد البلفيقي ابن الحاج الذي تولى قضاء غرناطة قد صنف عدة تصانيف منها مصنفات تاريخية مثل : الإيضاح في من ذكر بالأندلس بالصلاح، وتاريخ المرية، والعلن في انباء ابناء الزمن. وكان ابن خلدون عظيم الاجلال له لا يقدم عليه أحداً(٤). ومن أشهر تلامذته ابن مرزوق(٥) ولسان الدين بن الخطيب ومن الطريف أن أبا البركات هذا التقى بابن بطوطة وحدثه بغرائب رحلته، لكن أبا البركات رماه بالكذب في أقواله، فبرأه ابن مرزوق(٦).

ولابن الحاج النميري الغرناطي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م) كتاب تضمن معلومات تاريخية كثيرة على الرغم من أن الكتاب في الحديث النبوي الشريف وقد ورد عنوانه هكذا "الأربعون حديثاً التي رويتها عن الأمراء والشيوخ الذين رووا

---

(١) ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ص١٤، مقدمة المحقق، نشوة الطرب، ص١٤، مقدمة المحقق.

(٢) ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ص٦-١١، مقدمة المحقق.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، م١، ص٣١٠؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص٩٧.

(٤) ابن حجر، الدرر، طبعة بيروت، جـ٤، ص٩٧.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه، طبعة بيروت، جـ٣، ص٢٩٢.

عن الملوك والأمراء والشيوخ الذين رووا عن الملوك والخلفاء القريب عهدهم". ويقول ابن الحاج بأنه وصل به خاتمة قد ذكر فيها العديد من الفوائد مما رواه عن الملوك والأمراء وعن الشيوخ الذين رووا عن الملوك والأمراء[1]. ويظهر الجانب التاريخي في هذا الكتاب من خلال القسم الخاص بسير ثقافة هؤلاء الملوك والأمراء والشيوخ الذين رووا الأربعين حديثاً.

وللمؤرخ ابي عباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م) نشاط في الكتابة التاريخية تأليفاً وحفظاً وتدريساً، فقد كان له اعتناء بالبحث عن الأخبار ومعرفة الرجال من أهل عصره ومن المتقدمين، وألف كتاباً سماه "كتاب المشرق في علماء المشرق والمغرب" ذكر فيه المصنفين من أهل العصر شرقاً وغرباً. وكان يحفظ تاريخ الرسل والملوك للطبري[2]. وعلى الرغم من أن حفظه أمر غير هين، إلا أن الغبريني يبدد استحالة حفظه ويرى أنه استطاع حفظه[3].

وكتب الصوفي علي بن عبد العزيز الهاشمي المعروف بالقرشي (ت٧٤٤هـ/١٣٤٣م) كتاباً على نهج القاضي عياض "الشفا في أخبار المصطفى"[4].

ومن الكتب التي تندرج ضمن كتب التاريخ الكتب الخاصة برسوم المملكة، ما ألفه محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي (ت٧٣٥هـ/١٣٣٥م) بعنوان "الحجة في رسوم المحجبة"[5].

وساهم أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم اللخمي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) في دراسة التاريخ والكتابة التاريخية ووصف بأنه تاريخي يسرد نتف التاريخ وعيون الاخبار. ومن مؤلفاته التاريخية أكمل كتاب التاريخ المسمى "بميزان العمل" لابن

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٩٦-١٩٧.

(٢) الغبريني، عنوان الدراية، ص٣٤٧؛ القرافي، توشيح الديباج، ص٧٠؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص١٩٩.

(٣) الغبريني، عنوان الدراية، ص٣٤٧.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٩٩-٢٠٠.

(٥) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٤١١.

رشيق القيرواني وألف كتاباً آخر في التاريخ عنوانه "الأخبار المذهبة"[١].

وكان للفقيه النحوي أبي الوليد اسماعيل بن هاني اللخمي الغرناطي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م) اهتمام بالتاريخ والسير حتى أنه كان يحفظ كتاب سيرة الرسول (ص) لابن هشام عن ظهر قلب[٢].

وتنوعت مؤلفات ابن عاصم في شتى المواضيع ومنها ما كان تاريخياً بحتاً مثل "الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض" وهو ذيل لكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب. واحتوى كتاب الروض الأريض على قسم بعنوان "شموس العصر في ملوك بني نصر" يتضمن تراجم لملوك بني الأحمر[٣]. والكتاب مفقود ولا توجد منه إلا ورقة واحدة في مكتبة الاسكوريال. ويعلق محقق كتاب جنة الرضا على هذا الكتاب فيقول لو وصلنا هذا الكتاب لحققنا فائدة كبيرة لأنه يغطي فترة يشوبها بعض الغموض من تاريخ مملكة غرناطة، وهي فترة النصف الأول من القرن التاسع الهجري[٤].

أما كتابه الذي وصلنا فهو "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى" فقد ذكر المقري أن سبب تأليف ابن عاصم هذا الكتاب هو استيلاء النصارى على الأندلس ما عدا غرناطة والمناطق المحيطة بها، والصراع الذي كان بين أبناء أسرة بني الأحمر على السلطنة إذ يقول : "أنه لما رأى اختلال أمر الجزيرة وأخذ النصارى لمعظمها، فإنه لم يبق بيد المسلمين إلا غرناطة وما يقرب منها، مع حدوث فتن بين ملوك بني الأحمر حينئذ، ثم صار الملك إلى بعض منهم بعد أمور يطول توضيحها، ألف كتاباً سماه "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى". وقد

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٧٢، ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٤٠٦-٤٠٧؛ السخاوي، تراجم مغربية وأندلسية، ص٢٥٣.

(٣) المقري، نفح الطيب، م٦، ص١٤٦؛ أزهار الرياض، جـ١، ص١٤٥؛ البغدادي، هدية العارفين، ص١٩٩.

(٤) ابن عاصم، جنة الرضا، جـ١، ص٦٩، مقدمة المحقق.

وصف المقري أيضاً الكتاب بأنه عجيب جداً غريب(١). وأراد من كتابه هذا تقديم الموعظة والاعتبار لاولي الأمر حيث يذكر في مقدمة كتابه أن حوادث الأيام يتخذ منها عبر لأولي الافهام وأن أحوال الدنيا سريعة التقلب وأنه شاهد أنواعاً من العبر فيها وعانى فيها اشباها من الآيات الكبر(٢). وقسم ابن عاصم كتابه إلى ست صور للابتلاء وجعل لكل صورة من الصور خاتمة سماها "خاتمة الصورة" قصرها على سوق حوادث من عصره في غرناطة مما يلائم تلك الصورة(٣). إضافة إلى المعلومات التي وردت في الصور فهنالك أمور تتعلق بالتاريخ الإسلامي منذ عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والمرابطين والموحدين وغيرهم.

وكان للوزير المهندس محمد بن علي بن الحاج الغرناطي (ت٧١٤هـ/١٣١٤م) اطلاع على سير حكام الأسبان وكان شغوفاً بأخبارهم، وساعده على ذلك معرفته للغة الأسبانية(٤).

وللأديب أبي عبدالله محمد بن محمد بن جزي محرر رحلة ابن بطوطة اهتمام بالتاريخ، وقد ألف كتاباً في تاريخ بلدة غرناطة، سماه "تاريخ غرناطة" اعتمد عليه معاصره لسان الدين بن الخطيب في كتابه " الإحاطة في أخبار غرناطة" (٥).

ومن مشاهير المؤرخين الأندلسيين المتأخرين محمد بن الأزرق الغرناطي (ت٨٩٦هـ/١٤٩١م) صاحب كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك" في السياسة السلطانية الذي نحى فيه منحى ابن خلدون في مقدمته، ويحتوي الكتاب على مقدمتين واعتمد المؤلف في كتابه هذا على مجموعة كبيرة من كتب التراث

---

(١) المقري، أزهار الرياض، جـ١، ص٥٠.

(٢) ابن عاصم، جنة الرضا، جـ١، ص٩٤-٩٥.

(٣) المصدر نفسه، جـ١، ص٧٨-٨٠.

(٤) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص١٨٨.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٥٧؛ الشوكاني، البدر الطالع، جـ٢، ص٢٤٢-٢٤٣؛ المقري، أزهار الرياض، جـ٣، ص١٩٠.

العربي، تدل على خصوبة المكتبة الأندلسية في عصره. وتقدم لنا نصوصاً متعددة من كتب لم تصل الينا وللكتاب فائدة أخرى هي كشفه لمصادر ابن خلدون، إضافة إلى مصادره هو(١). وقد وصفه المقري بـ الإمام العلامة المؤرخ قاضي الجماعة بغرناطة. درس على أبرز علماء غرناطة كابن فتوح وأبي عبدالله السرقسطي والبقني وابن عاصم(٢). ومن الجدير بالذكر ان ابن الأزرق تدخل في الفتنة الدائرة بين السلطان ابن الحسن علي بن سعد وابنه أبي عبدالله الصغير، إذ نكث الناس بيعة الأب وبايعوا عوضاً عنه ابنه، فتدخل ابن الأزرق وابن مواق وغيرهم وأصدروا فتوى بشجب الناكثين عام ٨٨٩هـ/١٤٨٤م(٣). وهاجر الأخير في العقد الأخير من القرن التاسع الهجري إلى القدس وتولى القضاء والإفتاء والتدريس والسفارة وتوفى فيها(٤).

ومن علماء مالقة الذين كان لهم مساهمة في المؤلفات التاريخية القاضي النباهي فدوره في مجال التاريخ يظهر من كتابه "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا" و "تاريخ قضاة الأندلس"* الذي يشكل الباب الثاني منه أكثر من ثلثي الكتاب ويدور حول مجموعة تراجم قضاة مغربيين أكثرهم أندلسيين، وهنا تظهر القيمة التاريخية الكبيرة للكتاب المذكور. وللنباهي تاريخ مفيد للدولة النصرية الغرناطية فيه كثير من الاستطرادات الأدبية عنوانه "نزهة البصائر

---

(١) أبو عبدالله ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ٢جـ، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، جـ١، ص٢١، مقدمة المحقق. وسيشار له تالياً : ابن الأزرق، بدائع السلك؛ خالد ميلاد، أثر المقدمة في مؤلفات القرن التاسع الهجري من خلال مقارنة بين مقدمة ابن خلدون ومقدمتي ابن الأزرق، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب جامعة تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٨٩، العدد ٣٠، ص٢٢١.

(٢) المقري، أزهار الرياض، جـ٣، ص٣١٧؛ نفح الطيب، م٢، ص٦٩٩؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٢٤.

(٣) ابن الأزرق، بدائع السلك، جـ١، ص١٠، مقدمة المحقق.

(٤) المجاري، برنامج المجاري، ص٣١، مقدمة المحقق؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٧٠٢.

* عنوان الكتاب المطبوع تاريخ قضاة الأندلس، المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا.

والأبصار"[١]. وبالنسبة إلى هذا الكتاب الأخير تشير الباحثة فيجورا مولينس بأن المستشرق الأسباني لافنتي ألكترا (Lafuente Alcantra) أفاد من هذا الكتاب في دراسته حول الأخبار التاريخية عند بني الأحمر منذ بداياتهم وحتى عهد السلطان محمد الخامس، وتوجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان الأولى في الإسكوريال والأخرى في المغرب ولم يحدد المكان الذي توجد فيه هذه المخطوطة في المغرب[٢].

وألف الشاعر المالقي علي الخشني (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) الذي درس في غرناطة وكان كثير التردد عليها كتاباً في فضل مكة، عكف على تأليفه طيلة عمره[٣]. ومن المحتمل أن يكون ذلك في تاريخها.

ومن العلوم التي اهتم بها أبو حيان الغرناطي التاريخ[٤] ولكن مع الأسف فإن جميع كتبه التاريخية مفقودة وهي "تحفة الندس في نحاة الأندلس"، و "مجاني الهصر في آداب وتواريخ أهل العصر"، و "النضار في المسلاة عن نضار"، و "مشيخة ابن أبي منصور"، و "نفحة المسك في سيرة الترك"[٥].

وكان للأمير الغرناطي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م) صاحب المؤلفات الكثيرة اهتمام بالتاريخ وألف فيه "روضة النسرين في دولة بني مرين"[٦] ويبدأ فيه بنسب بني مرين ثم تشعب قبائل زناتة ثم يذكر دولة أمير كل

---

(١) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ي، مقدمة المحقق.

(٢) Viguera Molins, La Caltura Nazari, P. 172-175.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص١٧٧-١٨٨.

(٤) المحامي، سطور مع العظماء، ص١٣١؛ محمود مصطفى، إعجام الأعلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص٤٩؛ شوقي المعري، أشهر علماء العربية، مجلة بناة الأجيال، مجلة فصلية تربوية ثقافية منوعة تصدر عن المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين في القطر العربي السوري، العدد ١٩، السنة الخامسة، تموز، ١٩٩٦، ص١٥١.

(٥) الصفدي، نكت الهميان، ص٢٨٣؛ المقري، نفح الطيب، م٢، ص٢٥٢،؛ ابن هشام، شرح اللمحة البدرية، جـ١، ص٦١، مقدمة المحقق.

(٦) الونشريسي، الوفيات، ص١٣٦؛ المجاري، برنامج المجاري، ص٢٩، مقدمة المحقق؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص١٦٦؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٩٩.

من أمرائهم بدءً من إمارة الأمير الأعذر العسكري وانتهاءً بأمارة محمد بن أبي حمو[1]، و "النفحة النسرينية واللمحة المرينية" و واضح من عنوانه أنه في تاريخ الدولة المرينية يبدأ بقيام دولتهم ونسبهم وأصولهم وينتهي بالأمير أبي العباس أحمد المستنصر[2]. و "بيوتات فاس الكبرى"[3] ذكر فيه ثلاث عشر بيتاً من بيوتات فاس، وأعيانها خاصة القادمين إليها من الأندلس. ويقول أحد الباحثين أن ابن الأحمر أراد في هذا الكتاب أن يعرف بالعوائل الأندلسية الوافدة إلى فاس حفاظاً على هويتهم للأجيال القادمة، لكي لا يضيع ماضيهم المجيد[4]. وله "مُسْتودع العلامة* ومُستبدِع العلاّمة" تكلم فيه عن العَلامَة ثم من تولى العَلامَة من الكتاب خاصة فيها يتعلق بالدولة المرينية وبدأ بترجمة الشريف أبي القاسم السبتي ولكنه لم يقصره على كتاب الدولة المرينية، بل ذكر كتاباً مشارقة مثل محمد بن سلامة القضاعي كاتب الظاهر الفاطمي والطغرائي كاتب السلطان السلجوقي ملكشاه[5]. وله أيضاً "تأنيس النفوس في تكميل نقط العروس" وأصل نقط العروس لابن حزم وهو في تاريخ الخلفاء[6]، و "نظم وشرح على منهاج رقم الحلل" وهو كتاب على

(١) اسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٢، ص٦٢-٦٣.

(٢) اسماعيل بن يوسف بن الأحمر، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، مطبعة الشام، دمشق، ١٩٩٢، ص١٣، ٢١. وسيشار له تاليا : ابن الأحمر، النفحة النسرينية

(٣) اسماعيل بن يوسف بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٧٢.

(٤) ابن الأحمر، النفحة النسرينية، ص١٠، مقدمة المحقق.

* العلامة هي خطة سامية أو منصب تسند لكاتب من كبراء الدولة وذوي الرأي والمكانة، وهي بمثابة شعار الدولة أو الامضاء. ابن خلدون، المقدمة، م٢، ص٢١؛ ابن الأحمر، مستودع العَلامة، ص٧، مقدمة المحقق.

(٥) ابن الأحمر، مستودع العلامة ، ص١٨-٢٧.

(٦) الونشريسي، الوفيات، ص١٣٦؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص١٦٦.

غرار كتاب لسان الدين بن الخطيب "رقم الحلل في نظم الدول"[1]. وله كتب في تاريخ الأدب منها "نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان"[2]، و "نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان"[3].

وممن كان له معرفة بالتاريخ العالم الحفار[4] حيث يذكر المجاري في برنامجه أنه درس عليه كتاب ترتيب المدارك وهو كتاب تاريخي في تراجم الرجال المالكية للقاضي عياض[5].

ويلاحظ على العلماء في هذه الفترة اهتمامهم بتأليف البرامج والبرنامج هو نوع من كتب التراجم تضم شيوخ مؤلفيها وما أخذوه عنهم من الروايات، وما قرأوه عليهم من الكتب. وبرنامج كلمة معربة من كلمة (برنامة) الفارسية. واختلفت تسميات هذا النوع من الكتب مثل : فهرست، معجم، مشيخة، الثبت، السند، التقييد. وأهل الأندلس يستعملون البرنامج[6].

فعرف عن العلامة ابن الخطيب اهتمامه بذكر شيوخه الذين تتلمذ على يدهم في العديد من المؤلفات التاريخية والأدبية[7].

وألف العلامة ابن الزبير معجماً لشيوخه[8]، وبرنامج رواياته الذي أهدي نسخة منه إلى ابن عبد الملك المراكشي[9]. ويبدو أن هذا البرنامج هو نفسه الذي أشار إليه ابن القاضي في درة الحجال فقال أن له فهرسة جيدة[10]، ونقل الكتاني

---

(١) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٩٩؛ ابن الأحمر، النفحة النسرينية، ص١٣، مقدمة المحقق.

(٢) الونشريسي، الوفيات، ص١٣٦؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ١، ص١٦٦؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص٢١٥.

(٣) ينظر ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان.

(٤) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٧٢.

(٥) المجاري، برنامج المجاري، ص١١٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٥٩-٦٠.

(٧) تنظر مؤلفات ابن الخطيب، في موضوع النثر والتاريخ.

(٨) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٤؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص١٠٣.

(٩) المراكشي، الذيل والتكملة، ق١، ص٣٤.

(١٠) ابن القاضي، درة الحجال، ص١٣.

قول أبي اسحاق الدرعي عن فهرسة ابن الزبير هذه أنها أجمع الفهارس[١].

أما المقرئ أبو عبدالله محمد المجاري الأندلسي فقد ألف برنامجاً سماه بأسمه "برنامج المجاري" ذكر فيه شيوخه فبلغ عدد الذين لقيهم وقرأ عليه أو سمع منهم أربعة وثلاثين شيخاً. وكان منهم الأندلسيون والتلماسيون والبجائيون والتونسيون والمصريون. ففي غرناطة أخذ عن أربعة عشر شيخاً فيهم الاعلام الذين تفخر فيهم فترة الازدهار العلمي والثقافي الذي عرفته مملكة غرناطة مثل الشاطبي وابن جزي وابن عاصم والشقوري[٢].

ودون أبو القاسم بن سلمون مشيخته وبرنامج روايته حيث ذكر في برنامجه هذا أنه أجازه من أهل المغرب والمشرق والأندلس عدد كثير من العلماء يزيد على المائة[٣].

وألف المنتوري كتاب برنامج رواياته ذاكراً فيه شيوخه الذين تتلمذ عليهم من أهل الأندلس والمغرب والمشرق، وقد درس المنتوري على يد أشهر علماء غرناطة مثل شيخ غرناطة أبي سعيد وفرج بن لب والقيجاطي وغيرهم كثير حسب ما ذكره في برنامجه. كما ذكر في برنامجه أنه تتلمذ على يد بعض علماء غرناطة في المدرسة اليوسفية. والكتاب لا يزال مخطوطاً[٤].

وعرف عن المحدث المقرئ الطراز سابق الذكر مساهمته في كتابة التراجم عن طريق تأليفه فهرسة اشتملت على أسماء شيوخه وما روى عنهم اعتمدها المؤرخ ابن الابار في كتاب التكملة لكتاب الصلة[٥].

وشارك الفقيه الحافظ أو القاسم محمد بن أحمد بن جزي – فيما شارك من علوم – في مجال الكتابة التاريخية، إذ ألف فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من

---

(١) الكتاني، فهرس الفهارس، جـ١، ص٤٥٤.

(٢) المجادي، برنامج المجادي، ص٣٥.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٠٩؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٢٦، النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٦٧.

(٤) بنشريفة، المنتوري، ص١٧-٢٣، Viguera Molins, La Cultura Nazarí, P. 183.

(٥) الكتاني، فهرس الفهارس، جـ١، ص٤٧١.

علماء المشرق والمغرب(١).

وأنجبت عائلة البلوي أكثر من عالم منهم الأب علي بن أحمد البلوي الذي برع في الحديث والفقه واللغة العربية وتولى الإمامة بمسجد غرناطة(٢)، وابنه أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الغرناطي (ت٩٣٨هـ/١٥٣٢م) * الذي تتلمذ في غرناطة على والده والقلصادي والجابري الغرناطي والمواق. وله مناظرات ونزاع في مسائل نحوية في غرناطة مع الفقيه المدرس البسطي على ما رواه العقيلي كاتب أبي عبدالله الصغير آخر سلاطين بني الأحمر في غرناطة. وألف أبو جعفر البلوي كتاب "ثبت أبي جعفر البلوي" تعرض فيه لشيوخه وتتلمذه على أيديهم. وتضمن رسائل ومكاتبات دارت بين المؤلف وشيوخ زمانه. واحتوى على بعض ما كتبه الأندلسيون المتأخرون . وهنا تظهر أهمية "ثبت أبي جعفر البلوي" التاريخية في وقت ندرت فيه المصادر التاريخية المؤلفة من قبل أندلسيين بسبب النكبة التي تعرضوا إليها بسقوط غرناطة(٣).

واتخذت البرامج صوراً متعددة فمنهم من ذكر أهل بيته وقومه ومنهم من

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢١؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٩٦؛ المقري، نفح الطيب، م٥، ص٥١٥.

(٢) البلوي، ثبت، ص٢٤-٢٦؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢١٠؛ القرافي، توشيح الديباج، ص١٣٠.

* كان معاصراً للعهد الأخير لمملكة غرناطة. واستمرت حياته (٤١) إحدى وأربعين سنة بعد سقوط غرناطة إلا أنه لم يكن في غرناطة عند سقوطها إذ غادرها قبل سقوطها بثلاث سنوات أي في سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م، عندما أحس بذلك السقوط. والملفت للنظر هو أن البلوي المذكور لم يتوجه إلى المدن الإسلامية المعروفة في المغرب والمشرق كفاس وتونس ومكة والمدينة والقاهرة ودمشق وبغداد، إنما كانت وجهته إلى القسطنطينية التي انضوت تحت لواء الإسلام منذ (٣٦) ست وثلاثين سنة أي منذ افتتاحها سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. البلوي، ثبت، ص ٣٤-٣٦، ٤١، مقدمة المحقق.

(٣) البلوي، ثبت، ص٢٠-٢٣، ٢٧-٢٨، مقدمة المحقق، ص١٠٤، ١٧٧، ٢٠٧؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٩٠؛ البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص١٤٠؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٧٣؛ بنمنصور، اعلام المغرب، جـ٥، ص١٥٠-١٥٨.

ذكر شيوخه في ديوان. فقد ألف ابن عاصم كتاباً بعنوان "تقييد" عرّف فيه أهل بيته. ذكر فيه تراجم أعلام أسرته ودورهم في الحركة العلمية والثقافية في غرناطة ومؤلفاتهم وعلاقاتهم بعلماء عصرهم، ذكر هذا الكتاب التنبكتي ونقل منه(1)، وهو مفقود.

كما ألف أحمد بن مسعدة العامري كتاباً في تاريخ قومه وقرابته وكتاباً يشتمل على مثالب أهل غرناطة ذكر فيه فلتات أهل غرناطة وعدم اتصافهم بالعصمة(2).

وكان لديوان عبد الكريم القيسي – وهو آخر شعراء الأندلس – أهمية تاريخية وذلك لأن المصادر التاريخية الأندلسية للفترة الأخيرة من مملكة غرناطة قليلة جداً(3). ومن يطلع على ديوانه يجد الكثير عن أخبار وحقائق العلاقات العسكرية بين الدولة الأسبانية ومملكة غرناطة، ناهيك عن المعلومات المتعلقة بالناحية الثقافية من خلال تعرض الشاعر في قصائده إلى ذكر أخبار شيوخه الغرناطيين وغيرها وزملائه في الدراسة الذين أصبح لهم شأن كبير في الحياة العلمية والثقافية(4).

ويمكن عد الأديب عبدالله مولى أبي عثمان بن حكم صاحب جزيرة مينورقة الأندلسية في عداد المؤرخين وذلك لأنه ألف برنامجاً (فهرسة) ذكر فيه نحو السبعين من شيوخه، وكان قد درس على يد حاكم الجزيرة نفسه ثم دخل غرناطة وتتلمذ على أيدي الكثير من علمائها ومؤرخيها منهم المؤرخ ابن عبد الملك المراكشي صاحب الذيل والتكملة من كتابي الموصول والصلة. وعُرض عليه العمل المخزني فرفض ورضى بحاله وفقره، إلا أنه زاول الوراقة وتجليد

---

(1) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٨٥.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٦٤-١٦٥؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ١، ص٧٣؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤١.

(3) بنشريفة، البسطي، ص٩، ١١٦.

(4) القيسي، ديوان؛ مكي، القيسي الغرناطي، ص٥٦-٥٧.

الكتب فانتعش حاله[1].

كما ألف الأمير أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر المستقر في فاس كتاب "برنامج شيوخه" ذاكراً فيه شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم[2].

٢- الجغرافية :-

يتمثل النتاج الجغرافي الغرناطي بكتب ابن سعيد الثلاثة "بسط الأرض في الطول والعرض". ومن الموارد التي استقى منها معلوماته في كتابه هذا بطليموس والمسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) وابن فاطمة*[3]. ويضيف حسين مؤنس إلى أنه تأثر بكل من التيفاشي (ت٦٥١هـ/١٢٥٣م) والادريسي (ت٥٦١هـ/١١٦٦م) [4]. ويحتوي كتابه هذا على وصف للعديد من أقاليم المعمورة ومدنها ويذكر خطوط طولها وعرضها مثل افريقيا الغربية أي السودان الغربي والعراق وبلاد فارس والهند والصين[5].

وقد احتوى كتاباه الاخران "المشرق في حلى المشرق" و "المغرب في حلى المغرب" على معلومات جغرافية[6]. فمثلاً احتوى كتابه "المغرب في حلى المغرب" على معلومات جغرافية وصفية لكل مدينة تسبق تراجم اعلامها معيناً مواقعها

(١) المراكشي، الذيل والتكملة، ق٢، ص٥٣٥.

(٢) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٩٩.

* لا يعرف عن ابن فاطمة الشيء الكثير حتى اسمه الكامل لا يعرف إلا هكذا، وهو على الأغلب رحالة من أهل السودان الغربي من أهل القرن السادس الهجري. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، نشر مطبعة مدبولي، المطبعة الفنية، القاهرة، ١٩٨٦، ص٥٠٧. وسيشار له تاليا : مؤنس، تاريخ الجغرافية.

(٣) ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينسيس، تطوان، معهد مولاي الحسن، ١٩٥٨، ص١٣، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٤٧-٤٩، ٧١، ١٠٢، ١٢١. وسيشار له تالياً : ابن سعيد، بسط الأرض.

(٤) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص٤٩٥-٥٠٦.

(٥) ابن سعيد، بسط الأرض، ص٤٢، ٤٩، ٥٥، ٦٩، ٩١-٩٤، ٩٦-٩٧.

(٦) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص٤٧٤-٤٧٥.

وتاريخ بنائها وثرواتها ومياهها[١]. ووصف ابن سعيد بأنه نظّار محقق ذو فهم وحس جغرافيين[٢].

ويقول أحد الباحثين عن مؤلفات ابن سعيد عموما أنه اعتمد على مؤلفات الادريسي لكنه زاد عن الادريسي ذكره بيان عروض جميع المناطق المعمورة التي حددها بشكل دقيق وأطوالها. ومن جملة الأشياء التي وصفها ابن سعيد الغرناطي مكتبات بغداد الست والثلاثين التي كانت في أيامه، كما كتب عن أوربا الشرقية والوسطى والشمالية والغربية وجزيرة ايسلنده كما وصف الصين وأواسط آسيا وفرنسا وهنغاريا وآسيا الوسطى. كما اعتمد كثير من الجغرافيين والعلماء العرب على مؤلفاته ومنهم ابن خلدون[٣].

وباستثناء كتب ابن سعيد الثلاثة المذكورة وكتاب ابن الخطيب الموسوم بـ "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"[٤] الذي كتبه على شكل مقامة وصف فيها أربعاً وثلاثين مدينة من مدن إمارة بني الأحمر وصفاً جغرافياً مبيناً محاسن وعيوب كل منها[٥]. كذلك كانت الرحلة هي الحقل الجغرافي الوحيد الذي برز خلال عهد بني الاحمر بين الحقول الجغرافية الأخرى[٦].

ولقد قام ابن الخطيب بنفسه برحلة في ربوع المغرب الأقصى خلال فترة

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، جـ١، ص٣٦٣، ٣٨١، ٤٠٣، ٤١١، ٤٢٣، جـ٢، ص٨، ٤٩، ٥١، ٩٣، ١٩٠، ٤٢٥، ٢٩٧.

(٢) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص٤٨٠.

(٣) محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص١٦٧.

(٤) انظر لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مطبعة أحمد يمني، فاس، ١٣٢٥.

(٥) العبادي، مشاهدات لسان الدين الخطيب، ص١٢ Viguera Molins, La cultura Nazarí, P. 184.

(٦) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٦، ص٧٧. Viguera Molins, La Cultura Nazarí, P. 184.

منفاه سماها "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب"[1]. ولم يصلنا إلا الجزء الثاني منها والنفاضة مليئة بالأحداث التاريخية المعاصرة لابن الخطيب كما سبقت الإشارة. ويبدأ رحلته في هذا الجزء بالصعود إلى جبل هنتانة[2] فيصل إلى المكان الذي توفي فيه السلطان الشهيد ابو الحسن علي المريني بعد أن ثار عليه ابنه أبو عنان ثم يزور في أغمات قبر الملك الشاعر المعتمد بن عباد أحد ملوك الطوائف[3]. ويذيلها ببعض الرسائل الأدبية التي كتبها ابن الخطيب أثناء مقامه في المغرب[4].

أما الرحلة الثانية له فهي بعنوان "خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف" وهي وصف لرحلة قام بها الأمير أبو الحجاج يوسف الأول في النواحي الشرقية لغرناطة[5] في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وزار فيها عدة مدن أندلسية مثل بسطة ووادي آش والمرية. وقد طبعت هذه الرحلة ضمن كتاب "مشاهدات لسان الدين بن الخطيب[6].

وتعد رسالة ابن الخطيب الموسومة : "مفاخرات مالقة وسلا" من مؤلفاته الجغرافية[7] وهي عبارة عن مقامةمسجعة قارن فيها ابن الخطيب بين الثغرين مالقة الاندلسية رسلا المغربية، ويظهر فيها انحيازه إلى وطنه الأندلس وتفضيل الأولى على الثانية ومما جاء فيها قوله : بان مالقا أرفع قدراً وأعز مكاناً وأناسها أكرم، سكن فيها الملوك من الأدارسة وصنهاجة ثم بنو الأحمر أنصار الأسلام الذي يشهد على جيشها بالاقدام فأين سلا من هذه المميزات وأين الجنود والبنود والحصون نزور منها الوفود[8]. إلا أن محمد عبدالله عنان يقول : "إن هذه المقامة

---

(١) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص٨، مقدمة المحقق.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠-١١، ٥٢-٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٤٣-٣٦٩.

(٥) سيبولد، "ابن الخطيب"، دائرة المعارف الاسلامية، م١، ١٥٢.

(٦) العبادي، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص٢٥-٥٣.

(٧) المرجع نفسه، ص٥٧-٦٥.

(٨) المرجع نفسه، ص٥٧-٦١.

يغلب عليها الطابع الأدبي.... وأن حظها من الخصائص الجغرافية ضئيل"[1].

وقام ابن سعيد برحلتين إلى المشرق زار فيها كل من الاسكندرية ومكة وبغداد ودمشق والبصرة وأرمينيا وحلب كانت الأولى سنة٦٣٥هـ/١٢٣٨م، والثانية سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م. كانت الاولى قبل اجتياح المغول بقيادة هولاكو بغداد والثانية بعد سقوط بغداد على أيديهم[2]. وكتب رحلته الثانية بعنوان "عدة المستجز وعقله المستوفز" وذكر فيها أنه التقى وهو في طريقه إلى أرمينيه بهولاكو فقربه إليه إلى أن وصل الخبر بوقعة عين جالوت وانتصار المماليك على المغول سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[3].

وللرحالة الغرناطي ابن الحاج النميري رحلة بعنوان "فيض العُباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب" بدأها من غرناطة متوجهاً إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م بعد أن عمل كاتباً في ديوان الإنشاء لأبي الحجاج يوسف النصري، ثم انتقل إلى خدمة سلاطين بني مرين أبي الحسن وأبي عنان وأبي زيان سعيد ثم عاد إلى غرناطة فتولى القضاء والسفارة عند السلطان النصري الغني بالله محمد الخامس حتى وفاته عام ٧٧٤هـ/١٣٧٣م[4].

وللطبيب ابن السراج كتاب في الجغرافية عنوانه "السر المذاع في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع" ذكره ابن الخطيب لكنه لم يشر إلى محتواه[5].

ولأبي الحسن علي بن محمد القرشي المعروف بالقلصادي الأندلسي

---

(١) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٢٧.

(٢) محمد بن شنب، "ابن سعيد"، دائرة المعارف الاسلامية، م١، ص١٩٩-٢٠٠، ابن سعيد، نشوة الطرب، ص١٢

(٣) المقري، نفح الطيب، م٢، ص٣٦٨-٣٧٠.

(٤) ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٦-٢٧، ٣١، مقدمة المحقق،؛ المقري، نفح الطيب، م٧، ص١٠٩.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٦١.

(ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) رحلة عرفت برحلة القلصادي[١]، الذي يرجع أصله إلى مدينة بسطة الأندلسية. ثم رحل إلى غرناطة واسقربها، ودرس على كبار علمائها مثل ابن فتوح وأبي عبدالله محمد السرقسطي[٢].

ومن المعروف أن كثيراً من الأندلسيين كانوا يقومون برحلات داخل الأندلس وخارجه وكان قسم منهم قد دون رحلته ومنهم القلصادي الذي قام برحلتهة الحجازية التي ذكر فيها الدافع الذي حفزه إلى الرحلة وهو تأدية فريضة الحج وطلب العلم وتأدية العمرة وزيارة النبي (ص). وأن المقصود من تدوينها التعريف بمشايخه الذين تلقى عنهم العلم، والتعريف بالرحلة ذاتها[٣]. ثم عاد إلى غرناطة. وعندما حاول الأسبان الاستيلاء على آخر معاقل العرب المسلمين بالأندلس وأصبحوا على أبواب غرناطة رحل القلصادي إلى افريقية فتوفي في باجة عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م[٤].

أما الرحلة نفسها فقد وصفها المحقق بأنها رحلة حجازية أدبية، تمتزج في غرضها عناصر العبادة والدراسة والاستكشاف ولم يجعلها مقتصرة على وصف البلدان وذكر الأحداث التي تعرض لها، كما فعل الآخرون. ولم يقصرها على ذكر شيوخه وأسانيده واجازاته والكتب التي درسها ومؤسسات العلم التي ارتادها، كما فعل أصحاب الرحلات الفهرسية، إنما جعلها جامعة بين هذا وذاك، متضمنة المدن التي مر بها منذ خروجه من الأندلس وحتى وصوله البلد الحرام مروراً بوهران فتلمسان فتونس فجربة فطرابلس فالاسكندرية فالقاهرة فالطور فينبع فرابغ فجدة. وكذلك عودته من مكة إلى المدينة إلى أن وصل إلى ميناء المرية الأندلسية[٥].

---

(١) انظر أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، طبع بمصنع الكتاب الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨. وسيشار له تاليا : القلصادي، رحلة.

(٢) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢٥١-٢٥٢؛ القرافي، توشيح الديباج، ص١٣٢.

(٣) القلصادي، رحلة، ص٧٠، مقدمة المحقق، ص٨١-٨٢.

(٤) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢٥١- ٢٥٢؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٠٩.

(٥) القلصادي، رحلة، ص٧٠، مقدمة المحقق.

وأهمية رحلة القلصادي في الحياة العلمية والثقافية في غرناطة تظهر في احتوائها على ثلاثة وثلاثين رجلاً أخذ عنهم القلصادي في الأندلس قبل الشروع في الرحلة وبعدها. كما أن هذه الرحلة تلقي أضواء ساطعة على مرحلة هامة في حياة هذا العالم الذي ساهم في إثراء رصيد الثقافة العربية الاسلامية، وتعرفنا بجانب من نشاطه في ميدان المعرفة وعلاقته ببعض العلماء والطلبة من رجال عصره[1].

ومن رحالة الأندلس الذين دخلوا غرناطة وتتلمذوا على أيدي شيوخها العالم أبي البقاء خالد بن عيسى البلوي الأندلسي (كان حيا ٧٦٧هـ/١٣٦٦م) المولود في إحدى قرى اشبيلية ثم رحل إلى غرناطة ودرس فيها. وشاءت الصدف أن يكون من أصدقائه بها الرحالة ابن الحاج النميري، ومن أهم العلماء الذين درس عليهم في غرناطة ابن عاصم القيسي وابن أرقم وابن الصائغ وابن سماك الغرناطي[2].

وكان البلوي شغوفاً بالرحلة والأسفار فقد قام بثلاث رحلات كانت الأولى إلى فاس للدراسة والثانية إلى المشرق لأداء فريضة الحج، والثالثة إلى شرقي الأندلس للتجول في هذه الناحية للاتصال بعلمائها وتبادل المعلومات معهم. وقد ألف في رحلته الثانية إلى بلاد المشرق كتاباً سماه "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" في جزأين. وهي الرحلة التي قصد بها حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول (ص) سنة ٧٤٠هـ/١٣٤٠م، وقد وصف فيها تلك البلاد التي نزل فيها. ويبدو أنه كتب رحلته مرتين، إذ أنه فرغ من تأليف النسخة الثانية من رحلته عام ٧٦٨هـ/١٣٦٧م، وسميت هذه بالرحلة الحجازية[3]. وتعد رحلة البلوي ذات قيمة كبرى سواء من الوجهه التاريخية أو الأدبية أو الاجتماعية أو العلمية، فقد كان يسجل مذكراته بضبط تام بدقة، ولا يعتمد على ذاكرته، وقد أتيح له بفضل ما عرف عنه من لباقة ودراية أن يتصل بالعلماء في أهم المدن الإسلامية. وكان أول

---

(١) القلصادي، رحلة، ص٧١-٧٣، مقدمة المحقق؛ الحسني، الشعر الأندلسي، ص٤٤.

(٢) البلوي، تاج المفرق، جـ١، ص٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣٣.

(٣) المصدر نفسه، جـ١، ص ٤٥-٤٦.

من حمل بعض الكتب المشرقية إلى الأندلس والمغرب مثل ديوان ابن نباتة، وديوان شهاب الدين ابن أبي الثناء الحلبي. وعندما عاد إلى الأندلس استقضاه سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف الأول(١).

سجل البلوي في رحلته عدة ملاحظات أدبية وانطباعات شخصية، فقد شاءت الصدف أن يلتقي بصديقه القديم الغرناطي الرحالة ابن الحاج النميري الذي خرج قبله فاتصل به في الاسكندرية، ثم مرة أخرى لدى رجوعه في بجاية. وقد كان لقاءً مليئاً بالمفاجئات العاطفية وتبادل الذكريات. وقد دافع البلوي عن الأندلسيين والمغاربة لأن المشارقة كانوا لا يعرفون الكثير عن الأندلس والمغرب. وقد انتقد البلوي عملية تفتيش الصادر والوارد في ديوان الجمارك بالاسكندرية . ولم يكن البلوي أول الرحالة المنتقدين لهذا الديوان فقد سبقه ابن جبير وابن رشيد والعبدري وابن بطوطة مما يدل على الظلم الذي كان يعانيه الحجاج والمسافرين على يد رجال الجمارك في القرن الثامن الهجري(٢). ومن الملفت للنظر أن رحلة ابن بطوطة ورحلة البلوي كانتا متقاربتين زمنياً، فقد سافرا معاً في وقت متقارب، إذ دخل ابن بطوطة تلمسان سنة٧٢٥هـ/١٣٢٥م ودخلها البلوي سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م وبينما دخل ابن بطوطة مكة للمرة الثانية ٧٣٢هـ/١٣٣٢م دخلها البلوي سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م. وعندما أصبح البلوي قاضياً بإحدى مدن الأندلس وصل ابن بطوطة إلى غرناطة سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م ولم يكتب أن يتصل أحدهما بالآخر(٣).

وابتدأ البلوي رحلته من قريته الأندلسية قتورية عام ٧٣٦هـ/١٣٣٦م متجهاً إلى المرية ثم مرسى هنين الميناء الرئيسي لمدينة تلمسان ثم تلمسان وهكذا مدينة فمدينة واصفاً إياها نذكر منها على سبيل المثال : تلمسان، الجزائر، قسنطينة، بونة (عنابة)، تونس، جزيرة قوسرة، جزيرة مالطة، جزيرة قبرص، القاهرة، بيت

---

(١) المصدر نفسه، جـ١، ص٤٦-٤٧.

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص٤٨-٤٩.

(٣) المصدر نفسه، جـ١، ص٥٥-٥٦.

المقدس، الكرك، تبوك، المدينة المنورة، مكة، منى، ثم عقبة أيله، ثم القدس، ثم الاسكندرية، ثم مرسى طبرق، وعاد بنفس الطريق أي وصل إلى تونس، ثم بونة (عنابة)، ثم قسنطينة، فبجاية، فالجزائر، فتلمسان فهنين، فالمرية فقتورية[1].

أما علاقة أشهر الرحالة العرب المسلمين، ابن بطوطة الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، بغرناطة فتتمثل بجانبين : الجانب الأول هو رحلته الثانية* من المغرب إلى غرناطة. فقد عبر إلى جبل طارق الذي يسميه أيضاً جبل الفتح ثم رنده ومربلة ثم مالقة ثم دخل غرناطة واصفاً هذه المدن التي مر بها والعلماء الذين قابلهم والمشاكل التي اعترضته[2]. وقد أعجبته غرناطة فقال فيها : "قاعدة بلاد الأندلس وعروس مدنها، وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا.... والبساتين والجنان والرياضات والقصور والكرم محدقة بها من كل جهة" ثم يقول ولولا خشيتي أن أتهم بالتعصب لها لأطلت القول في وصفها، وشهرتها لا تعطي معنى لاطالة القول فيها. ثم يذكر شعراً لبعض شعرائها. ولم يستطع ابن بطوطة مقابلة السلطان أبا الوليد اسماعيل بن فرج بسبب مرضه، لكن والدة السلطان أرسلت إليه دنانير ذهب أعانته في رحلته.

والتقى بغرناطة بالعديد من كبار علمائها مثل : الشريف البليغ أبو القاسم محمد السبتي والفقيه المدرس الخطيب العالم فرج بن لب الشهير بابن لب وقاضي الجماعة نادرة العصر أبو البركات محمد السلمي البلعبعي. ومقابلته لهذا الأخير كانت في بستان الفقيه محمد بن الفقيه الكاتب ابن عاصم. وممن قابله في هذا البستان أيضاً الشاعر المجيد أبو جعفر أحمد بن رضوان الجذامي. كما التقى بشيخ شيوخ الصوفية بها الفقيه أبي علي عمر ابن الشيخ الصالح الولي محمد بن المحروق. وأقام معه بزاوية بني محروق التي كانت بخارج غرناطة وأكرمه أشد

---

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢١٧-٢١٨.

* لم يصل ابن بطوطة غرناطة في رحلتيه الأولى والثالثة.

(٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط١، الشركة العالمية للكتاب، دارالكتاب العالمي، الدار الافريقية العربية، بيروت، ١٩٩١، ص٢٩٤-٢٩٥.

الإكرام ثم توجه معه إلى زاوية صوفية أخرى هي الزاوية الشهيرة المعروفة برابطة العقاب، التي تقع على جبل مطل على خارج غرناطة[١].

أما الجانب الثاني المهم في رحلة ابن بطوطة إلى غرناطة فهو لقاؤه الأديب والكاتب الشهير أبو عبدالله محمد بن محمد بن جزي الغرناطي وبهذا يقول ابن جزي نفسه "كنت معهم في ذلك البستان، ومتعنا الشيخ أبو عبدالله بأخبار رحلته وقيدت عنه أسماء الاعلام الذين لقيهم فيها، واستفدنا منه الفوائد العجيبة". وبهذا يكون أدباء وعلماء غرناطة قد استفادوا من رحلة ابن بطوطة وما ورد فيها من أخبار وسير الاعلام ومنهم العلماء الذين قابلهم في رحلته واستفادوا فوائد كبيرة عن البلدان التي طاف فيها[٢].

ومن الطبيعي أن اللقاء الذي تم بين ابن جزي وابن بطوطة كان في غرناطة وقبل أن يقوم ابن بطوطة برحلته الثالثة إلى بلاد السودان الغربي ثم عودته إلى فاس واستقراره في كنف السلطان المريني أبي عنان ولقائه هناك بابن جزي مرة ثانية، حيث أمر السلطان أبو عنان فارس المريني الأديب ابن جزي بصياغة الرحلة بأسلوبه الأدبي، وهكذا وصلتنا رحلة ابن بطوطة بصياغة ابن جزي الغرناطي كما سبقت الاشارة عند الكلام عن ابن جزي.

وبالإضافة إلى ابن بطوطة فقد دخل إلى غرناطة العديد من مشاهير علماء المغرب أثناء قيامهم بالرحلات فقد سبقت الإشارة إلى رحلة ابن خلدون المعروفة بـ "التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً" والتي تضمنت رحلته إلى الأندلس ودخوله غرناطة والتقائه بسلاطين بني الأحمر وكبار علماء غرناطة وقد سبق هذا عند الكلام عن ابن خلدون الأديب[٣].

ودخل العالم الجغرافي محمد بن عبد المنعم الحميري غرناطة صاحب المعجم الجغرافي الروض المعطار في خبر الأقطار حيث ذكر ابن الخطيب بأن

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) ينظر ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص٨٤-١٠٧ و ص١٨١-١٨٣ من هذه الرسالة.

الحميري دخل الأندلس من سبتة مع من دخل في الوفد السبتي دون أن يذكر نشاطاته في علم الجغرافيا والمعاجم الجغرافية، بل أشار إلى اهتماماته وحفظه للمعاجم اللغوية والكتب النحوية المشهورة فقط[1]. وكان الروض المعطار للحميري مليئاً بالمعلومات الجغرافية الأندلسية، حتى أن المستشرق ليفي بروفنسال استخرج معجما أندلسياً من الكتاب المذكور سماه "صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار"[2]. بل أن البعض قد ظن أن الحميري أندلسياً وليس مغربياً. وعليه من المحتمل أن تكون إقامته في غرناطة قد أفادته في جمع معلوماته الجغرافية الأندلسية أو من خلال الكتب الجغرافية والجغرافيين الأندلسيين الذين برعوا في علم الجغرافية ونجم عن ذلك هذه المادة الجغرافية الثرية عن الأندلس.

وعلى ما يبدو أن للأندلس والأندلسيين أثراً في دفع ابن رشيد السبتي للقيام برحلته، حيث ذكر المقري بأن ابن رشيد بدأ رحلته من مدينة المرية الأندلسية سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م والتقى فيها بالوزير الغرناطي أبي عبدالله بن الحكيم وكانت وجهتهما الحج فسارا معاً إلى أفريقية ومصر والشام والحجاز[3]. وسميت رحلته "ملئ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة"[4]. ومن المحتمل أن يكون لسلاطين غرناطة أو وزيرها ابن الحكيم أثر في تشجيعه للقيام بالرحلة. ونعني رحلة ابن رشيد من المرية سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ثم دخوله غرناطة سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م مقرباً من وزيرها صديقه ابن الحكيم كما سبقت الإشارة، أنه دخلها مرتين.

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٣٤-١٣٥.

(٢) ينظر صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧.

(٣) المقري، أزهار الرياض، م٢، ص٣٤٨.

(٤) أبي عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، ملئ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلي الحرمين مكة وطيبة، ٦جـ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

شهدت الأندلس نهضة علمية وظهر فيها علماء في مختلف أنواع العلوم تجاوزت تأثيراتهم إلى أوربا عن طريق الترجمة إلى اللاتينية. من الملاحظ أن الاهتمام بالعلوم البحتة في عصر مملكة غرناطة لم يكن بالحجم والمستوى المطلوب مقارنة مع العلوم الأخرى كالعلوم الدينية واللغوية وغيرها ولكن مع هذا لم تخل هذه الفترة من مساهمات العلماء في النشاط العلمي البحت في غرناطة.

١- الرياضيات :

برزت أسماء علماء أندلسيين في الرياضيات في عصر مملكة غرناطة كان من أشهرهم بل من أشهر علماء الرياضيات العرب المسلمين أبو الحسن علي بن محمد القرشي المعروف بالقلصادي (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) الذي رحل من بسطة إلى غرناطة واستقر بها[١]. وسبقت الإشارة من تتلمذ على أيديهم في غرناطة. أما أشهر من تتلمذ على يده في علم الحساب هو أبو جعفر البلوي الذي ألف "ثبت أبي جعفر البلوي"[٢].

ويمثل القلصادي آخر علماء الحساب في الأندلس والمغرب. وله (٤٦) مؤلفاً منها ثمانية عشر في علم الحساب مثل "كشف الأسرار عن علم الغبار" و "الارجوزة الياسمينية" و "القانون في الحساب" و "كشف الجلباب في الحساب"[٣].

تبحر القلصادي بعلوم كثيرة، لكنه اشتهر بعلم الحساب ويذكر بعض الباحثين أنه في كتابه "كشف الأسرار عن علم الغبار" كان أول من استعمل الرموز

---

(١) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢٥١-٢٥٢؛ القرافي، توشيح الديباج، ص١٣٢.

(٢) البلوي، ثبت، ص١٠٤.

(٣) القلصادي، رحلة، ص٤٠-٤١، مقدمة المحقق؛ السيوطي، نظم العقيان، ص١٣١؛ القرافي، توشيح الديباج، ص١٣٣؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٠٩-٢١٠؛ الطوخي، العلاقات الأندلسية، ص٨٧-٨٨؛ محمد السويسي، عالم رياضي أندلسي تونسي القلصادي، حوليات الجامعة التونسية، تصدرها الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، العدد ٩، ١٩٧٢، ص٤٣-٤٥. وسيشار له تالياً : السويسي، عالم رياضي أندلسي تونسي القلصادي.

والإشارات الجبرية التي تستعمل إلى يومنا الحاضر. وأنه استعمل حرف "جـ" للجذر، و "ش" لشيء (أي للمجهول س) و "م" من كلمة مال (أي لمربع المجهول $س^2$)، و "ك" لكعب (أي لكعب المجهول $س^3$) والحرف "ل" لعلامة يساوي، وللنسبة ثلاث نقاط (أي ∴). وأنه أول من رسم الكسور على شكلها الحالي(١). وحفظ لنا القلصادي طريقة نقلها عن شيوخه في تطبيق الكسور على حل مشاكل الفرائض* وقسمة المواريث، وله من ذلك نماذج في كتابه "المستوفي لمسائل الحوفي" وكتابه "لباب تقريب الموارث ومنتهى العقول والبواحث"(٢).

ومن أشهر علماء الفرائض والحساب يحيى بن زكريا الغرناطي الذي عد إماماً في هذين المجالين كما ألف في الفرائض كتاب سماه "المفتاح" وكانت وفاته عام (٨٠٦هـ/١٤٠٤) (٣).

وذكرت المصادر بعض علماء الرياضيات في غرناطة وأن لم تذكر أسماء مؤلفاتهم ومنهم الطبيب يحيى ابن هذيل التجيبي (ت٧٥٣هـ/١٣٥٢م) الذي برز في الرياضيات كالهندسة والحساب، إذ وصفه ابن الخطيب بأنه خاتمة العلماء بهذه العلوم إضافة إلى الطب والهيئة(٤)، وقال عنه ابن الأحمر بأنه احدى حسنات الزمن في الرياضيات أبي معشر*(٥).

ومنهم أيضاً محمد بن علي بن الحاج الغرناطي (ت٧١٤هـ/ ١٣١٤م) الذي

---

(١) قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، دار الشروق، بيروت، القاهرة، د.ت، ص٤٦٢، السويسي، عالم رياضي أندلسي تونسي القلصادي، ص٤٠.

* ينظر التعريف بالفرائض الفصل الثالث.

(٢) السويسي، عالم رياضي أندلسي تونسي القلصادي، ص٤١.

(٣) ابن حجر، انباء الغمر، جـ٥، ص١٩٤.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٩٠.

* عالم الرياضيات أبي معشر هو ابراهيم بن محمد بن عمر البلخي (ت٢٧٢هـ/٨٨٦م)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م١، ص٣٥٨-٣٥٩؛ سوتر "أبو معشر" دائرة المعارف الاسلامية، م١، ص٤٠٤.

(٥) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٤٦.

وصف بأنه عميق الفكر ومن العلوم التي سبر غورها الهندسة ووصف كذلك بأنه كانت له مغرفة بجر الأثقال بصيراً باتخاذ الآلات الحربية والمعمارية. وقد كان مقرباً لسلطان غرناطة محمد المخلوع، فعينه وزيراً لولده نصر [١].

وعرف عن الفقيه حسن بن باصة الغرناطي (ت٧١٦هـ/١٣١٦م) بأنه كان إماماً في الرياضيات[٢]. وممن كانت له مساهمات في الدراسات الرياضية وخاصة الحساب والفرايض الشاعر المجيد أبو البقاء صالح النفزي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)[٣].

وعد الفقيه المقرئ محمد بن محارب الصريحي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) إماماً في الفرائض والحساب [٤].

ومن رياضي غرناطة علي السكاك المعاصر للسان الدين بن الخطيب الذي تولى الكتابة في ديوان الحساب وتقلد بعض الوظائف والألقاب في الأمور المخزونية[٥] (الحكومية).

ووصف أبو محمد عبدالله بن يحيى الأنصاري الأوسي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م) بأنه إمام في علم الفرايض والعدد وما يتصل به وعرف عنه الدقة في حل المشكلات[٦].

ولمحمد بن محمد بن ابراهيم الخولاني المعروف بالشريشي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) مشاركة في علوم شتى منها الحساب ويبدو أن معرفته بالحساب هي التي أوصلته إلى وظيفة مخزنية (حكومية) بقي بها فترة ثم استقال منها طوعاً ونزاهة[٧].

---

(١) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص١٨٨.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٤٦٨؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٠٧..

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٦٠.

(٤) المصدر نفسه، م٣، ص٧٨.

(٥) المقري، نفح الطيب، م٦، ص٢٥٧.

(٦) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٥٢.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٦٧؛ ابن حجر، الدرر، طبعة بيروت، جـ٤، ص٩٦.

ومن رياضي غرناطة ابن الجياب الغرناطي (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي وصف بأنه إمام في الفرايض والحساب[١]. والشاعر ابن جعفر الأوسي الغرناطي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)[٢]. ومحمد بن محمد بن حسان الغافقي الغرناطي (ت٧٧٠هـ/١٣٦٩م)[٣]. ومنهم أيضاً أبي الحسن السالك الغرناطي المعاصر للسان الدين بن الخطيب[٤].

ومن علماء الأندلس الذين دخلوا غرناطة وبرعوا في العلوم الرياضية قاسم بن الجد العمري المعروف بالورسيدي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) وهو من أهل المرية تكرر وروده على غرناطة وكان ذو معرفة بالعدد[٥].

ومن مشاهير العلماء في العلوم البحتة أبو بكر الرقوطي المرسي الذي كان ملماً بالهندسة والعدد والطب[٦]. ويبدو أن نشاطه في مجال الطب كان هو الأشهر. وسيأتي الكلام عنه في حقل الطب.

٢- الفلك :-

أولى علماء غرناطة علم الفلك أهمية كبيرة فمنهم من ألف مؤلفات في علم الفلك، ومنهم من صنع الآلات الفلكية. وشجع بعض سلاطين غرناطة هذا الاتجاه فقد اهتم ثاني ملوك بني الأحمر محمد الفقيه بتشجيع علماء غرناطة ومنهم العالم أبي عبدالله بن الرقام (ت٧١٥هـ/١٣١٥م) الذي تولى تدريس العلوم البحتة في غرناطة كالفلك والحساب والهندسة حتى أنه برع فيها إلى حد كبير فقام السلطان محمد الفقيه بتقريبه إليه فانتفع الناس به وشرح لهم بعض المشكلات العلمية الغامضة. لم يقتصر نشاط ابن الرقام العلمي على التدريس فقط بل ألف مؤلفات

---

(١) ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص٢٣٤.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٩١.

(٣) المصدر نفسه، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٣٣٩.

(٤) ابن الخطيب، أوصاف الناس، ص١٣٢.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٦) المصدر نفسه، م٣، ص٦٧-٦٨.

كثيرة في هذه العلوم كلها، ولخص بعض كتب غيره، ومن أشهر مؤلفاته في الفلك الزيج القويم الغريب الرصد. كما عدل أوقات الأهلة وسار عمل الناس على هذه الطريقة(١).

وقد عرف عن السلطان الرابع أبي الجيوش نصر بن محمد الثاني بأنه محب للعلم وأهله، وكان وزراؤه وقضاته وكتابه من كبار علماء وأدباء غرناطة كابن فركون وابن الجياب. وقد درس السلطان محمد الثاني علم الفلك وصنع الآلات الفلكية الطريفة بيده. وكان استاذه في ذلك ابن الرقام السابق الذكر(٢).

ومن فلكيي غرناطة أحمد بن ناجيه الأسلمي الغرناطي (ت٧٥٩هـ/١٣٥٨م) الذي لقب بالمؤقت. وكان غاية في أحكام الآلات الفلكية(٣).

ومنهم أيضاً أحمد بن الفلكي والرياضي حسن بن باصه (ت٧٠٩هـ/١٣١٠م) الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً، وقد اتخذ أحمد علم الفلك عن والده ووصفه ابن الخطيب بأنه نسيج وحده وقريع دهره من حيث براعته بالهيئة وأحكامه في صنع الآلة الفلكي وكان يعمل بيده هذه الآلات الفلكية المنقطعة النظير المتميزة بأسمائها وأشكالها عن بقية الآلات الفلكية. ونظراً لدقتها وجودتها بيعت بأثمان غالية للناس وقد تولى أحمد الفلكي المذكور وظيفة المؤقت بالمسجد الأعظم بغرناطة(٤).

وبرع محمد بن محمد بن سهل الغرناطي الملقب بالوزير (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م) في الفلك وبصورة خاصة في معرفة الاصطرلاب(٥).

وساهم المقرئ الأديب الأندلسي أحمد بن عامر السلمي

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٦٩-٧٠؛ ابن القاضي، لقط الفرائد، ص١٧٢؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٣٨٣.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٣) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص١٣٢.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٠٤.

(٥) المقريزي، كتاب المقفى الكبير، جـ٧، ص٢٤؛ الذهبي، معجم محدثي الذهبي، ص١٧٢؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٩٦.

(ت٧٤٧هـ/١٣٤٦م) في النشاطات العلمية المختلفة منها قصيدة في علم الفلك في ذكر "توسط المنازل في الشهور بمعرفة وقت الفجر والسحور"(١).

وكان لابن فتوح الغرناطي (ت٨٦٧هـ/١٤٦٣م)، أحد علماء اللغة العربية اهتمام بعلم الفلك أيضاً، إذ كتب في الاصطرلاب، وله ارجوزة صنفها في النجوم التي شرحها له تلميذه القلصادي(٢).

وهناك فلكي غرناطي يعرف بأحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الحبالي (ت بعد سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م) استطاع التقرب إلى سلاطين بني الأحمر، وتولى بعض الوظائف المخزنية في البلاط السلطاني. وكان قد أخبر السلطان أبا سعيد محمد السادس بأنه عين يوماً لكي يقوم به بالثورة ضد السلطان الشرعي الغني بالله محمد الخامس، فإذا التزم بالموعد فإنه سينجح. وهذا ما حدث فعلاً. كما كتب هذا الفلكي المنجم بعد ذلك إلى السلطان الغني بالله المخلوع في منفاه بفاس يبشره بعودته إلى السلطنة. ومن الغريب أن نبؤته قد تحققت واستعاد الغني بالله سلطته مرة أخرى، لكن مع هذا فإن السلطان الغني بالله أهانه وضربه بالسياط وأجلاه عن غرناطة إلى تونس بسبب اتهامه بالتعاون مع السلطان أبي سعيد محمد السادس. وقد وصف ابن الخطيب براعته في الفلك مشيراً إلى تبحره بصناعة التعديل وجداول الأبراج، وتدرب في أحكام النجوم(٣).

ويشار إلى بعض فلكي غرناطة ممن لم تذكر لهم مؤلفات منهم ابن هذيل التجيبي وهو أحد تلامذة ابن الرقام وقد درس علم الفلك على يده. وكان ابن هذيل كثير الملازمة لاستاذه ابن الرقام(٤). وعن كفائته واتقانه علم الفلك قيل فيه بأنه أتقن صورة الهيئة ومثلها(٥).

---

(١) ابن الجزري، غاية النهاية، جـ١، ص٣٧.

(٢) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٥٤؛ بنمنصور، اعلام المغرب، جـ١، ص١٤١.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٠٥-٢٠٦؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٣٢٧-٣٢٨.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٩٠-٣٩١.

(٥) المقري، نفح الطيب، م٥، ص٤٨٨.

ومنهم الرياضي حسن بن باصه الغرناطي أبو الفلكي أحمد السابق الذكر وقد تولى حسن وظيفة رئيس المؤقتين في المسجد الأعظم في غرناطة. وأشارت بعض المصادر أن براعته لم تكن فقط في الفلك إنما في الحساب أيضاً، إذ وصف بأنه إمام في الحساب والهيئة(١).

ومنهم أبوعبدالله الغرناطي الشامي الذي وصف بأنه كان بارعاً في علم الفلك(٢).

ويرى أحد الباحثين بأن المشتغلين بعلم الفلك لا بد أن يكون لهم اهتمام أيضاً بدراسة علوم الرياضيات، كالهندسة والحساب لأن في ذلك سنداً لهم على الإحاطة بعلم الفلك ويرى أيضاً أنه من النادر جداً أن تجد في تراجم علماء الأندلس من يكون فلكياً فقط، والعكس صحيح(٣). وهذا ما وجدناه فعلاً لدى علماء غرناطة في هذه الفترة. ويلاحظ أن المتولي لوظيفة رئيس المؤقتين ينبغي أن لا تقتصر معرفته على الرياضيات والفلك، وإنما لا بد من أن يكون ملماً بالأمور الفقهية، وهذا ما كان عليه حسن بن باصه المذكور(٤).

٣- الطب :-

شهد عصر مملكة غرناطة عدداً من الأطباء الماهرين ومنهم من كانت لهم مؤلفات في هذا المجال فقد برز في غرناطة الطبيب محمد الأنصاري المعروف بابن السراج (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م) الذي درس الطب على كبار الأطباء في غرناطة مثل الطبيب الرقوطي (ت٧٤٤هـ/١٣٤٤م) سابق الذكر. ثم صار طبيباً للسلطان محمد الثاني الفقيه ونال شهرة فريدة لنزاهته وحرصه على علاج الفقراء بالمجان، بل كان يعينهم بالأموال إضافة إلى علاجهم. وألف كتاباً في الرؤيا وثانياً في

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٤٦٨؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٠٧.

(٢) ابن الجزري، غاية النهاية، جـ٢، ص٢١٢؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢١٤.

(٣) البشري، الحياة العلمية، ٤٧٧-٤٧٨.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٤٦٨؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٠٧.

النبات[1].

وبرع ابن هذيل (ت٧٥٣هـ/١٣٥٥م) استاذ ابن الخطيب أيضاً في الطب، حيث كان طبيباً في بلاط سلاطين غرناطة. ودرّس علم الطب بالمدرسة الغرناطية[2]. وأشاد ابن الأحمر بكفائته الطبية ومعالجته النفسية والبدنية حيث يقول بأنه طبيب أحسن علاج النفوس في اجسادها وأصلح الصحة ما بان من فسادها[3]. لم يقتصر نشاط ابن هذيل على المعالجة وتدريس علم الطب بل له مؤلفات فيه مثل كتاب "الاختيار والاعتبار في الطب" و "التذكرة في الطب"[4].

ولم يكن لسان الدين بن الخطيب أديباً وشاعراً ومؤرخاً ورحالة فحسب بل كان طبيباً أيضا، وكتب مجموعة من الكتب والرسائل الطبية أهمها كتاب "عمل من طب لمن حب" الذي تأتي مكانته في الصناعة الطبية بمنزلة ومكانة كتاب أبي عمرو ابن الحاجب* المختصر في الطريقة الفقهية وهو لا نظير له على حد قول ابن الخطيب نفسه[5]. وقد أهدى ابن الخطيب كتابه هذا للسلطان أبي سالم المريني. وتكلم في مقدمته عن ضرورة الصحة للعمل وأهمية صناعة الطب في حفظ الصحة إذا انحرفت فيقول "وبعد فإن الله عز وجل جعل الدنيا دار عمل واكتساب،

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٦٠-١٦١؛ أوصاف الناس، ص٨٥؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٣٧٣؛ محمد أحمد أبو الفضل، أضواء على النشاط العلمي في الأندلس، بحوث ندوة الأندلس، ١٣-١٥ أبريل، ١٩٩٤، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، ص٤٣٠. وسيشار له تالياً : أبو الفضل، أضواء على النشاط العلمي.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٣٩٠؛ ابن حجر، الدرر، طبعة بيروت، جـ٤، ص٢٥٤.

(٣) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص١٤٦.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٩١؛ ابن حجر، الدرر، طبعة بيروت، جـ٤، ص٢٥٤.

* ابن الحاجب هو جمال الدين عثمان بن عمر المصري (ت٦٤٦هـ/١٢٤٩م) الفقيه المالكي ألف كتباً كثيرة في عدة علوم منها المختصر في الطريقة الفقهية على المذهب المالكي وهو موجز واضح في الفقه المالكي، ولأهميته قلد من قبل الآخرين. ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٣، ص٢٤٨-٢٤٩؛ محمد بن شنب، "ابن الحاجب"، دائرة المعارف الاسلامية، م١، ص١٢٦-١٢٨.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٦٢.

والآخرة دار جزاء وحساب، ومن المعلوم أن العمل لا يتم بكماله، إلا بصحة الفاعل واستقلاله ...، لأن الصحة لا تحفظ إذا انحرفت ولا ترد إذا انصرفت إلا بصناعة الطب، التي لها النظر في حفظ الجسوم، والسير من تقدير الدواء لها والغذاء على المحدد والمرسوم"(١). ثم يذكر بعد ذلك أنه ألف هذا الكتاب وفاءً للسلطان أبي سالم المريني ويذكر أنه لم يجد شيئاً لكي يرد جميل هذا السلطان إلا الطب ليكون وسيلة لحفظ صحته أولاً وثانياً لانتفاع الناس به من أجله ليبقى خالد الذكر عند الناس. وتوجد منه ثلاث مخطوطات الأولى قديمة فخمة من هذا الكتاب بخزانة جامع القرويين بفاس برقم ٦٠٧/٤٠، والثانية بخزانة الرباط الملكية برقم ٣٤٧٧، والثالثة بمكتبة مدريد الوطنية برقم ٤٩٢٩(٢).

ويتناول كتاب "عمل من طب لمن حب" مختلف الامراض ويذكر فيه أسباب كل مرض وأعراضه وعلاجه ونظام الغذاء الذي يناسبه، ويتكون من جزأين : الأول يحتوي على وصف لأمراض معينة مثل الصداع وأمراض الرأس، وأمراض العصب، وأمراض العيون، والصمم، وأمراض القلب، وأمراض المعدة والطحال والبطن والأمعاء، والكلى والمثانة. ويتعلق الجزء الثاني بالأمراض التي تخص عضو معين مثل الحميات والأورام والجراحات، وأمراض الجلد والبدن، وقد كتب ابن الخطيب هذا الكتاب في سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م(٣).

ولابن الخطيب رسالة طبية سماها "الوصول لحفظ الصحة في الفصول"(٤) وهي رسالة في الوقاية من الأمراض بحسب الفصول(٥). وتوجد من هذه الرسالة ثلاث نسخ مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط ورابعة في خزانة جامع القرويين(٦).

---

(١) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، م٤، ص٣٧-٣٨.
(٢) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٧٥-٢٧٦، ٢٧٨.
(٣) المرجع نفسه، ص٢٧٥.
(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٥٩؛ ريحانة الكتاب، م١، ص٥٣-٥٤.
(٥) يوسف شكري فرحات، كتاب الموسوعة، علماء العرب، ط١، الشركة الشرقية للمطبوعات، جنيف، ١٩٨٦، ص٢٠٨، وسيشار له تاليا : فرحات، كتاب الموسوعة.
(٦) الأولى تحت رقم ٧٩٧ وفرغ مؤلفه منها في سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م بغرناطة والثانية تحمل رقم ٥٩٠ والثالثة تحمل رقم ٩٧٩، ومخطوطة خزانة جامع القرويين تحت رقم م ٥٠. عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٧٩.

وله رسالة أخرى بعنوان "مقنعة السائل عن المرض الهائل"[1] وهي رسالة في الطاعون الجارف الذي نكبت به الأندلس سنة٧٤٩هـ/١٣٤٨م ذكر فيها أعراض ظهوره وانتشاره السريع وطرق الوقاية منه وكيفية العلاج[2]. وقد وصف فيها أعراض هذا المرض وطرق العدوى لإنتقال هذا الوباء.

ومن الأعراض التي وصفها الحمة الوبائية أو المحزقة بجميع خواصها ونفث الدم أو ظهور الخراج خلف الأذنين والإبطين وانتشاره سريعاً بأدنى ملامسة من المار بمريض أو ملامسة ثوبه وأوانيه. وهو أشد فتكاً بالضعفاء[3]. وذكر ابن الخطيب أن له مؤلفاً سماه "الكلام على الطاعون المعاصر"[4] وربما يقصد الكتاب المذكور نفسه. علماً أن ابن الخطيب ذكر أيضاً من جملة مؤلفاته أيضاً "رسالة في الطاعون"[5].

ولابن الخطيب أرجوزة في الطب[6]. قال ابن الخطيب أنها في فن العلاج الطبي يبلغ عدد أبياتها نحو ألف وستمائة بيت أحتوت ذكر جميع الأمراض الكلية والجزئية مع ذكر أسبابها وعلاماتها وتدبيرها وطرق العلاج لها وفق أحوالها[7]. وأولها :

الحمد حق الحمد للذي خلق   من نطفه أجسامنا، ومن علق[8].

ولابن الخطيب كتاب في علاج السموم سماه "الارجوزة المعلومة" معارضاً

---

(١) نشرت هذه الرسالة مع ترجمة لها باللغة الألمانية في مجلة أكاديمية العلوم البافارية في عام ١٨٦٣م، عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٨٠.

(٢) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٨٠؛ فرحات، كتاب الموسوعة، ص٢٠٨.

(٣) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٨٠.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٦٢.

(٥) المصدر نفسه، م٤، ص٤٥٩.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص١٨٧.

(٨) ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام، ص١٠٦-١٠٧، مقدمة المحقق، نقلاً عن مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٣٢٢ لوحة ١٥٠.

بها ارجوزة ابن سينا في العلاج من رأس إلى القدم، ويقول ابن الخطيب عن ارجوزته "إذا أضيفت إلى رجز الرئيس أبي علي، كملت بها الصناعة كمالاً لا يثنيه نقص"[١]. علماً أن هذه الارجوزة لم تصل إلينا[٢].

وله أيضاً أرجوزة في الأغذية[٣] يقول فيها أنه لم ينظم أحد قبله في هذا الموضوع تضمنت ذكر الأغذية حسب حروف المعجم وطباعها ومنافعها ومضارها وأصلاح خللها وما يتعلق بأهميتها في المعالجة[٤]. ومطلع الأرجوزة المذكورة :

الحمد لله الذي ما من أذى　　　يلحقه ولا احتاج لغذى

الصمد الفرد الذي لا يطعم　　　وعمت العالم منه النعم[٥].

ولابن الخطيب عدة رسائل أخرى في الطب منها "المسائل الطبية"[٦]، و "اليوسفي في صناعة الطب"[٧] و "رسالة تكوين الجنين"[٨] وتعد هذه الرسائل في عداد المفقودات[٩].

ومن العلماء الذين برعوا في الطب أيضاً عتيق بن يحيى الفراء الغساني الذي كانت له مساهمات في الطب والدراسات الطبية، إذ كانت له معرفة في الطب والعلاج، كما أنه ألف كتاباً في شرح ارجوزة ابن سينا في الطب سماه "نظم الحلى في ارجوزة أبي علي" يعني ابن سينا[١٠].

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٦٢؛ نفاضة الجراب، جـ٢، ص١٨٨.

(٢) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٧٩.

(٣) توجد نسخة من هذه الارجوزة مملوكة للعابد الفاسي محافظ خزانة القرويين، ينظر عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٧٨.

(٤) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص٣٤٣.

(٥) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٧٨.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٤٥٩.

(٧) المصدر نفسه، م٤، ص٤٥٩، ٤٦١.

(٨) المصدر نفسه، م٤، ص٤٥٩.

(٩) عنان، لسان الدين بن الخطيب، ص٢٧٩.

(١٠) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٨٠-٨١؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٣، ص١٨١.

ومنهم أيضاً الفلكي الرياضي ابن الرقام وله كتاب في الطب بعنوان "خلاصة الاختصاص في معرفة القوى والخواص" لا يزال مخطوطاً محفوظاً في الرباط تحت رقم (١٦٨١ د) (١).

ومن أطباء الأندلس الذين دخلوا غرناطة وكانت له بعض المؤلفات في مجال الطب العالم محمد بن فرج القربلياني المعروف بالشّفرة (ت٧٦١هـ/١٣٦٠م)، الذي قضى عمره في دراسة الطب والجراحة والصيدلة والمعالجة وتأليف الكتب الطبية والصيدلانية. وكان قد درس الطب والجراحة على جماعة من الأطباء مثل الطبيب ابن السراج. وقد عالج الكثير من المرضى في غرناطة ومنهم السلاطين. وألف هذا العالم كتاب في الطب بعنوان "الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام" و الكتاب لا يزال مخطوطاً(٢). كما ألف عدد من الكنانيش الطبية. أما نشاطه في مجال الصيدلة والنبات والأدوية فكان يتحقق من الكثير من النباتات والأعشاب الطبية المشهورة وقد ساح في سبيل ذلك في الجبال والمناطق العشبية من أجل دراسة علم النبات والأدوية دراسة ميدانية، إضافة إلى اطلاعه وحفظه أراء من سبقه من العلماء في هذا المجال. وألف كتاباً في النباتات(٣).

ومنهم أيضاً أبو موسى عيسى بن سعادة الأموي (ت٧٢٨هـ/١٣٢٨م) اللوشي الأصل، سكن غرناطة وتتلمذ على يد شيوخها حتى بلغ شأناً كبيراً في مجال مهنته وهي الطب، وأصبح أحد أطباء الدار السلطانية في دولة بني الأحمر، بالإضافة إلى قيامه بتدريس الطب. وقد خلف ابن سعاده الأموي كتاباً غزيراً في المعلومات الطبية وما يتصل بها سماه "القفل والمفتاح في علاج الجسوم والأرواح"

---

(١) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٣٨٣؛ هيكل نعمة الله والياس مليحة، موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب، ط١، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١، ص٢٤٨. وسيشار له تالياً : نعمة الله، موسوعة علماء الطب.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٨٠؛ نعمة الله، موسوعة علماء الطب، ص٢٦٧.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٨٠؛ نعمة الله، موسوعة علماء الطب، ص٢٦٧.

وهو كتاب متعدد الأجزاء[1].

ومن الملاحظ أن هناك طائفة من علماء غرناطة ممن برعوا في مجال الطب وكانت لهم عدة نشاطات داخل غرناطة قد رحلوا إلى خارجها، واستمروا في نشاطهم الطبي في المناطق التي هاجروا إليها بعضهم قد تولى مناصب رسمية ومنهم من كان لهم بعض المؤلفات الطبية. فقد رحل الطبيب الغرناطي أبو تمام غالب اللخمي الشقوري (ت٧٤١هـ/١٣٤١م) إلى المشرق، ودرس الطب في القاهرة، وأصبح طبيباً حاذقاً على طريقة مدرسة الطب المشرقية، ورجع إلى بلده غرناطة فزاول مهنة الطب، وارتفع فيها قدره، واستدعاه سلطان غرناطه للعمل في بلاطه وكان لا يكل عند تأليف المصنفات الطبية في غرناطة. ولكن لم تذكر المصادر أسماء تلك المصنفات وعمل الشقوري طبيباً لأبي سعيد المريني. وشاءت الصدف أن يموت في سبتة عندما كان في ركب السلطان المريني عند حركته للعبور إلى الأندلس مجاهداً سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م[2].

وللطبيب الشقوري حفيد كان أيضاً طبيباً هو محمد بن غالب بن عبدالله بن غالب الشقوري (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، درس الطب على جد أبيه الطبيب غالب، وعلى الطبيب الوزير خالد بن خالد والطبيب ابن هذيل، ومارس الطب في البلاط الغرناطي على عهد كل من السلطان يوسف الأول وابنه الغني بالله محمد الخامس. وله عدة كتب ورسائل في الطب منها "تحفة المتوسل في صنعة الطب" و "رسالة في الطب الشعبي" و "مجربات في الطب"[3].

وحفلت غرناطة بطائفة كبيرة من الأطباء ولكن لم تذكر المصادر لهم مؤلفات في هذا المجال ويأتي في الصف الأول منهم أحمد الكزني من أهل غرناطة (كان حياً سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م) الذي وصف بأنه شيخ الأطباء ببلدة

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٤، ص٢٤٠-٢٤١؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ٢، ص٥٠٦؛ نعمة الله، موسوعة علماء الطب، ص٢١٩.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٧٧-١٧٩؛ ابو الفضل، أضواء علي النشاط العلمي، ص٤٣١.

غرناطة، وطبيب الدار السلطانية وكان أيضاً ملتزماً بالطرق العلاجية المثلى معتزاً بمهنة الطب، ممارساً لهاعلى خير وجه وفق الأسس الطبية الصحيحة متفائلاً وناجحاً في علاج المرضى، وقاصدوه منهم كثيرون. ويبدو أن عمله اقتصر على المداوة وتدريس الطب . ويبدو أن صلاحيته بصفته طبيب الدار السلطانية كانت تشمل صرف الأموال على بقية الأطباء. لذلك عندما حدثت أزمة اقتصادية اقتضت حجبه بعض الأموال عند الأطباء أثارت امتعاض ومنازعة استاذه الطبيب في الدار السلطانية أيضاً أبي عبد الله الرقوطي، وأدت إلى قسم الاستاذ بأن لا يجتمع معه في مكان، وترك العمل في الدار المذكورة. لم يكن الرقوطي استاذه الوحيد في الطب إنما درسه على شيوخ أطباء غرناطة مثل ابن سراج[1].

وذكر ابن الخطيب أخاً للرحالة ابن الحاج النميري، هو محمد بن عبدالله بن الحاج (كان حيا ٦٧٠هـ/١٢٧٢م) وقال عنه أنه مشارك في الطب والتاريخ والشعر. ولم يذكر تفصيلات نشاطاته ومعرفته الطبية والتاريخية[2].

ومنهم العالم عبد الله بن ابراهيم بن الزبير (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) الذي عرف أنه كان طبيباً ماهراً[3]، والمقرئ الأديب اللغوي أحمد بن عثمان التجيبي الغرناطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) [4]، ومنهم أيضاً الأديب الغرناطي محمد بن عيسون اللخمي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) [5]، وابن شقرال الطرسوني (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م) الذي عرف إجادته بعمل التراكيب الطبية[6]، وأحمد بن علي بن محمد بن عبد البر الخولاني (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) [7]، واللغوي النحوي ابن

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٠٦-٢٠٧؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٣٣٥.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٠٩-٢١٠.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤١٩.

(٤) السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ص٣٣٥

(٥) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٣، ص٤٣٧.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٣؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٣٣.

(٧) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ١، ص٢٣٣؛ أحمد عيسى، معجم الأطباء، ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي صبيعة، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص٤٤٢. وسيشار له تاليا : أحمد عيسى، معجم الأطباء.

بيبش العبدري الغرناطي (ت٧٥٣هـ/١٣٥٢م) [١].

وتصدر العالم محمد بن محمد الأنصاري الغرناطي (ت بعد ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) للعلاج بغرناطة وارتفع صيته لبراعته في مجال الطب[٢].

وكان الفلكي أحمد بن محمد بن يوسف الحبالي الغرناطي (ت بعد سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م) قد درس الطب على الطبيب الغرناطي ابن هذيل ثم قام بممارسة مهنة الطب بمعالجة المرضى وبسبب براعته وبسبب براعته في مجال الطب تمكن من التقرب إلى كبارموظفي الدولة[٣].

ومن الجدير بالذكر أن هناك العديد من العلماء الأندلسيين ممن برعوا في مجال الطب قد اتخذوا غرناطة مركزاً لتلقي العلم فيها ومن ثم ممارسة نشاطهم فيها وبعضهم من تقلد مناصب رسمية في دولة بني الأحمر ولكن لم تذكر المصادر مؤلفات لهم في مجال الدلب. ومنهم العالم أبي بكر الرقوطي المرسي الذي كان ملماً بالعلوم البحتة. ومن هذه العلوم الطب. مما أدى إلى استدعائه من قبل ثاني سلاطين غرناطة أبي عبدالله الملقب بالفقيه لتدريس الطب حيث كان لا يجاري في علم الطب وممن تتلمذ عليه السلطان نفسه أبو عبدالله الفقيه[٤]. ولكن لم تذكر المصادر أن السلطان الفقيه أبي عبدالله كان طبيباً أو له مؤلفات في الطب.

ومنهم أبوعبدالله بن خلف القيسي (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م) من ثغر منكب الذي يقع شرقي مالقة الذي خدم في البلاط السلطاني[٥]. ومحمد بن محمد من أسرة بني ميمون الخزرجي المعروف بلا أسْلَم (توفي بعد ٧٠٠هـ/١٣٠١م) وابنه

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٢٧؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢، ص٢٩؛ ابن حجر ، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٣٨؛ المقري، نفح الطيب، م٦، ص٢٤٤.

(٢) ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٨٥.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٨٥-٨٦؛ ابن حجر، الدرر، طبعة بيروت، جـ١، ص١٨٠.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٦٧-٦٨.

(٥) المصدر نفسه، م٣، ص١٧١-١٧٢.

بني ميمون الخزرجي المعروف بلا أسلَم (توفي بعد ٧٠٠هـ/١٣٠١م) وابنه ابراهيم (توفي بعد ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) [١]. ومنهم أيضاً محمد بن أبي بكر القرشي المالقي (ت٧٥٧هـ/١٣٥٦م) [٢].

وبالرغم من أن هنالك اشارات إلى أن البيمارستان كان مركزاً لتعليم الطب في المشرق[٣]، إلا أن المصادر لم تمدنا بمعلومات عن اتخاذ البيمارستان في غرناطة مركزاً لتعلم الطب.

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص١٩٤-١٩٥؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٥، ص٥؛ أحمد عيسى، معجم الأطباء، ص٤٤٢.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٥١٥؛ ابن حجر، الدرر، طبعة القاهرة، جـ٤، ص٢٦٠.

(٣) موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص٦٢٨؛ ضيا باشا، الأندلس الذاهبة، ص٤٤٤.

الخاتمة

قامت مملكة غرناطة على يد مؤسسها محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، بظروف عصيبة حيث أخذت الممالك الأسبانية تستولي على القواعد الأندلسية المشهورة، وأصبحت مدينة غرناطة عاصمة لدولة حملت اسمها (٦٢٩-٨٩٧هـ/١٢٣٢-١٤٩٢م). وكان لسلاطين بني الأحمر الأعمال الملحوظة في الداخل والخارج، فعملوا على توطيد العلاقات السياسية مع المغرب العربي وكانت من ثمرة هذه السياسة ظهور خطة عسكرية عرفت بمشيخة الغزاة ورئيسها يسمى بشيخ الغزاة ومهمته قيادة المجاهدين ثم ظهرت فيما بعد الصراعات والمنازعات بين أفراد البيت النصري الحاكم، كان نتيجتها أن بدأ العد التنازلي لسقوط غرناطة وخاصة بعد زواج ملكة مملكة قشتالة من ملك ارغون، واتحاد المملكتين ضد مملكة غرناطة وأخذت تسقط الحصون واحدة تلو الأخرى. ورغم محاولة غرناطة مقاومة الهجوم الأسباني إلا أن تشديد الحصار عليها وبناء مدينة شنتفي واتباع سياسة حرب الاستنزاف أدى إلى ارغام آخر ملوك بني الأحمر أبي عبدالله الصغير على عقد معاهدة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م معلنا بذلك سقوط مملكة غرناطة.

شهدت مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر تطورا كبيرا في الحياة العلمية والثقافية حيث أخذت الحركة الفكرية في الاستقرار، وكان لتشجيع سلاطين بني الأحمر للعلم والعلماء دور مهم في نهضة الحركة الفكرية في مملكة غرناطة. وتعددت دور العلم في مملكة غرناطة ويأتي في مقدمتها المسجد الذي كان يؤدي رسالة كبيرة. فبالإضافة إلى كونه مكانا للصلاة والإعتكاف اتخذ أيضا كمعهد للعلم. ومن أشهر مساجد غرناطة مسجدان جامعان في غرناطة : الأول في قصبة غرناطة، والثاني في قلعة الحمراء. وقد جلس فيها للتدريس العديد من العلماء الذين اهتموا بتدريس العلوم المختلفة. ووجدت بها مدارس كان أشهرها في غرناطة المدرسة النصرية التي بناها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول عام (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، التي عرفت أيضا بإسم المدرسة اليوسفية، ودرس فيها مشاهير علماء غرناطة ومدرسون من بقية مدن الأندلس والمغرب. كما وجد فيها عدد من

الربط والزوايا التي وفرت هي الأخرى لوناً من النشاط التعليمي.

وكان التعليم في غرناطة ينقسم إلى قسمين تعليم خاص بأبناء السلاطين، وتعليم عام لأبناء العامة. وكان التعليم في الأندلس يتم على ثلاث مراحل : الأولى هي مرحلة الكتاب، والثانية تبدأ بعد انتهاء مرحلة الكتاب بالإلتحاق بحلقات التعليم، والمرحلة الثالثة فهي مرحلة التعليم على كبار الشيوخ والفقهاء.

وتعددت المباحث التي كانت تدرس فاشتملت على العلوم الدينية والعلوم اللغوية والأدب إضافة إلى العلوم البحتة كالطب والرياضيات والهيئة. وبالإضافة إلى اهتمام علماء غرناطة بالناحية العلمية كانوا قد أولوا اهتماماً بالناحية التربوية، فلم يبخلوا بأسداء النصائح التي تحقق الفائدة لطلاب العلم، واهتموا كذلك بإثارة الحماس للوقوف بوجه الزحف الأسباني.

وكان للبنات حظ من التعليم في غرناطة. واهتم العلماء بمنع الإجازات العلمية للطلاب وكان المعلم يتقاضى أجراً على التعليم وبعضهم كان يُعلِّم دون أخذ أجر.

ويلاحظ على علماء وأدباء غرناطة اهتماماتهم العلمية والمتشعبة وصفة الموسوعية الغالبة عليهم – وهذه سمة علماء المسلمين عامة – كلسان الدين بن الخطيب وابن الزبير وأبي حيان الغرناطي.

ويجد الباحث نشاطاً ثقافياً كبيراً في غرناطة متمثلاً في الكم الهائل من التراث العربي في مختلف أنواع العلوم والآداب الذي تركه علماء وأدباء غرناطة.

ويلاحظ أن النشاط العلمي والثقافي في غرناطة كان من نتاج عدة مجموعات من العلماء، المجموعة الاولى هم أبناء مدينة غرناطة أنفسهم، والمجموعة الثانية هي أبناء المدن الأندلسية الذين توجهوا نحو العاصمة غرناطة وساهموا في بناء الجو الثقافي دراسة وتدريساً وتأليفاً والمجموعة الثالثة هم غير الأندلسيين الذين وفدوا إلى غرناطة من المغرب العربي ومن شتى أنحاء العالم الإسلامي.

ونجد أن قسماً من علماء الأندلس عامة ومنها غرناطة تركوا الأندلس واتجهوا إلى المغرب العربي والمشرق العربي وخاصة مصر وبلاد الشام

والحجاز وساهموا في غربتهم في دفع الحركة الثقافية إلى الأمام في تلك الأقطار.

والظاهرة الواضحة لدى علماء غرناطة – وهي ظاهرة تشابه بقية العلماء المسلمين المعاصرين لهم – ان اهتمامهم انصب بالدرجة الأولى على العلوم الدينية من قراءات وتفسير وفقه وحديث حيث ظهرت في غرناطة مجموعة واسعة من العلماء الذين كان معظمهم ممن تميزوا في أكثر من مجال من العلوم الدينية.

كما انصب اهتمام العلماء بشكل كبير على العلوم اللغوية والأدب حيث ظهر العديد من اللغويين والادباء والشعراء الذين اغنوا الحركة الفكرية بمؤلفاتهم الادبية ونظم شعراء غرناطة قصائد في شتى الأغراض والموضوعات شأنهم شأن الشعراء العرب في كل زمان ومكان، كما اهتم شعراء غرناطة بنظم الموشحات وهو المجال الذي برع فيه شعراء الأندلس، كما قام كثير منهم بنظم الارجاز في علوم متنوعة كالنحو والفرايض والتاريخ كما أن بعضهم الاخر حولوا كتباً إلى قصائد شعرية لكي يسهل على الناس حفظها وتعلمها.

ولم يقتصر النشاط العلمي والثقافي لعلماء غرناطة على العلوم الدينية واللغوية والأدب بل تعداه إلى التاريخ والجغرافية حيث ظهر الاهتمام بالمؤلفات التاريخية وكان التركيز على كتابة التاريخ المحلي وكتابة التاريخ العام. وهناك ظاهرة متميزة طرأت على الكتابة التاريخية الأندلسية والمغربية وهو شيوع نظام تأليف البرامج، وهو يندرج تحت موضوع تراجم الرجال وهي فرع من فروع التاريخ، وغالبية البرامج ألفت في تراجم شيوخ المؤلف نفسه كما كان الاهتمام بشكل كبير بمجال الرحلات الجغرافية حيث ظهر العديد من الرحالة الذين سجلو ما شاهدوا أثناء رحلاتهم وألفوا في ذلك بعض المؤلفات.

كما اهتم علماء غرناطة بالعلوم البحتة : الرياضيات والفلك والطب حيث كان لبعضهم مؤلفات في ذلك كما برع بعضهم في عمل الآلات الفلكية. ولكن تجدر الإشارة إلى أن الاهتمام بالعلوم البحتة لم يكن يوازي الاهتمام بالعلوم الدينية واللغوية والاجتماعية والأدب.

ومن الملاحظ أن درجة هذا الانتاج العلمي والثقافي لغرناطة يتراوح بين الاصالة والتجديد من جهة وبين محاكاة للأعمال الأصيلة السابقة وشروح وذيول

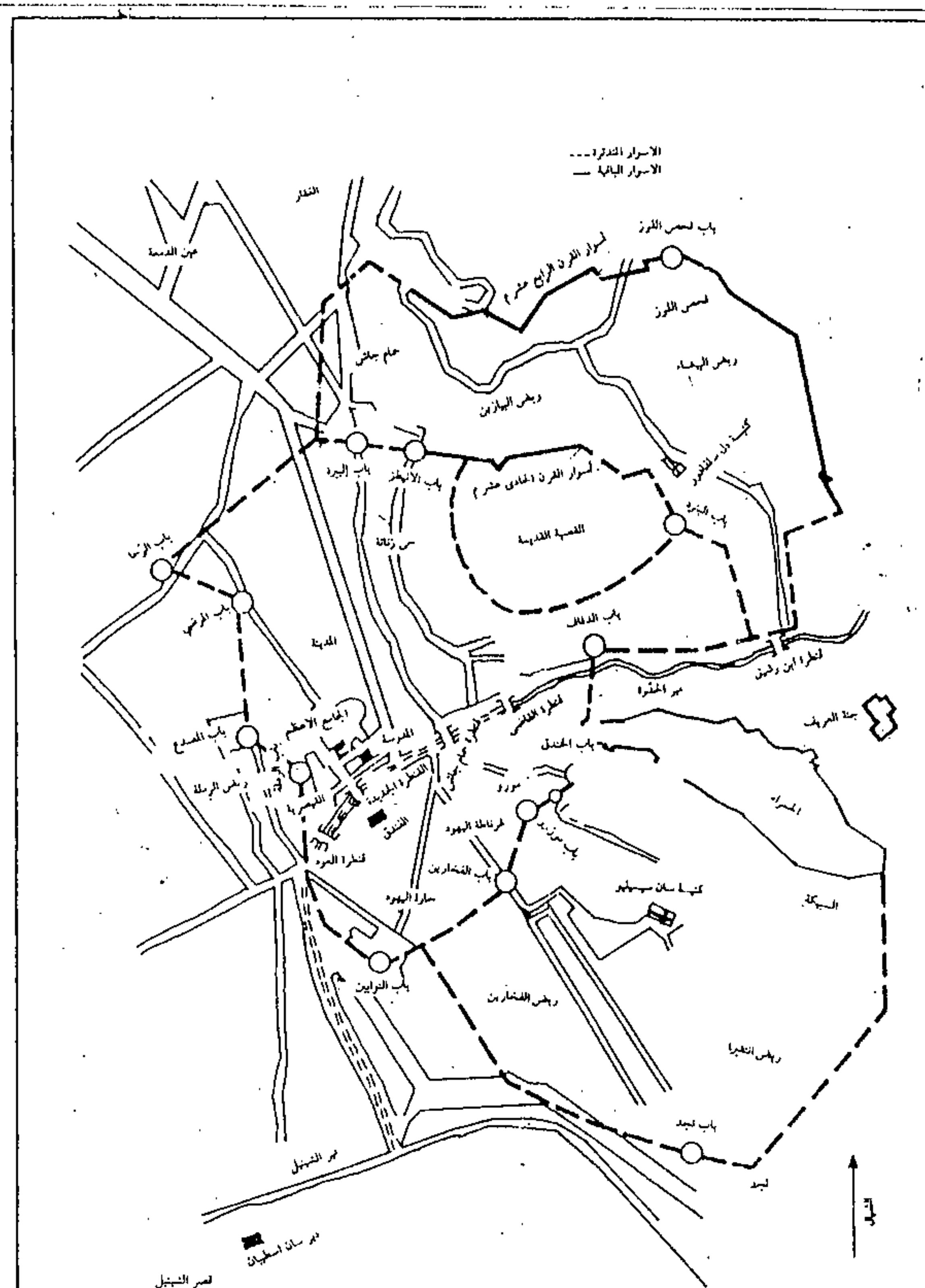
عليها.

ونتيجة للنضج الحضاري والثقافي لغرناطة فقد كانت هدفاً لتوجه كثير من طلبة العلم من أندلسيين ومغاربة وغيرهم إليها.

ملحق رقم (١)

مخطط لمدينة غرناطة في عصر بني الأحمر

مأخوذ من كتاب أوراق أندلسية، لعبد العاطي محمد الورفلي، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، بنغازي، ١٩٩٠، ص١٢



ملحق رقم (٢)

قائمة بسلاطين بني الاحمر[1].

١- أبو عبدالله محمد الأول، الغالب بالله : ٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣٢-١٢٧٣م

(في غرناطة ٦٣٤-٦٧١هـ/١٢٣٧-١٢٧٣م).

٢- أبو عبدالله محمد الثاني - الفقيه : ٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٣-١٣٠٢م.

٣- أبو عبدالله محمد الثالث - المخلوع : ٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩م.

٤- أبو جيوش نصر : ٧٠٨-٧١٣هـ/١٣٠٩-١٣١٤م.

٥- أبو الوليد إسماعيل الأول : ٧١٣-٧٢٥هـ/١٣١٤-١٣٢٥م.

٦- أبو عبدالله محمد الرابع : ٧٢٥-٧٣٣هـ/١٣٢٥-١٣٣٣م.

٧- أبو الحجاج يوسف، المؤيد بالله : ٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م.

٨- أبو عبدالله محمد الخامس، الغني بالله : (١) ٧٥٥-٧٦٠هـ/١٣٥٤-١٣٥٩م.

وقد حكم أثناء فترة حكمه اسماعيل الثاني، محمد السادس :

(٢) ٧٦٣-٧٩٣هـ/١٣٦٢-١٣٩١م.

٩- أبو الوليد إسماعيل الثاني : ٧٦٠-٧٦١هـ/١٣٥٩-١٣٦٠م.

١٠- أبو عبدالله محمد السادس، الغالب بالله : ٧٦١-٧٦٣هـ/١٣٦٠-١٣٦٢م.

١١- أبو الحجاج يوسف الثاني، المستغني بالله : ٧٩٣-٧٩٤هـ/١٣٩١-١٣٩٢م.

١٢- أبو عبدالله محمد السابع : ٧٩٤-٨١٠هـ/١٣٩٢-١٤٠٨م.

١٣-أبو الحجاج يوسف الثالث - الناصر لدين الله : ٨١٠-٨٢٠هـ/١٤٠٨-١٤١٧م.

١٤- أبو عبدالله محمد الثامن - المتمسك الصغير :

(١) ٨٢٠-٨٢٢هـ/١٤١٧-١٤١٩م.

(٢) ٨٣٠-٨٣٢هـ/١٤٢٧-١٤٢٩م.

١٥- أبو عبدالله محمد التاسع - الغالب بالله - الأيسر :

(١) ٨٢٢-٨٣٠هـ/١٤١٩-١٤٢٧م.

(٢) ٨٣٣-٨٣٤هـ/١٤٣٠-١٤٣١م.

(٣) ٨٣٥-٨٤٩هـ/١٤٣٢-١٤٤٥م.

(٤) ٨٥١-٨٥٧هـ/١٤٤٧-١٤٥٣م.

---

(١) نقلاً عن : Lathem, "Nasrids, E. I², Vol VII, P. 1020.

١٦- أبو الحجاج يوسف الرابع _ إبن المول : ٨٣٤-٨٣٥هـ/١٤٣١-١٤٣٢م.
١٧- أبو عبدالله محمد العاشر - الأحنف :

(١) ٨٤٩هـ/كانون الثاني - حزيران ١٤٤٥م.
(٢) ٨٥٠-٨٥١هـ/١٤٤٦-١٤٤٧م.

١٨- يوسف الخامس بن أحمد / إبن اسماعيل :

(١) ٨٤٩-٨٥٠هـ/١٤٤٥-١٤٤٦م.
(٢) ٨٦٦هـ/أيلول-كانون الأول ١٤٦٢م.

١٩- محمد الحادي عشر، الأصغر : ٨٥٥-٨٥٩هـ/١٤٥١-١٤٥٥م بالإشتراك مع محمد التاسع وحتى وفاة الأخير في ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، ومن ثم بالتنافس مع سعد منذ أواسط ٨٥٨هـ/١٤٥٤م وحتى أواسط عام ٨٥٩هـ/١٤٤٥م.

٢٠- أبو نصر سعد، المستعين بالله (مولاي سعد) : ٨٥٨-٨٦٨هـ/١٤٥٤-١٤٦٤م.

بالتنافس مع يوسف الخامس في الفترة : ٨٦٦-٨٦٧هـ/١٤٦٢-١٤٦٣م.

٢١- أبو الحسن علي، مولاي حسن : (١) ٨٦٨-٨٩٠هـ/١٤٦٤- ١٤٨٢م.
(٢) ٨٨٧-٨٩٠هـ/١٤٨٢-١٤٨٥م.

وتخلل فترة حكمه، فترة حكم فيهامحمد الثاني عشر في تموز ٨٨٧هـ/١٤٨٢م.

٢٢- أبو عبدالله محمد الثاني عشر، بو عبديل :

(١) ٨٨٧هـ/١٤٨٢م.
(٢) ٨٩١-٨٩٧هـ/١٤٨٦-١٤٩٢م.

٢٣- محمد الثالث عشر بن سعد (الزغل) : وهو أخ علي (رقم ٢١)، حكم عام ٨٩٠هـ/١٤٨٥م.

(الزغل أعلن نفسه ملكاً، بعد أن عينه أخوه المريض علي كولي لعهده في مطلع عام ٨٩٠هـ/١٤٨٥م، والواقع أن ابن أخيه محمد الثاني عشر في مطلع عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م كان ملكاً لبعض الوقت حتى رحيل الزغل إلى شمال أفريقيا في عام ٨٩٤هـ/١٤٨٩م، كان المواطنون منقسمين على أنفسهم وولاتهم، وأن الوضع غامض في هذه الفترة).

المصادر العربية المخطوطة :

البشتكي، محمد بن ابراهيم المصري (ت٨٣٠هـ/١٤٢٧م)

مركز الإحاطة بادباء غرناطة، (مخطوط)، نسخة مصورة على ميكروفلم في مكتبة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، تحت رقم ٤٦٢، عن مخطوط في الخزانة العامة، الرباط، رقم ٢٦٥٠.

الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

طبقات القراء، (مخطوط)، نسخة على ميكروفلم في مكتبة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، تحت رقم ١٤٠٨، مصورة عن مخطوط في المكتبة الملكية، الرباط، رقم ١١٥.

المصادر العربية المطبوعة :

القرآن الكريم

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

• الكامل في التاريخ، ٩م، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

ابن الأحمر، أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م)

• بيوتات فاس الكبرى، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٧٢.

• مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق محمد التركي التونسي، مراجعة محمد بن تاويت التطواني، مطبعة المهدي، تطوان، ١٩٦٤.

• مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والأندلس والمغرب وهو كتاب نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، ط١، حققه وقدم له محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦.

• النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق عدنان محمد آل طعمه، دار سعد الدين، مطبعة الشام، دمشق، ١٩٩٢.

الادريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)

• كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٢م، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩.

• ابن الازرق، أبو عبدالله (ت٨٩٦هـ/١٤٩١م)

• بدائع السلك في طبائع الملك، ٢جـ، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.

• الاسنوي، عبدالرحيم (ت٧٧٢هـ/١٣٧١م)

• طبقات الشافعية، ٢حـ، تحقيق كمال يوسف، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي، (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩)

• عيون الأنباء في طبقة الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

الانصاري، ابن هشام (كان حياً ٧٤٧هـ/١٣٤٦م)

• شرح اللمحة البدرية في علم العربية لأبي حيان الأندلسي، ٢حـ، تحقيق وتعليق صلاح رواي، ط٢، دار مرجان للطباعة، ١٩٨٤.

• ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)

• بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٣حـ، حققها وكتب المقدمة والفهارس محمد مصطفى، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٢.

ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

• رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط١، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، الدار الافريقية العربية، بيروت، ١٩٩١، وطبعة أخرى، ٥م، تحقيق عبدالهادي التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٧.

البلوي، أبو جعفر أحمد علي الوادي آشي (ت٩٣٨هـ/١٥٣٢م)

• ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق عبدالله العمراني، ط١، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٨٣.

البلوي، خالد بن عيسى (كان حياً ٧٦٧هـ/١٣٦٦م)

• تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ٢حـ، تحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالة، المغرب، د.ت.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

• المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٢حـ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦.

التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا (ت١٣٠٦هـ/١٦٢٧م)

• نيل الابتهاج بتطريز الديباج بهامش كتاب الديباج المذهب في أعيان المذهب،

دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

ابن الجزري، شمس الدين أبي خير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م)

•غاية النهاية في طبقات القراء، ٢حـ، عني بنشره ج. برجستر اسو، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ/١٣٤١م)

•التسهيل لعلوم التنزيل، الدار العربية للكتاب، د.م، د.ت.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م)

•كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

ابن حجر، أحمد بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

•إنباء الغمر بابناء العمر في التاريخ، ٩حـ، مراقبة محمد بن عبد المعيد خان، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

•الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥حـ، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت. وطبعة أخرى، ٤حـ، تحقيق الشيخ عبدالوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.

•رفع الاصر عن قضاة مصر، ٣ق، تحقيق حامد عبدالمجيد، مراجعة ابراهيم الايباري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦١.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م أو ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)

•الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، نشر مكتبة لبنان، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ١٩٨٤.

•صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧.

أبو حيان، أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف الغرناطي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)

•تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق سمير المجذوب، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.

• التدريب في تمثيل التقريب، تحقيق نهاد فليح حسن، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٧.

• تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبد الرحمن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.

• التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، وبهامشه النهر الماد من البحر وكتاب الدرر اللقيط من البحر المحيط، ٨حـ، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٠.

• تقريب المقرب، تحقيق عبد الرحمن، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢.

• ديوان أبي حيان الأندلسي، تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٩.

• المبدع في التصريف، تحقيق عبد الحميد السيد طلب، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢.

• النكت الحسان في شرح غاية الاحسان، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨.

• النهر الماد من البحر المحيط، ٨م، تحقيق عمر الأسعد، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله بن عبدالله القيسي الاشبيلي (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م)

• مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط١، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

• الإحاطة في أخبار غرناطة، ٤م، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط٢، نشر مكتبة الخانجي، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣.

• الاشارة إلى أدب الوزارة، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة الساحل، الرباط، ١٩٨٠.

• أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام المسمى تاريخ

أسبانيا الاسلامية، القسم الثاني، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، د.ت.

• تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط من كتاب اعمال الاعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤.

• أوصاف الناس في التواريخ والصلات، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المغرب، د.ت.

• جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي، أعد أصلاً من أصله محمد ماطور، مطبعة المنار، تونس، د.ت.

• ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر، طبع بمطابع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٣.

• روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق وتعليق وتقديم عبد القادر أحمد عطا عبد الستار، دار الفكر العربي، دار العهد الجديد للطباعة، د.ت.

• ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٢م، حققه ووضع مقدمته وشواهده محمد عبدالله عنان، ط١، الناشر مكتبة الخانجي، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٠.

• الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، مطبعة عيتاني الجديدة، بيروت، ١٩٦٣.

• كناسة الدكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري، تحقق محمد كمال شبانة، مراجعة حسن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

• معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مطبعة أحمد يمني، فاس، ١٣٢٥م.

• نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبدالعزيز الأهواني، دار الشؤون العامة (آفاق عربية)، بغداد، دار النشر المغربية، طبع بمطابع دار الشؤون العامة، د.ت.

ابن خلدون، عبدالرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

• التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

• العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٨حـ، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ط٢، بيروت، ١٩٨٨.

• مقدمة ابن خلدون، ٤م، تحقيق أ. م كاتدمير، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)

• وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

الدمشقي، أبو المحاسن الحسني (ت٧٦٥ هـ/١٣٦٤م)

• ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

• الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

• تذكرة الحفاظ، ٤حـ، دار احياء التراث العربي، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الهند، د.ت.

• ذيول العبر في خبر من غبر، ٤جـ، تحقيق أبو هاجر بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

• سير اعلام النبلاء، ٢٥جـ، تحقيق بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

الراعي، شمس الدين محمد بن محمد الاندلسي (ت٨٥٣هـ/١٤٤٩م)

• انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الامام مالك، تحقيق محمد أبو الاجفان، ط١، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١.

ابن رشيد، أبي عبدالله محمد بن عمر الفهري السبتي (ت٧٢١هـ/١٣٢١م)

• ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة، ٦جـ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت،

لبنان، ١٩٨٨.

ابن رضوان، أبو القاسم المالقي (ت٧٨٣هـ/١٣٨١م)

- الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، تحقيق علي سامي النشار ، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٤.

ابن الزبير، أحمد بن ابراهيم الثقفي الغرناطي (ت٧٠٨هـ/١٣٠٩م)

- صلة الصلة وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الاندلس، مكتبة الخياط، بيروت، د.ت. ونسخة ثانية موسعة مطبوعة على الآلة الكاتبة، تحقيق رضا هادي عباس، ١٩٨٩.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ٢جـ، تحقيق سعيد فلاح، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٣.

الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)

- أساس البلاغة، دار الفكر ، بيروت، ١٩٨٩.

السبكي، تاج الدين أبي نصر بن عبدالكافي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)

- طبقات الشافية الكبرى، ١٠جـ، تحقيق محمد الحلو، محمود محمد الطناجي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

- الذيل التام على دول الاسلام، تحقيق أحمد عبدالله الحسو، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٨.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢جـ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

ابن سعيد، علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، اختصره أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن خليل، تحقيق ابراهيم الأبياري، مراجعة طه حسين، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩.
- بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، تطوان، معهد مولاي الحسن، ١٩٥٨.

• رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان الداية، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٧.

• الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٩٠.

• المغرب في حُلى المغرب، ٢جـ، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.

• نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ٢جـ، تحقيق نصرت عبد الرحمن، نشر مكتبة الأقصى، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، د.ت.

ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت٦٠٨هـ/١٢١٢م)

• دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودت الركابي، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠.

السهروردي، عبد القاهر بن عبدالله (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)

• عوارف المعارف، ط١، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

• بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٢جـ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار الفكر، د.م، ١٩٧٩.

• ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

• نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره فيليب حتى، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٢٧.

الشاطبي، أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الأندلسي (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م)

• الاعتصام، ٢جـ، ضبطه وصححه أحمد عبد الشامي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

• الإفادات والإنشادات، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨.

• الموافقات في أصول الشريعة، ٤جـ، عني بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه محمد بن عبدالله دراز، ط٢، دار الفكر العربي، د.م، ١٩٧٥.

الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)

• البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، ٢جـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

• نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق أحمد زكي بك، مطبعة الجمالية، مصر، ١٩١١.

ابن صلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزودي (ت٦٤٣هـ/١٢٤٦م)

• علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦.

طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ/١٥٦١م)

• مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

ابن الطواح، عبد الواحد محمد (كان حياً ٧١٨هـ/١٣١٨م)

• سبك المقال لفك العقال تراجم وأعلام من القرنين السابع والثامن الهجريين، تحقيق ودراسة محمد مسعود جبران، ط١، بيروت، ١٩٩٥.

الطوسي، أبو نصر عبدالله السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ/٩٨٩م)

• اللُّمَع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، نشر دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠.

ابن عاصم، أبو يحيى محمد الغرناطي (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م)

• جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٣جـ، تحقيق صلاح جرار، دار البشير، عمان، ١٩٨٩.

الغبريني، أبو العباس أحمد بن عبدالله (ت٧١٤هـ/١٣١٤م)

• عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط١، المكتبة الجزائرية، بيروت، ١٩٦٩.

ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم اليعمري المدني المالكي (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)

• الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الفيروز ابادي، مجد الدين بن محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)

• البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، ط١، مطبعة الفيصل، الكويت، ١٩٨٧.

• القاموس المحيط، ٤جـ، دار الجيل، د.ت.

ابن القاضي، أحمد المكناسي (ت٩٦٠هـ/١٠٢٥م)

• جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس، ٢جـ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٤.

• ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، ٣جـ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط١، الناشر دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧١.

• لقط الفرائد من لفاظه حقق الفوائد من كتاب ألف سنة من الوفيات، د.م، د.ت.

• ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر الأسدي الدمشقي (ت٨٥١هـ/١٤٤٨م)

• تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ليماسول، قبرص، ١٩٩٤.

القرافي، بدر الدين (ت٩٤٦هـ/١٥٣٣م)

• توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتيوي، ط١، نشر دار الغرب الاسلامي، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٨٣.

القلصادي، أبو الحسن علي الأندلسي (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م)

• رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

• صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٥جـ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧.

ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)

• الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة ١١-٨٠٧هـ، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت،

.١٩٧٨

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بـن يحيـى بـن مزاحـة (ت٣٦٧هـ/٩٧٨م)

•تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجـامعيين، د.م، د.ت.

القيسي، عبد الكريم الأندلسي (كان حياً ٨٩٠هـ/١٤٨٥م)

•ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، تحقيق جمعة شيخة ومحمد عبـد الـهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيـت الحكمـة)، تونس، ١٩٨٨.

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

•فوات الوفيات والذيل عليها، ٥جـ، تحقيق احسان عباس، دار صادر بـيروت، ١٩٧٤.

الملطي، عبد الباسط بن خليل بن شاهين (كان حياً ٨٨٧هـ/١٤٨٢م)

•الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم نشرة دي لا فيدا في مجلة الأندلـس ضمن بحث بعنوان :

• G.levi della vida ii regno di Granata nel 1465-66 nel ricordi di un Viaggiatore Egiziano, Andalus, Madrid - Granada, 1933.

المجاري، أبو عبدالله الأندلسي (ت٨٦٢هـ/١٤٥٨م)

•برنامج المجاري، تحقيق محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسـلامي، بـيروت، لبنان، ١٩٨٢.

مجهول

•نبذة العصر في أخبار ملوك نصر، ملحق كتاب آخر بني سراج، فخلاصة مـن تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة لدو شاتو بريان، ترجمة شـكيب أرسـلان، مطبعة المنار، القاهرة، ١٩٩٤.

المراكشـي، أبـو عبـدالله محمـد بـن عبـد الملـك الأنصـاري الأوسـي (ت٧٠٣هـ/١٣٠٤م)

•الذيل والتكملة لكاتبي الموصول والصلة، السفر الثامن، ٢ق، تقديـم وتحقيـق

وتعليق محمد شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٤.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)

• أزهار الرياض في أخبار عياض، ٥جـ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط٢، الرباط، ١٩٧٨.

• نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨م، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

المقري، أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد (ت٧٥٨هـ/١٣٥٧م)

• القواعد، تحقيق ودراسة أحمد بن عبدالله حميد، ٢جـ، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ت.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

• كتاب المقفى الكبير، ٨جـ، تحقيق محمد اليعسلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١.

• كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٢جـ، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

• النقود الاسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تحقيق وإضافات محمد السيد بحر العلوم، ط٥، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري الأنصاري الخزرجي (ت٧١١هـ/١٣١١م)

• لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، تقديم عبدالله العلايلي، بيروت، لبنان، د.ت.

النباهي، الحسن بن عبدالله بن الحسن (ت٧٩٣هـ/١٣٩٠م)

• تاريخ قضاة الأندلس وسماه المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.

النعيمي، عبد القادر محمد الدمشقي (ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م)

• الدارس في تاريخ المدارس، ٢جـ، أعد فهارسه ابراهيم شمس الدين، ط١، دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

النميري، ابن الحاج (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م)

• فيض العباب وإفاضة الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠.

ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن (كان حياً ٧٩٧هـ/١٣٩٥م)

• عين الأدب والسياسة وزين الحسن والرياسة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

الوادي آشي، محمد بن جابر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

• برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢.

الونشريسي، أحمد يحيى (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)

• وفيات الونشريسي، ملحق بكتاب ألف سنة من الوفيات، د.م، د.ت.

• المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، ١٣جـ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١.

ياقوت الحموي، أبو عبدالله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)

• معجم البلدان، ٥م، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

اليماني، عبد الباقي عبد المجيد (ت٧٤٣هـ/١٣٤١م)

• إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق عبد المجيد دياب، ط١، شركة الطباعة العربية والسعودية، الرياض، ١٩٨٦.

المراجع العربية الحديثة :

أحمد، علي

• الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٩.

أحمد ، عيسى

• معجم الأطباء ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢.

ارسلان، شكيب

• خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣.

اسماعيل، شعبان محمد

• القراءات أحكامها ومصدرها، دار الأصفهاني للطباعة، جدة، ١٤٠٢.

الأهدل، عبدالله أحمد قادري

• دور المسجد في التربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٩١.

البشري، سعد بن عبدالله

• الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط١، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ١٩٩٣.

البصير، محمد مهدي

• الموشح في الأندلس وفي المشرق، ط١، دار المعارف، بغداد، ١٩٤٨.

البغدادي، اسماعيل باشا

• ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، مجلدان، دار الفكر، د.م، المجلد الثالث، ١٩٨٢، المجلد الرابع، ١٩٩٠.

• هدية العارفين أسماء المؤلفين واثار المصنفين من كشف الظنون، المجلد الخامس، دار الفكر، د.م، ١٩٨٢، والمجلد السادس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

البغدادي، صالح عبد السلام

• ابن زمرك الأندلسي حياته وأدبه، منشورات جامعة سبها، مطبعة الثورة العربية، طرابلس، ١٩٨٨.

بوز، فارس

• تاريخ العرب في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، منشورات جامعة دمشق، ١٤١٦هـ.

الحاج، خالد محمد علي

• الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد، ٢جـ، تحقيق ومراجعة عبدالله ابراهيم الانصاري، مطبوعات إدارة إحياء التراث، قطر، ١٩٨٣.

حتاملة، محمد عبده

• التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكيين الكاثوليكيين، ط١، عمان، ١٩٨٠.

• محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، ط١، مطابع دار الشعب، عمان، الأردن، ١٩٧٧.

الحجي، عبد الرحمن علي

• التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، ط١، دار القلم، دمشق، بيروت، دار القلم، الكويت، الرياض، ١٩٧٦.

الحسني، قاسم

• الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري (موضوعاته وخصائصه)، ط١، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

حماده، محمد ماهر

• الوثائق السياسية والادارية في الأندلس وشمالي أفريقيا دراسة ونصوص، ط١، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.

الحمادي، أحمد خليفة

• المسجد ودوره في الاسلام، ط١، المطبعة المتحدة، عجمان، ١٩٩٣.

الحمصي، أحمد سليم

• ابن زمرك الغرناطي (٧٣٣-٧٩٦هـ/١٣٣٣-١٣٩٣م) سيرته وأدبه، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الايمان، طرابلس، لبنان، ١٩٨٥.

حومد، أسعد

• محنة العرب في الأندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨.

الدباغ، محمد بن عبد العزيز

• من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢.

ذنون، عبد الحكيم

• افاق غرناطة، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، ط١، دار المعرفة، مطبعة النجاح، دمشق، ١٩٨٨.

الركابي، جودت

• في الأدب الأندلسي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦.

زبيب، نجيب

• الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ٥جـ، تقديم أحمد بن سودة، ط١، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

زيدان، عبد الكريم وعبد القاهر داود عبدالله

• علوم الحديث، ط٢، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٨٨.

الزركلي

• الاعلام قاموس تراجم مشاهير لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ٨جـ، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩.

السامرائي، فاضل صالح

• معاني النحو، ٢جـ، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩.

السماوي، أحمد بن عبد الرحمن

• رحلة إلى الفردوس المفقود الاندلسي، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار

الفكر، دمشق، ١٩٨٨.

السملالي، العباس بن ابراهيم

• الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام، ١٠جـ، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٦.

شبانة، محمد كمال

• يوسف الأول بن الاحمر سلطان غرناطة، طبع ونشر لجنة البيان العربي، مطبعة الرسالة، عابد، ١٩٦٩.

بنشريفة، محمد

• البسطي آخر شعراء الأندلس، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٥.

• الصالح، صبحي

• النظم الاسلامية نشأتها وتطورها، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

الطباع، عبدالله أنيس

• القطوف اليانعة من ثمار الأندلس الاسلامي الدانية، ط١، دار زيدون، بيروت، ١٩٨٦.

طه، عبد الواحد ذنون

• دراسات أندلسية، ط١، منشورات مكتبة بسام، الموصل، ١٩٨٦.

• نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.

ابن عاشور، محمد الفاضل

• أعلام الفكر الاسلامي في تاريخ المغرب العربي، نشر مكتبة النجاح، مطبعة النجاح، تونس، د.ت.

العبادي، أحمد مختار

• في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

• مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٨٣.

عتيق، عبد العزيز

• الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦.

علي، سعد اسماعيل

• معاهد التربية الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

عنان، محمد عبدالله

• لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، ط١، نشر مكتبة الخانجي، مطبعة الاستقلال الكبرى، د.م، ١٩٦٨.

• نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، وهو العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام في الأندلس، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

عنبتاوي، عدنان فائق

• حكايتنا في الأندلس، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩.

عيد، يوسف

• التوشيح في الموشحات الأندلسية، باب جديد في أوزان الموشح ونغماته، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣.

فارس، محمد

• موسوعة علماء العرب والمسلمين، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

فرحات، يوسف شكري

• غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢.

• كتاب الموسوعة، علماء العرب، ط١، الشركة الشرقية للمطبوعات، جنيف، ١٩٨٦.

قصبجي، عصام

• لسان الدين بن الخطيب حياته وفكره وشعره، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٢.

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير

- فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ٢جـ، اعتناء احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢.

الكتاني، يوسف

- مدرسة الامام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.

كنون، عبدالله

- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط٣، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥.

المحامي، محمد كامل حسن

- سطور مع العظماء، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٦٩.

مخلوف، محمد بن محمد

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، د.ت.

المشيني، مصطفى ابراهيم

- مدرسة التفسير في الأندلس، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.

مصطفى، ابراهيم

- إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.

مصطفى، محمود

- اعجام الأعلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

بنمنصور، عبد الوهاب

- آخر وثيقة إسلامية أندلسية، التراث الحضاري المشترك بين أسبانيا والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الهلال العربية للطباعة، ١٩٩٣.
- أعلام المغرب العربي، ٥جـ، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٠.

مؤنس، حسين

- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، نشر مطبعة مدبولي، المطبعة الفنية، القاهرة، ١٩٨٦.

• المساجد، عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١.

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد

• الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ٩جـ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥.

نعمة الله، هيكل والياس مليحة

• موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.

نواب، عواطف محمد يوسف

• الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،١٩٩٦.

النيفر، محمد

• عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، ٢جـ، تذييل واستدراك على النيفر، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦.

هرامة، عبد الحميد عبدالله

• القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري، الظواهر، القضايا والأبنية، ٢جـ، كلية الدعوة الاسلامية، ليبيا، ١٩٩٦.

الهيتي، عبد القادر رحيم

• خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، دار القادسية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣.

هيكل، أحمد

• الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.

الورفلي، عبد العاطي محمد

• أوراق أندلسية، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، بنغازي، ١٩٩٠.

المراجع المترجمة :

ايرفنج، وشنطون

• قصر الحمراء في الأدب والتاريخ، ط١، نقلـه إلى العربيـة وعلـق علـى حواشيه وقدم له اسماعيل العربي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٤.

بالنثيا، انخل جنثالث

• تاريخ الفكر الأندلسي، ط١، نقله عن الاسبانية حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.

بروكلمان، كار

• تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر، راجع الترجمة رمضان عبد التواب، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

روزنثال، فرانز

• علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣.

ريبيرا، خوليان

• التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، نشر دار المعارف، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، د.ت.

زامبارو

• معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، مطبعة جواد للطباعة والتصوير، بيروت، ١٩٨٠.

ضيا باشا

• الأندلس الذاهبة، ٣جـ، تعريب عبد الرحمن ارشيدات، مراجعة وتحقيق صلاح ارشيدات، ط١، نشر وزارة الثقافة، مطابع الدستور التجارية، عمان، ١٩٨٩.

ماك كيب، جوزيف

• مدنية المسلمين في أسبانيا، ترجمة محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف،

الرباط، ١٩٨٥.

هنتس، ڤالتر

• المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، ط٢، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩٢.

الرسائل الجامعية :

خوالد، فرحات الشريف

• أبو عبدالله بن خميس التلمساني (٦٥٠-٧٠٨هـ)، حياته وأدبه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢.

سرميني، محمد وليد

• خصائص الشعر الأندلسي في عصر غرناطة، رسالة ماجستير، جامعة حلب، ١٩٨٦.

محاسنة، أحمد توفيق محمد

• الحياة السياسية في دولة بني الأحمر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧.

الدوريات العربية :

الأهواني، عبد العزيز

• سفارة سياسية من غرناطة إلى القاهرة في القرن التاسع الهجري، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، م١٦، جـ١، ١٩٥٤.

بلاشير، ريجيسي

• الوزير الشاعر ابن زمرك وأثاره، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، العدد ٢٥، ١٩٨٦.

حجاجي، حمدان

• ابن زمرك شاعر الحمراء، حوليات جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة الجزائر، العدد ٢، ١٩٨٧-١٩٨٨.

الحسو، أحمد عبدالله

• تراجم مغربية وأندلسية من كتاب وجيز الكلام في ذيل دول الاسلام للسخاوي، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٠، السنة الثانية عشر، ١٩٨٦.

الخرشافي، ادريس

• منهج ابن رشيد السبتي في الدراسات الحديثة من خلال رحلته، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، العدد ٣١، ١٩٩٥.

أبو رحمة، خليل

• علي بن هذيل الأندلسي وكتابه "تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مطبعة التوفيق، عمان، السنة الخامسة، تموز، كانون الأول، العدد المزدوج ١٧-١٨، ١٩٨٢.

أبو الشعر، هند

• مملكة غرناطة، دراسة اجتماعية واقتصادية، مجلة راية مؤته، تصدر عن جامعة مؤته، المجلد الأول، العدد الأول، أيار، ١٩٩٢.

شفور، عبد السلام

• ما لم ينشر من إحاطة ابن الخطيب، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية، العدد ٢٥٩، أكتوبر، ١٩٨٦.

عبود، محمد

• ابن الخطيب مؤرخاً للأندلس في عهد دول الطوائف، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية، العدد ٢٥٩، ١٩٨٦.

العمد، هاني

• كتب التراجم المغربية، مجلة أفكار، نشر وزارة الثقافة والشباب، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، (الرأي)، عمان، العدد ٤٨، ١٩٨٠.

المعري، شوقي

• أشهر علماء العربية، مجلة بناة الأجيال، مجلة فصلية تربوية ثقافية منوعة تصدر عن المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين في القطر العربي السوري، العدد ١٩، السنة الخامسة، تموز، ١٩٩٦.

مكي، محمود علي

• عبد الكريم محمد القيسي الغرناطي، مجلة العربي، الكويت، العدد ١٠٧، ١٩٦٧

المنوني، محمد

• محاولة لقراءة جديدة في التراث التاريخي للسان الدين بن الخطيب، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية، العدد ٢٥٩، ١٩٨٦.

ميلاد، خالد

• أثر المقدمة في مؤلفات القرن التاسع الهجري من خلال مقارنة بين مقدمة ابن خلدون ومقدمتي ابن الأزرق، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب، جامعة تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، العدد ٣٠، ١٩٨٩.

الوراكلي، حسن

• لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، مجلة عالم الفكر، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، عدد يناير، فبراير، مارس، ١٩٨٨.

الندوات والبحوث :

بنشريفة، محمد

- من أعلام أواسط العصر الغرناطي المنتوري في وقائع الندوة الثانية الاسبانية المغربية للعلوم التاريخية "علم التاريخ والمجتمع في غرناطة ٦-١٠ تشرين الثاني ١٩٨٩، مدريد، ١٩٩٢، - Actas Del II, Coloquio Hispano Mavvoqui De Cieacias Historicas "Historia, Cienciay Socieded Granade 6-10 Noviembre, 1989.

الطوخي، أحمد محمد

- العلاقات الأندلسية الحفصية ٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م، بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، كلية الآداب، جامعة الأسكندرية، ١٣-١٥ ابريل، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤.

عباس، احسان

- التعليم في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الحضارة الاسلامية بحوث ودراسات، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية، الشركة المتحدة للطباعة، ١٩٨٦.

عناني، محمد زكريا

- من أعلام فن التوشيح بالأندلس لسان الدين بن الخطيب، بحوث ندوة الأندلس، ١٣-١٥ ابريل، ١٩٩٤.

عيسى، عبد الحميد

- تاريخ التعليم في الأندلس من القرن الخامس إلى سقوط الأندلس، التربية العربية الاسلامية المؤسسات، ٤جـ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٩.
- الملكة ايزابيل الكاثوليكية ودورها في اسقاط دولة الاسلام بالأندلس، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ورابطة الجامعات الاسلامية، المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية بمناسبة الذكرى الخمسمائة لسقوط غرناطة (١٤٩٢-١٩٩٢م)، مكتبة

المهاجرين، أبها.

أبو الفضل، محمد أحمد

• أضواء على النشاط العلمي في الأندلس، بحوث ندوة الأندلس، ١٣-١٥ ابريـل، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٤.

مقالات دائرة المعارف الإسلامية :

النسخة العربية ١٥م، إعداد وتحرير ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة، د.ت.

- بروفنسال، ليفي : "الزاوية"، م١٠، ص٣٣١-٣٣٤.
- الخولي، أمين : "تفسير"، م٥، ص٣٤٦-٣٧٤.
- سوتر : "أبو معشر"، م١، ص٤٠٤-٤٠٥.
- سيبولد : "ابن الخطيب"، م١، ص١٥٠-١٥٢.
- ابن شنب، محمد : "ابن الحاجب"، م١، ص١٢٦-١٢٨.
  "ابن سعيد"، م١، ص١٩٩-٢٠٠.
- ماسينيون، ومصطفى عبد الرزاق : "التصوف"، م٥، ص٢٦٥-٢٩٨.

المراجع باللغة الأجنبية :

- Abed Al-Hussein, Falah Hassan, Las ferias del medina campo y el comercio de la Lana : 1514-1573, Valladolid, 1987.
- Irving, Washington, Chronicle of the Conguest of Granada from the MSS. of roy Antonie Agapida, darf publishers limited, London, 1986, Vol I.
- Fullard, Harold, Philips new school atlas, Ed 64, London., 1983, P. 9.
- Ladero Quesada, M.A, Granada, Historia De un Pats Islamico : 1232-1571, 3 ed, edicion Madrid, 1989.
- Viguere Molins, M.J, La Cultura Nazari y sus registros historicos biobibliograficos y geograficos, Estudios Nazaries, ed, Concepcion Castillo, Granada, 1997.
- Wert, Juan Pablo, El reino Nazari de Granada, ediciones A kal, S.A, Madrid - Espana, 1994.

المقالات باللغة الأنجليزية :

- Latham, J. D, "Nasrids", EI², Vol VII, Leiden, 1983, PP. 1020-1028.
- Seco de Lucena Paredes, Luis, "Los Banū Āsim, intelectuales y politicos granadinos del siglo XV", Meah, II, 1953, 5-14, Escuela de estudios arabes de Granada, Catalogo de la exposicion Celebrada con motivo del cincuentenario, 1932-1982.
- Terrasse, H, "Gharnāta", EI², Vol VII, Leiden, 1983, PP. 1012-1020.

ملخص

الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بني الأحمر (٦٢٩-٨٩٧هـ/١٢٣٢-١٤٩٢م)

إعداد

رفاه تقي الدين عارف الدوري

إشراف

الدكتور طه الطراونه

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على النشاط العلمي والثقافي في غرناطة، وبيان دور المؤسسات التعليمية في ازدهار الثقافة فيها، واهتمت الدراسة بتاريخ غرناطة السياسي قبل قيام دولة بني الأحمر وخلال فترة حكمهم لها، وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وسبعة فصول .

تناول الفصل الأول عرض وتحليل لأهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة .

بينما يبحث الفصل الثاني في الحياة السياسية في مملكة غرناطة قبل حكم بني الأحمر وأثنائه حيث ابتدأ بموجز عن غرناطة وتاريخها منذ الفتح وحتى قيام المملكة، ثم تاريخها أثناء حكم سلاطين بني الأحمر مع أهم الاصلاحات التي قاموا بها.

أما الفصل الثالث فهو عن التعليم ودور العلم،حيث يبحث في أهم المؤسسات التعليمية في مملكة غرناطة من مساجد ومدارس ومنشآت صوفية، وكيف أن التعليم في المملكة انقسم إلى قسمين : الأول تعليم خاص بأبناء السلاطين، والثاني تعليم عام لأبناء العامة، وتطرق أيضاً إلى مراحل التعليم وأهم المناهج التعليمية المتبعة فيها.

وعالج الفصل الرابع العلوم الدينية، وهي علوم القرآن الكريم التي تشمل

القراءات والتفسير، والحديث والفقه والتصوف ومساهمة العلماء في هذا المجال.

بينما خصص الفصل الخامس للعلوم اللغوية والأدب التي تضم : اللغة والنحو والنثر والشعر مع استعراض جهود أهم علماء اللغة والنحويين والأدباء والشعراء الذين ساهمت جهودهم في إغناء الحركة الفكرية في غرناطة.

وقد تناول الفصل السادس العلوم الاجتماعية كالتاريخ والجغرافية، حيث تناول تحديداً موضوع كتابة التاريخ المحلي وكتابة التاريخ العام وكيف تم الاهتمام بتأليف نظام البرامج، والتي غالباً ما قام المؤلف فيها بكتابة تراجم عن الشيوخ الذين أخذ عنهم. أما في الجغرافية فقد تناول هذا الفصل أهم الرحلات التي قام بها الرحالة انطلاقاً من غرناطة.

أما الفصل السابع والأخير فتعرض إلى العلوم البحتة : الرياضيات والفلك والطب مع توضيح لجهود أهم العلماء الذين برعوا في التأليف وفي صناعة الآلات الفلكية.

واختتمت الدراسة بخاتمة، وملحقان الأول خارطة لمدينة غرناطة، والثاني قائمة بأسماء سلاطين بني الأحمر.

وأخيراً قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

Abstract

The Cultural life of Granada under Beni Al-Ahmer dynasty : 629-897H/1232-1492 A. D.

By

Refah T. Al-Doori

Supervised by : Dr Taha Tarawneh

Most historians tend to focus on the political history of Granada as a phase of well-known the "Riconquista movement", meanwhile other aspects of Granada. contributions to the Andalucian history have never been thorougly explored. Therefore, this study intends to shed light on the cultural life of Granada under Beni Al-Ahmer dynasty.

However, this study comprised seven chapters and introduction. While our sources are rare and scattered therefore, the first chapter is conclusively dealt with the analyzation of those sources.

As for the second chapter deals with the political life of Granada before Beni Al-Ahmer period; in other words, from the early days of Islam in the Kingdom until Beni-Al-Ahmer took power.

The third chapter is intended to look at the educational structure of Granada, such as schools, mosques, sufis establishment; and the curriculums. Also, we realized two types of teaching one for the previliged. Such as the Sultan's sons, the other for the public.

The religious teaching is discussed in the fourth chapter, particularly the Quran's readings and interpretation, theology, Hadith and mystical doctrines. The contributions of respective figuers of those fields have also been reviewed.

The linguistic and litrerary areas in Granada are dealt with in the fifth chapter- arabic grammer, poetry, prose, and the works of those great peots, grammarians and lexicologists who were the most distinguished

characters of that beautiful Kingdom.

The sixth chapter comprised the works of those social scientists such as historians who wrote local and general histories, the biographers and geographers particularly the works of those travelers who set up from Granada.

The last chapter is dedicated to the works of those mathematicians astronomers, and medics who lived and worked in Granada during the period of our study and who participated in making the city fame.

Finally, a conclusion is added to the study with two appendixes, the biography of Beni Al-Ahmer Sultans, and the sources that this study is based on.